المصطلح العلمي في التراث العربي

استاذ ورئيس قسم علم اللغة بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

٧٥ ٢

الدكتور صلاح كزارة

المصطلح العلمي عند العرب

تاريخه مصادره نظريته

دكتور/ محمد حسن عبدالعزيز
أستاذ ورئيس قسم علم اللغة بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

٢٠٠٠

المحتويـــات

الموضـــــوع	الصفحـــة
* المقدمـــــــة.	٧ - ١١
* المبحث الأول: (نشأة المصطلح وتطوره)	١٣-٩٥
أولاً: المصطلح الفقهى.	١٣
ثانياً: المصطلح النحوى.	٢٢
ثالثاً: المصطلح الكلامى.	٣١
رابعاً: المصطلح الصوفى.	٣٥
الترجمة وتأثيرها فى نشأة العلوم ومصطلحاتها.	٤٨-٥٤
خامساً: المصطلح الفلسفى.	٥٥
سادساً: المصطلح الطبى.	٦٩-٨٤
هوامـــش المبحـــث الأول.	٨٥-٩٥
* المبحث الثانى: (مصـــادر المصطلـــح)	٩٧-١٧٥
أولاً: المصادر اللغوية:	٩٨-١٠٦
- معاجم الألفاظ.	٩٨
- معاجم المعانى.	١٠٠
- غريب القرآن، غريب الحديث، غريب اللغة.	١٠٢-١٠٦
ثانياً: المصادر المعرفيـــة (المتخصصة):	١٠٧-١٦٧
- المصادر العامة.	١٠٧
- المصادر الخاصة.	١١٨-١٦٧
- فى الفقـــــه.	١١٨
- فى الكـــــلام.	١٣٣
- فى النحـــــو.	١٣٦

- فى التصوف. ١٣٩
- فى الفلسفـــة. ١٥٥
- فى الطـــب. ١٦٠
هوامـــش المبحـــث الثانى. ١٦٨-١٧٥
*** المبحث الثالث: (المصطلحية : النظرية والتطبيق)** ١٧٦-٢٤١
أولاً: المصطلح والتعريف. ١٧٦-١٨٥
ثانياً: من مبادئ العملية المصطلحية. ١٨٦-٢١٧
- المبدأ الأول : اللغة عرفية. ١٨٦
- المبـــدأ الثانى : التغير اللغوى. ١٨٩
- المبـــدأ الثالث : التكافؤ بين اللغات. ١٩٤
- االمبدأ الرابع : اللغة العامة واللغة الخاصة ١٩٧
- المبدأ الخامس : النظام التصورى. ٢٠٠-٢١٧
ثالثاً: طرق وضع المصطلحات. ٢١٨-٢٣٢
- اللفظ العربى. ٢١٨
- اللفظ المعرَّب. ٢٢٢
هوامـــش المبحـــث الثالث. ٢٣٣ - ٢٤٥
*** مراجع البحـــث:-** ٢٤١-٢٦٤
- المراجـــع العامـــــة. ٢٤٢
- المراجـــع الخاصـــة. ٢٤٦-٢٦٤

المقدمة

المصطلح أداة البحث ، ولغة التفاهم بين العلماء ، وهو جزء من المنهج ، ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدى الحقائق العلمية أداء صادقا ، وهو ثمرة العلم يسير بسيره ، ويتوقف لوقوفه ، وتاريخ العلوم – إلى حد ما – تاريخ لمصطلحاتها .

هذا البحث إذاً فى تاريخ المصطلح العلمى وفى تاريخ العلم على سواء . وقد تقدم العلم فى هذا العصر تقدما واسعا بغير حدود ، وتعددت مجالات مصطلحه بتعدد فروعه ، وكثرت أعداد المصطلحات الخاصة بكل فرع بحيث لا تكاد تحصر.

وربما يهجس فى بعض الصدور ، وماذا يعنينا من ماضى العلم ؟ ألا ينبغى أن ننصرف إلى حاضره ، وأن نحاول – بكل سبيل – أن نحصل منه ما يسد شيئا من المسافة البعيدة التى تفصلنا عما انتهى إليه فى الأمم المتقدمة ؟

وهذا رأى يدل على نظرة سطحية مجافية للعلم نفسه ، فلن تجد عالما من كبار العلماء يجهل رأى من سبقه فى مجال بحثه ، وكيف تطورت الآراء حتى وصلت إليه ، والذين يسعون إلى كشف جديد عليهم أن يدرسوا علاقة الماضى بالحاضر ليتعرفوا على الطريق الذى عليهم أن يسلكوه ، لكى يخرجوا من الحاضر إلى المستقبل ، ومن المعلوم إلى المجهول . فإذا ما وضعنا فى الاعتبار ما يسمى بالعلوم الإنسانية – وهى تمثل معظم هذا البحث – كانت الدراسة التاريخية أوجب ، لإن إنسان اليوم يعيش فى الحاضر حقا ، ولكن وجدانه وجُمّاع ثقافته تشكل عبر مراحل زمنية وأحداث كبرى ، بدأت من ماض سحيق وامتدت إلى اليوم . إن بناء ضمير العالم ووجدانه على خدمة وطنه واحترام ثقافته لأمر بالغ الأهمية فى عصر لابد فيه من الاستمساك بالهوية بإزاء الغرب المتقدم علميا وتقنيا والذى يهدف – باسم العولمة أو بغيرها من الشعارات – إلى تغيير ثقافتنا وسحق حقيقتنا .

لقد أسهم العرب بدور عظيم فى بناء العلم ونشره وتطوره ، نقلوا علوم اليونان والفرس والهند ، وأضافوا إليها علما واسعا ، وأهدوا إلى الإنسانية جمعاء ثماره الطيبة ، ولهم إسهام فى إنشاء جهاز مصطلحى واكب نشاطهم العلمى اتساعا وتنوعا .

إن دراستنا لتراثنا العلمى ما ينبغى أن تكون لمجرد التشبث بهذا الماضى ليعيش فينا أو نعيش فيه كما هو ، بل هى ضرب من البحث عن النفس والتعرف عليها واستخلاص

عناصر الأصالة المتجددة والنمو المتطور .. ولن يتأتى ذلك إلا بالدراسة المتأنية والمنهج الموضوعي بعيدا عن الارتجال والأسلوب الخطابي والانفعال العاطفي والمبالغات السطحية ، وهذا ما نسعى إليه في هذا البحث .

يعالج هذا البحث الجهود التي بذلها العرب في نشأة المصطلح وتطوره في العلوم الشرعية وغيرها ، وقد اختار الباحث منها على سبيل التمثيل لا الحصر : الفقه والنحو والكلام والتصوف ، وهي من علوم الشريعة ، والفلسفة والطب وهما من علوم العجم – كما يقول الخوارزمي – صاحب (مفاتيح العلوم) أو في مصدر للمصطلح العربي في العلوم المعروفة في عهد بني العباس أزهى عصور العلم في الإسلام .

ونظرا لأن تاريخ المصطلح – كما قلنا سابقا – هو في الوقت نفسه تاريخ للعلم ، فقد تضمن البحث مبحثين أولهما : عن المصطلح نشأته وتطوره ، والثاني : عن مصادر المصطلح .

يتضمن المبحث الأول فصولا تبدأ بالمصطلح الفقهي فالنحوي فالكلامي .. الخ ويتضمن كل فصل حديثا موجزا عن العلم المعين في دور نشأته ، ثم في دور التدوين ثم في دور النضج ، وفي كل دور ترصد الأحداث الكبرى المؤثرة في حركته واتجاهه . وسوف نتبين – مع شئ من التسامح في التقدير الزمني – أن هذه العلوم – مع اختلافها – تتشابه طبيعة نشأتها وتطورها إلى حد بعيد ، لأنها جميعا نشأت وتطورت في إطار اجتماعي وثقافي واحد.

هذا ، ونهضة العرب العلمية لها وجهان : كانت نهضة علمية لها مقوماتها الذاتية وبواعثها الخاصة ، وهذا ما نلمحه في نشأة وتطور مايسمى بعلوم العربية والشريعة ، ولكنها من وجه آخر كانت أثرا من آثار الشعوب التي سبقتهم إلى العلوم والصناعات كاليونان والهند والفرس ، وهذا ما نلمحه في نشأة وتطور علوم الفلسفة . ولهذا اهتم البحث بالترجمة وتأثيرها في نشأة العلوم ومصطلحاتها . كما اهتم أيضا بمواكبة المصطلح للعلم وتطوره حتى عهد النضج والاستقرار المصطلحي .

يتضمن المبحث الثانى وهو عن (مصـــادر المصطلـــح) الحديـث عـن المصنفـات الموضوعة لدراسة أحد جانبى المصطلـــح : الجـانب اللغـوى ، والجـانب المعرفـى أو الموضوعى . لأن صناع المصطلحات أو طلابها وبخاصـــة – بعـد دور النشـأة – كـانوا يرجعون إلى هذه المصادر ، ومازلنا نحن نرجع إليها .

وهذه المصادر نوعان :

لغويـــة تهتم أساسا بالجانب الشكلى للمصطلح (من حيث نوعـه اسـما أو فعـلا أو وصفا ، ومن حيث صيغته أو بنيته ، ومن حيث اشتقاقه وتصريفه ، ووجـوه اسـتعماله) ، وبمعناه فى اللغة العامة ، وقد تهتم أحيانا بمفهومه أو تعريفه عند أهل صناعة بعينها . ومـن أمثلة هذا النوع من المصادر اللغوية ، معاجم الألفاظ ، كالعين والصحاح والقاموس المحيـط وديوان الأدب .. الخ ومعاجم المعانى كالمخصص .. الخ

ومعرفيـــة ، وهذه تنقسم إلى نوعين :

عامة : تتضمن مصطلحات أكثر من علم أو مجال معرفى ، مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمى ، والتعريفات للجرجانى ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوى .. الخ

وخاصة : تتضمن المصطلحات التى تشير إلى مفاهيم متداولة فى علم بعينه أو فـى مجـال معرفى محدد . وقد توسع الباحث فى دراسة هذا النوع من المصادر . فجعل لكل علم مـن العلوم المختارة للبحث فى مصطلحها فصلا يضم المصنفات الكبرى التى تختص بمصطلـح العلم ، يعرف بمادتها وبطريقة تصنيفها وبمنهج تعريفها أو حدها . فثمة – مثـلا – فصـل للمصنفات الخاصة بالمصطلح الفقهى ، يليه فصل ثان عن المصنفات الخاصة بـالمصطلح النحوى .. الخ .

وبعد توفية الحديث عن نشأة المصطلح وتطوره وعن مصادره العامة والخاصة ، تَمـهَّد الطريق للحديث عن العملية المصطلحية ذاتها وعن الأسس التى انبنت عليها والتى يمكـن أن تشكل نظرية فى المصطلحية . وكان هذا هو موضع المبحث الثالث .

إن هذا البحث منذ بدأ كان يبغى أن يستكشف الهيكل العام للنظرية اللغوية فى المصطلح ، مؤمنا بأن الذى يشكل وحدة أى علم وحقيقته أن يكون له طريقته المتمـيزة فـى تحديـد المفاهيم وفى تفسير العلاقات وفى صياغة المصطلحات لا معرفـة المصـادر والمؤثـرات

فحسب ، وفى هذا المجال يقول أحد المؤرخين : (إننا فى عصر يتعلق فيه عمل مؤرخ النظريات اللغوية بالوصف الدقيق للنظريات لا بتاريخ الأفكار) . بيد أن هذا لا يعنى إهمال الجانب التاريخى ، لأن دراسة السياق الاجتماعى والسياسى .. الخ الذى ظهرت فيه (العلوم ومصطلحاتها) على جانب كبير من الأهمية ، لأن التراث العلمى والمصطلحى عند العرب شأن أى نشاط فكرى يقوم به الإنسان ما هو إلا نتاج فى سياق محدد يتطلب – من ثم – سعيا إلى التعرف على آثاره ، وهذا ما فعلناه فى المبحثين الأولين .

كان لدى علماء العربية منهج فى الاصطلاح مبنى على أسس علمية منضبطة ، ولكنه – كالعلوم ومصطلحاتها – أخذ شوطا من الزمن حتى نضج واستقر . وقد كان المنهج – فى كل علم من العلوم – مرعيا بدرجات متفاوتة ، وكان العلماء فى مرحلة التدوين يستخدمونه بوعى ، لكنهم ندر ما كانوا يصرحون به ، بيد أنهم فى عهد ازدهار العلوم وتبحرهم فى دراسة المنطق بخاصة كثر ما كانوا يفصّلون القول فيه بله أن يصرحوا به .

وقد كانوا على بينة من أهمية اللغة المصطلحية ذاتها ، فقد عرفوا الاصطلاح تعريفا دقيقا ، وقسموه إلى أقسام ، ونبهوا إلى شروطه ، بل حددوا لكل علم معاييره التى يقوم عليها ، وفصلُ المناطقة فى ذلك لا يحتاج إلى بيان ، فقد نقلوا نظرية أرسطو فى التعريف أو الحد ، وفى العلاقة بين الألفاظ والمفاهيم وشرحوها شرحا وافيا .

وقد قامت العملية المصطلحية عند العرب على عدد من المبادئ العامة ، هى بعينها المبادئ المرعية اليوم فى علم المصطلح . ومن بين تلك المبادئ :

عرفية اللغة ، فقد كادوا يجمعون على أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية عرفية ، وندر بينهم من قال بالعلاقة الطبيعية ؛ على أن بعض اللغويين نبه إلى مناسبة طبيعية قد تظهر بين بعض الألفاظ وفى الصيغ.

التغير اللغوى ، وهو يلحق الدال والمدلول ، وهو أمر لا محيد عنه ، فليست اللغة أسماء لأشياء أو مفاهيم ثابتة ، والعلماء والفلاسفة متفقون على وقوعه ، وكذا الفقهاء والأصوليون ، وإن توقفوا عند ما سموه الألفاظ الإسلامية ، واختلفوا أهى متغيرة بالنقل أم بالتخصيص ؟ ، وهو خلاف لا طائل من ورائه .

التكافؤ بين اللغات ، وهم أيضا متفقون على أن اللغات – وإن اختلفت فى طرق التعبير – تتكافأ فى النهاية ، ولم يجد المترجمون عقبة كبيرة تمنعهم من ترجمة علوم اليونان والهند

والفرس ، ربما واجهتهم بعض ثغرات تعبيرية ، ولكنهم سرعان ما سدوها بوسائل متعددة من اللغة ذاتها ، وحين عجزوا استخدموا اللفظ الأعجمى من غير تحرج .

التفرقة بين اللغة العامة لغة جمهور الناس واللغة الخاصة لغة أهل العلوم والصناعات ، فالكلمة فى اللغة العامة لها معنى أو عدة معان ، وقد تستخدم فى لغة خاصة بمعنى أو بمعان أخر ، وقد أقر العلماء جميعا بأن المصطلح الواحد قد يختلف مدلوله باختلاف مجالات استعماله .

النظام التصورى: منظومة من تصورات أو مفاهيم تقوم بينها علاقات، قد تكون اقترانية أو جدولية، كما عليه الحال فى علم اللغة، وقد تكون منطقية أو وجودية، كما عليه الحال فى المنطق .

وقد عرف العرب – بعد أن ترجموا المنطق اليونانى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى – ما عرفه اليونان عن التصور أو المفهوم وعن طبيعة العلاقة بين التصورات ، والعلاقة بين الألفاظ والتصورات . وقد قامت مصنفاتهم المصطلحية على أساس من تلك المباحث النظرية .

الرموز المصطلحية: الرموز لغوية أو غير لغوية تصلح أن تكون مصطلحاً مادامت تقابل وحدة تصورية فى اعتبار الواضع . وقد استخدم العلماء العرب الرموز اللغوية لفظاً أو حرفاً ، وأبدوا اهتماماً واضحاً بالوضع اللغوى ، وحددوا الطرق الملائمة له . وهم متفقون على إيثار اللفظ العربى على المعرَّب بالاختراع أو بالنقل أو بالاشتقاق ، فإن لم يجدوا العربى المناسب عربوا اللفظ الأعجمى ، ولم يلزموا أنفسهم بأن يكون على منهاج العرب فى تعريبهم .

وإنى لأرجو – بعد هذا العرض الموجز لمباحث الكتاب – أن أكون قد نجحت فى تعريف القارئ المعاصر بتاريخ المصطلح العلمى العربى وبمصادره الكبرى ، وبالمبادئ النظرية التى قامت عليها العملية المصطلحية.

وبالله التوفيق

د. محمد حسن عبدالعزيز

الدقى فى ذو القعدة ١٤٢٠ – فبراير ٢٠٠٠

المبحث الأول

نشأة المصطلح وتطوره

أولاً: المصطلح الفقهى

الفقه ومصطلحه فى دور النشأة

كان التشريع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم قائما على الوحى من الكتاب والسنة ، وعلى الرأى من النبى ومن المجتهدين من صحابته .

وفى عهد الخلفاء الراشدين (١٠-٤٠هـ) جرى الصحابة على استعمال القياس فى الوقائع التى لا نص فيها ، ومن ثم بدأت صورة من صور الإجماع تظهر حين كان بعض الصحابة يقضون فى بعض الوقائع بحكم واحد ، وكان أهل الفتوى ؛ آنذاك وهم المعتبرون فى الإجماع قلة لايتعذر اجتماعهم على حكم .

وكان الناس لا يقصدون فى الفتوى إلا جماعة من الصحابة اختصوا بحمل القرآن ، وفهمه ومعرفة أحكامه ووجوه دلالته ، وناسخه ومنسوخه بما تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يسمون لذلك **القراء** تمييزا لهم عن سائر الصحابة ، لأن العرب كانوا أمة أمية لاتقرأ ولا تكتب .

وفى عهد بنى أمية (٤٠هـ - ١٣٢هـ) تكاثر القارئون الكاتبون منهم ودخل فى الإسلام أمم تعرف القراءة والكتابة ، ولم يعد لفظ القراء صالحا ليوصف به أهل الفتوى ومن ثم ظهر اسم **الفقهاء** للجماعة التى تستنبط الأحكام من أدلتها .

وكان كثير من الصحابة والتابعين يكره كتابه العلم .. حتى لايتخذ مع القرآن كتاب يُضاهَى به ، ولئلا يتكل الكاتب على كتابته فيقل حفظه ... إلى أن تنبه عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) إلى لزوم التدوين ، فأشار بجمع السنة فكتبت له فى دفاتر ، ومع ذلك - وكما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق - فقد كان ذلك بدايات أو إرهاصات . (١)

والمتفق عليه أن تدوين الفقه بالمعنى الاصطلاحى لم يكن إلا فى عهد العباسيين حين أصبح الفقه صناعة وعلما .

ونسأل الآن هل ظهر مصطلح فقهى فى هذا العهد الأول ؟

" لم يستعمل المفتون فى هذا العصر ألفاظا اصطلاحية خاصة ، بل كانت عبارات هذه الأحكام – كما يقول الشيخ خلاف – على النمط العربى فى التعبير عن سائر الأغراض " (٢)

وهكذا مضى القرن الأول الهجرى ولم تظهر اصطلاحات فقهية ولم تأخذ الأحكام صبغة علمية .. بيد أن ما ظهر من فعل النبى وما شاع من أقواله ، ثم فعل صحابته وأقوالهم من بعده كان بداية وأساسا للمصطلحية الفقهية .

ويفسر الشيخ خلاف هذه البداية بقوله : إن النبى صلى الله عليه كان يبين للناس ما فى آيات الله من الإجمال بحكم من الله (وأنزلنا الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) . وقد فسر النبى بعض الألفاظ بغير معانيها المعروفة منها وهو الحقيقة الشرعية التى فصلها بقوله وفعله ، فبين مثلا أن الصلاة فى قوله تعالى (أقيموا الصلاة) .. عبادة خاصة بيَّنها بفعله وقال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) . وهكذا الشأن فى بقية الشعائر والمعاملات .

ثم يجمل القول فى الألفاظ الفقهية لهذا العهد فيقول : " والذى لا ريب فيه أن الرسول استعمل بعض ألفاظ النصوص فى غير ما وضعت له لغة ، وأراد منها حقائق شرعية اصطلح المسلمون على فهمها منها بحيث هُجر المعنى اللغوى للفظ ، وصار لايفهم منه إلا بقرينة ، كأن اللفظ صار حقيقة فى معناه العرفى الشرعى ومجازا فى معناه الوضعى اللغوى " (٣)

أما تقدير ما دوِّن من صحائف فى عهد بنى أمية لضبط معاقد القرآن والسنة وكذا فى تطور العملية الاصطلاحية فمما يختلف فيه المؤرخون .

الفقه ومصطلحه فى دور التدوين (الأصول)

نهضت العلوم الدينية فى عهد العباسيين نهضة قوية ، وكانت تقصد إلى الوفاء بحاجات الدولة العظيمة مترامية الأطراف والتى تضم تحت سلطانها شعوبا مختلفة ولغات مختلفة ، وكانت تلك الدولة ترمى إلى أن تجعل أحكام الشرع دستورا لها . وفى ذلك يقول ابن خلدون : " ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب ، وتمكن الاستنباط وكمل الفقه ، وأصبح صناعة وعلما ، فبدلوا باسم الفقهاء من القراء ، وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين : " أهل الرأى والقياس وهم أهل العراق وأهل الحديث وهم أهل الحجاز " (٤)

أهل الرأى وأهل الحديث

أهل الرأى

إمام هذا المنزع الذى استقر المذهب فيه وفى أصحابه أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) أسسه وأعانه على تأسيسه تلميذاه : أبو يوسف (ت ١٨٢هـ) ومحمد بن الحسن الشيبانى (ت ١٨٩هـ) ويذكر له صاحب الفهرست كتبا منها : كتاب الفقه الأكبر والعالم والمتعلم .. الخ (٥)

ومقامه فى الفقه – كما يقول ابن خلدون – لا يُلْحق ، شهد له بذلك أهل بلدته وخصوصا مالك والشافعى " (٦)

ويذكر الموفق بن أحمد المكى فى كتابه (مناقب الإمام الأعظم) أثر أبى حنيفة فى الفقه فيقول : وأبو حنيفة أول من دون علم الشريعة . لم يسبقه أحد ممن قبله ، لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا فى علم الشريعة أبوابا مبوبة ولا كتبا مركبة ... ونشأ أبو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشرا فدونه أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة ، فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ثم بسائر العبادات على الولاء ثم بالمعاملات ثم ختم بالمواريث .."(٧)

ثم جاء الأئمة من بعده فاقتبسوا من علمه واقتدوا به وفرعوا كتبهم عليه – كما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق – ويقال عنه أيضا إنه أول من وضع كتابا فى الشروط ، والشروط لا يستطيع أن يضعها إلا من تناهى فى العلم وعرف مذاهب العلماء ومقالاتهم ، لأن الشروط تتفرع على جميع كتب الفقه ويتحرز بها من كل المذاهب لئلا ينقضها حاكم بنقض أو فسخ " (٨)

وهكذا يمكن أن يقال إن أبا حنيفة هو الذى جعل الفقه علما أو صناعة تقوم على أسس منضبطة فى جمع مادته وفى تفسيرها وفى تصنيفها وفى تعبيد مسائلها .

وقد عاب عليهم أهل الحديث كثرة مسائلهم وإيثارهم القياس وقلة روايتهم ، وقيل عن أبى حنيفة : هو أعلم الناس بما لم يكن وأجهلهم بما قد كان " يعنون علمه بالمفترض من الحوادث وجهله بآثار الماضى " وفى هذه المقولة مبالغة وعدول عن القصد ، لأن الأمر ليس إلا منزعا عاما أو غالبا لايمنع اعتداده بالرواية واحتجاجه بها فى الأصول والأحكام (٩)

أهـــل الحديـــث

وكان إمامهم مالك بن أنس إمام دار الهجرة (ت ١٧٩هـ) . وكـانت طريقـة أهـل الحجاز أعلى من سواهم وأمتن فى الصحة لاشتدادهم فى شروط النقل من العدالة والضبـط وتجافيهم عن قبول (المجهول الحال) فى ذلك . واختص مالك بأن أضاف إلى مدارك الأحكام عمل أهل المدينة ، لأنه رأى أنهم فيما يتفقون عليه من فعل أو ترك متابعين لمن قبلـهم .. وهكذا إلى الجيل المباشرين لفعل النبى صلى الله عليه وسلم الآخذين ذلك عنه . (١٠)

بيد أنه لاينبغى أن يفهم من ذلك أن أهل الحديث ليس لهم فى الأحكام رأى ، بل جملـة مذهبهم على الجمع بين الرأى والأثر ، ولكنهم بمراعاة الأثر أعلق .

وكان أهل الرأى يعيبون على أهل الحديث استكثارهم من الروايات . وقصورهـم فـى الاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص .. الخ وكان أهل الحديث يعيبون أهـل الـرأى بأنهم يأخذون فى الأحكام بالظن ، ولا ينتصرون للسنة ولا يتثبتون مما ينقل اليهم منها .. الخ

وجاء الشافعى محمد بن إدريس (ت ٢٠٥هـ) فاتخذ طريقا وسطا بين هذين الطرفيـن المتعارضين ، يأخذ من كل منهما بما يهديه إليه عقله العلمى البصير ، فهو ينصر السـنة ، ومع ذلك يأخذ بالقياس إذا ما كان له معتمد من الكتاب والسنة . (١١)

المدونـات الكبـرى فـى الفقـه

كان جمع الأحكام والفتاوى وتدوينها منذ النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى تطورا بالغا في استواء الفقه علما له موضوعه ومناهجه ومذاهبه وكذا مصطلحه .

ومن أقدم ما دون فى بداية هذا العصر من مجموعات موطأ الإمام مالك بن أنـس (ت ١٧٩هـ) دونه بطلب من أبى جعفر المنصور ، والمرجح أنه أنهاه عام ١٤٠هـ .

وأهمية هذا الكتاب راجعة إلى أنه كتاب حديث وفقه معا ، فقد دون فيه مالك مـع مـا دونه من سنن الرسول آثار الصحابة وفتاويهم وأقضيتهم بل ما يراه فى ذلك أيضا .

وفى هذا الكتاب يقول الشيخ خلاف : وهو مرتب على أحكام الفقه ، والقارئ فيه يقـرأ الأحكام ببساطتها الأولى حلولا لمسائل خالية من الاصطلاحات والاختلافات والتعريفـات " (١٢)

وفى أهميته فى المصطلح الفقهى بعامة يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور : ولم يكن تعاطى مالك الفقه مقتصرا على الإفتاء بالمشافهة ولكنه دخل به فى التدوين الكتابى بتصنيفه كتاب (الموطأ) الذى كان به أول السابقين إلى التصنيف ، فكان تصنيفه ذلك أدعى إلى تخير الألفاظ وتحقيق محاملها وإقرار استعمالاتها على صورة مصطلح عليها " .

وفى قيمته فى المصطلح الفقهى للمذهب المالكى يقول : " .. تكونت لكتاب الموطأ قيمته ذات الأثر فى وضع المصطلح الخاص بالفقه المالكى المخالف فى كثير من تفاصيله للمصطلح المأخوذ به فى المذاهب الأخرى .. " (١٣)

وفى تلك المرحلة دون الشيبانى ١٨٩هـ صاحب أبى حنيفة كتب ظاهر الرواية الستة : المبسوط والزيادات والجامعان الكبير والصغير والسِّيران الكبير والصغير .. وهى أصول الفقه الحنفى ، وهو يروى عن أبى حنيفة مباشرة أو عن أبى يوسف .

ومما نشر من مدونات الشيبانى : المبسوط والجامع الكبير ، والكتاب الأول هو أكبر ما وصلنا من كتبه، وهو يضم مسائل الفقه جميعا ، وهو أصل كتب ظاهر الرواية الأربعة كما يقول ناشره ، وهو مرتب على أبواب ، باب الطهارة فالصلاة فالزكاة فالمناسك .. الخ وهو الترتيب المنسوب إلى أبى حنيفة نفسه، ويضم كل باب مسائل تتوزع فى فصول أو مطالب ، وتجئ الأحكام فى صورة أجوبة عن أسئلة مثل : أرأيت مسافرا نوى أن يصلى الظهر أربع ركعات ثم بدا له فصلى ركعتين ؟ قال : لاتفسد صلاته.(١٤)

وأملى الشافعى ٢٠٥هـ بمصر رسائل فى الفقه وأصوله وفى الحديث ، والمتفق عليه أن الربيع بن سليمان المرادى (ت ٢٤٠هـ) جمع رسائله الفقهية وسماها بكتاب (الأم) بعد أن سمعها من الشافعى ، ويشار إليه أحيانا بالمبسوط .

ويضم كتاب (الأم) الذى نشر بمصر ١٣٢٠هـ كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، كما يشمل كتبا ومباحث أخرى فى أصول الفقه والحديث ، ولذلك يعد بحق خزانة نفيسة لفقه الشافعية ، ويعد كذلك ثالث المصادر الكبرى للمصطلح الفقهى بعامة والمصدر الأول للمصطلح الفقهى للمذهب الشافعى.(١٥)

وفى هذه المدونات يقول الشيخ خلاف : وهذه المدونات فى الأحكام فى القرن الثانى الهجرى تكاد تكون على نمط الأحكام فى القرن الأول ، غير أنها ظهرت فيها ظاهرتان : إحداهما كثرة الأسئلة عن وقائع فرضية ، ووضع أحكام هى أجوبة لأرأيت وألا ترى ،

والثانى كثرة التعليل وإتباع الحكم بسنده ، ولكن ما ظهرت فيها اصطلاحات ولا صياغة علمية إلا نادرا " (١٦)

الفقه ومصطلحه فى دور النضج (الشروح والمختصرات)

الفقه المالكى

اعتنى أصحاب مالك بالموطأ وبما سُمع عن إمامهم فدونوا مسائله وضبطوا عبارته .. وصدر عن هؤلاء الموسوعات الأولى للفقه المالكى فى القرن الثالث .. وهى : (المدونة) لعبد السلام بن سعد القيروانى الملقب بسحنون (ت ٢٤٠هـ) ... و (الواضحة) لعبد الملك بن حبيب القرطبى (ت ٢٣٨هـ) و (المستخرجة) لأبى الوليد العتبى القرطبى (ت ٤٠٣هـ) وهى المشهورة بالعتبية فجاءت مشتملة على عشرات آلاف المسائل ، إذ فى المدونة وحدها أربعون ألف مسألة .. ثم انتشر المذهب المالكى وتفرع فى هذا الدور وكثرت فيه التخاريج والآراء وتعددت الاصطلاحات وتداخلت بين المدون من كلام مالك واللاحق به من تفسير وبيان واجتهاد .. فاحتاج إلى مزيد الضبط وتجديد التلخيص والتهذيب .. وقام بهذا الدور الهام أبو محمد عبدالله بن أبى زيد القيروانى (ت ٣٨٦هـ) فعمد إلى تلخيص المدونة والمستخرجة .. وألف كتابه الشهير السائر فى الأمصار (كتاب الرسالة) .. وكانت طريقته فيه هى التى ضربت المثل للاختصار ، وفتحت الباب للمختصرات التى توالت على تجديد التعبير وضبط المصطلح.."

وثمة نشاط لغوى بعيد الأثر فى تطوير المصطلح الفقهى دار حول الموطأ وكتب المذهب الأخرى ، لقد أقبل اللغويون يتتبعون ألفاظه ويشرحون غريبه وقد ذكر القاضى عياض .. ثلاثة من الذين ألفوا فى شرح غريب الموطأ : البرقى والأخفش أحمد بن عمران بن سلامة (ت ٢٥٠هـ) وأبو القاسم العثمانى المصرى .. وفى خزانة جامع الزيتونة – كما يثبت الفاضل بن عاشور – نسخة عتيقه من شرح على غريب الموطأ اسمه (التعليق) لأبى عبدالله بن السيد البطليوسى الأندلسى (ت ٥٢١هـ) " (١٧)

الفقـــه الحنفـــى

عكف فقهاء الحنفية على درس ما دونه الشيبانى من أصول المذهب وما دونه غـــيره ، بيد أنهم عُنوا بخاصة بالمبسوط والجامع . وكان كثير منهم يحفظون المبســـوط ويشـــرحونه لطلابهم، وتبين لهم أنه أحوج ما يكون إلى الإيجاز والتيسير .. وتكفل بذلك جماعة منـــهم : الحاكم الشهيد أبو الفضل محمد بن أحمد المروزى (ت ٣٣٤هـــ) فـــاختصر أهـــم مســـائله وسماه (المختصر الكافى) .. وقد أوتى هذا المختصر حظا عظيما من عناية الفقهاء فشرحه جماعة من أهمهم أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل السرخسى (ت ٤٩٠هـــ) . وشـــرح (الجامع) جماعة منهم الطحاوى أبو جعفر حمد بن محمد بن سلمة (ت ٣٢٢هـــ) والـــوازى أبو بكر أحمد بن على (ت ٣٧٠هـــ)

وثمة مصنفات أخرى غير هذه الشروح وضعها أئمة المذهب فى القرن الثالث والرابـــع الهجريين .(١٨)

الفقـــه الشافعـــى

اعتنى فقهاء الشافعية بكتب إمامهم وبخاصة (الأم) واهتموا بروايتها وإقرائها كـــالربيع بن سليمان المرادى المتوفى سنة ٢٧٠هـــ والزعفرانى ٢٦٠هـــ ، واختصـــر (الأم) أبـــو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزنى المتوفى سنة ٢٦٤هـــ ، ومختصره أحد الكتب الخمـــس المشهورة عند الشافعية ، وعليه كما يقول النديم – يُعول أصحاب الشافعى ، وله يقرأون وإياه يشرحون " شرحه جماعة من كبار الشافعية كأبى إسحق إبراهيم بن محمد المروزى المتوفـــى سنة ٣٤٠هـــ وهو فى ثمانية أجزاء وأبى الحسن على بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠هـــــ) وسمى شرحه الحاوى الكبير ، وأبى بكر محمد بن محمد الشاشى المتوفى ســـنة ٥٧٠هـــــ وسمى شرحه (الشافى) ، وأبى على حسين بن قاسم الطبرى المتوفى سنة ٣٥٠هـــ وســـمى شرحه (الإفصاح) .. وفى أصحاب هذه الشروح قال ابن سُريج : كانوا بين شارح مطـــول ومختصر معلل ، والجمع منهم معترف أنه لم يدرك من حقائقة غير اليسير " (١٩)

استقرار المصطلح الفقهى

مما نتبينه من مصنفات القرن الثالث المنشورة أنها كانت بداية تحول الألفاظ الدائرة بين فقهاء القرنين الأولين فى الفقه والحديث إلى مصطلحات فقهية ، وبمرور الأيام وبانتشار العلم وبتطور مناهجه استقرت المصطلحات فى القرن الرابع ، ومن أسباب نموها :

١ – التدوين فإنه يقتضى تحديد المعانى فى الألفاظ .

٢ – صبغ الأحكام بالصبغة العلمية بوضع الضوابط والقواعد .

٣ – ازدهار المدنية وانتشارها فى الآفاق وتعدد الداخلين فى سلطانها أجناسا ولغات .

٤ – الاختلاف بين فقهاء الحجاز (أهل الحديث) وفقهاء العراق (أهل الرأى) فإنه أدى إلى إمعان النظر فى أدلة الأحكام ومصادرها وتحديد ما تدل عليه مما أدى أيضا إلى اختلاف فى المصطلحات .

انظر مثلا فى خلافهم فى مدلول : الفرض والواجب والفاضل والفاسد فى المعاملات والعبادات وفى غير ذلك من مصطلحات ما كتبه الشيخ خلاف والفاضل بن عاشور . (٢٠)

وفى المقابلة بين ألفاظ الفقهاء فى القرون من الثانى إلى الخامس الهجرى وما بعده يقول الشيخ خلاف : ومن قرأ أحكام باب معين فى السنة (كالسَّلَم مثلا) ثم قرأه فى المبسوط أو فى الأم ، ثم قرأه فيما دون فى الفقه فى القرن الرابع والخامس وما بعدهما تبين أن أحكام الفقه تطور ترتيبها والتعبير عنها تطورا واضحا .

فالباب ينتظم فى فصول تضم عددا من المسائل أو الجزئيات ، وفى الباب تصريح بالأركان والشروط وبنوع الحكم .. الخ ويتبين أيضا أن الأحكام الفقهية أحكمت مصطلحاتها ، وظهرت فيها مصطلحات أخرى لم تكن معروفة من قبل .. وأنها فى ترتيبها وتبويبها وتعليلها ظهرت فيها صناعة وفن لم يكونا معهودين من قبل.

وفى تلك الكتب نجد العناية بالحدود أو التعريفات وبربط المعنى الاصطلاحى بالمعنى اللغوى ، ولهذا يقولون مثلا : العَوْل فى اللغة الزيادة ، وفى الاصطلاح زيادة سهام أصحاب الفروض عن أصل المسألة .. الخ " (٢١)

أصول الفقه ومصطلحه

عرّفه ابن خلدون بقوله : النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف " وأصول الأدلة الشرعية هى : الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وعلم أصول الفقه – كما يقول ابن خلدون – من العلوم المستحدثة فى الإسلام ، لأن السلف كانوا فى غُنْية عنه .. فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم صناعة .. واحتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل قوانين الاستدلال وقواعده لاستفادة الأحكام منها أصبح هذا العلم فنا قائما بذاته .. (٢٢)

ويكاد المؤرخون – قدامى ومحدثون – يتفقون على أن الشافعى هو أول من كتب فيه حين أملى رسالته المشهورة

يقول الرازى : فخر الدين (ت ٦٠٦هـ) فى (مناقب الإمام الشافعى) " كان الناس قبل الشافعى يتكلمون فى مسائل الفقه ويعترضون ويستدلون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى يرجع إليه فى معرفة الدلائل الشرعية وفى كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع ، فثبت أن نسبة الشافعى إلى علم أصول الفقه كنسبة أرسطوطاليس الحكيم إلى علم العقل " (٢٣)

بل إن الشيخ أحمد شاكر يرى فى صدر تحقيقه للرسالة : أن أبوابها ومسائلها التى عرض فيها للكلام على حديث الواحد والحجة فيه ، وإلى شروط صحة الحديث وعدالة الرواة ، ورد الخبر المرسل والمنقطع .. إلى غير ذلك مما يعرف من الفهرس العلمى فى آخر الكتاب ، هذه المسائل عندى أدق وأغلى ماكتب فى أصول الحديث " (٢٤)

وفوق ما ذكره الشيخ شاكر عن مصطلحات الحديث ، وما هو مبثوث فى كل صفحة من صفحات الرسالة من مصطلحات فقهية نجد بدايات المصطلح الأصولى فيما يذكره عن : العام والخاص ، والمجمل والمفسر والنسخ والترجيح والاجتهاد والقياس والواجب والفرض .. الخ

ثانيا :المصطلح النحوى

النحو ومصطلحه فى دور النشأة

النحو هو قرين الفقه فى نشأته المبكرة وفى تطور البحث فيه ، وفى تطور مصطلحه أيضا ، ومن ثم لم يكن غريبا أن يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به ، وأن نجد من بين الفقهاء نحاة ومن بين النحاة فقهاء .

والمتفق عليه بين المؤرخين أن العرب متأخرون زمنيا فى درس لغتهم عن كثير من الأمم المجاورة لهم أو المتصلين بها على نحو من الأنحاء ، فقد عُرف عن الهنود واليونان بل والسريان درس لغوى يتناول جوانب اللغة المختلفة ، ولهذا مال بعضهم إلى أن نشأة البحث اللغوى عند العرب خاضعة لتأثير أجنبى ، يونانى عند بعضهم وهندى عند آخرين ، بيد أن مؤرخين آخرين قدامى ومحدثين يؤكدون أن البحث اللغوى عند العرب أصيل ومن نتاج العقلية العربية مع أن المصادر القديمة التى تتحدث عن هذه النشأة تتضارب فيما بينها تضاربا شديدا ، ولا يمكن القطع برأى حاسم فى هذه النشأة كما يقول بروكلمان " (٢٥)

وانظر فى تفصيل القول وفى ترجيح رأى ما كتابنا (مصادر البحث اللغوى)

وتختلف المصادر العربية فى أول من رسم النحو أو العربية ، فقال قائلون على بن أبى طالب ، وقال آخرون أبو الأسود وقال آخرون بآخرين .

وإذا كان النحو للإمام على فقد وضع سنة ٤٠هـ وإن كان لأبى الأسود بمشورة من الإمام أو من زياد فقد وضع إذاً بين سنتى ٤٠ أو ٥٠ من الهجرة ، وكلا الأمرين – كما يقول إبراهيم مصطفى – يجعل وضع النحو مبكرا جدا ... والباحثون حديثا يستبعدون هذا التبكير ويرون فيه شذوذا للنحو عن تطور الحياة العربية ونشأة علومها " (٢٦)

غير أن أبا الأسود قد قام بعمل لغوى أولى من شأنه أن يحفظ العربية حقا مما اعتورها من لحن – وهو غير ما تدعيه بعض المصادر من أنه وضع أبوابا فى النحو عرضها على الإمام وأقره عليها بل وزاد فيها – ذلك أنه وضع أول نقط يضبط أواخر الكلمات فى القرآن ، وفى هذا العمل يقول الدكتور شوقى ضيف : وكان هذا الصنيع الخطير الذى سمى باسم :

رسم العربية ، سببا فى أن يختلط الأمر فيما بعد على الرواة فتظن طائفة منهم أن أبا الأسود رسم النحو .. وإنما رسم إعراب القرآن بنقط أواخر كلماته"(٢٧)

وقد ورد على لسان أبى الأسود حين أمر كاتبه بملاحظة شفتيه وهو يقرأ كلمات : الحرف والفتح والضم والكسر والغنة . لقد قدر لهذه الكلمات أن تكون أوائل المصطلح النحوى حين يظهر النحو بالمعنى العلمى فيما بعد .

وقد اقتفى تلامذة أبى الأسود ، نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) وابن هرمز (ت ١١٧هـ) وابن يعمر (ت ١٢٩هـ) وغيرهم ، وهم جميعا من قراء القرآن ، آثار أبى الأسود فى النقط ، وأضاف إليه نصر بن عاصم نقط الإعجام ، وبه وبنقط الإعراب ضُبط النص القرآنى وأحيط بسياج منيع يحميه من اللحن .

أما ما ترويه المصادر العربية من نسبة شئ من النحو إلى تلامذة أبى الأسود فليس مَرْضِيًّا ، ولا يخرج عن كونه تصحيحا لقراءة قارئ أو مراجعة لقول قائل .

النحو ومصطلحه فى دور التدوين (الأصول)

النحو – بالمعنى العلمى – قرين النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، نهض به جماعة من النحاة منهم : عبد الله بن أبى إسحق (ت ١١٧هـ) وعيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ).

يقول إبراهيم مصطفى : أما هذا النحو الذى بين أيدينا فنشأ مع القرن الثانى ، وأول من تكلم فى مسألة من مسائله عبد الله بن أبى إسحق ... ولم يكد ينتهى هذا القرن حتى كان النحو قد استوى علما تاما جامعا كما نراه اليوم فى كتاب سيبويه " (٢٨)

وتذكر كتب الطبقات عن ابن أبى إسحق أنه كان شديد التجريد للقياس ، والقياس عندهم هو النحو ، وأنه لحن الفرزدق (٢٩) ، وقد روى عنه سيبويه فى كتابه أربع مرات ، (٣٠) وتذكر أيضا لعيسى بن عمر أنه وضع فى النحو رسائل ومصنفات اشتهر منها مصنفان هما : الجامع والإكمال ، وزعم بعضهم أن الجامع هو أصل كتاب سيبويه زاد فيه وحشاه بأقوال الخليل . (٣١) وقد روى عنه سيبويه فى كتابه اثنين وعشرين مرة.(٣٢)

وفيما نسب إلى هذه الطبقة من العلماء يرى إبراهيم مصطفى : أن ما روى فى الكتاب عن ابن أبى إسحق وعيسى بن عمر وطبقتهما من أنظار نحوية كان فى الغالب إما قراءة من

القرآن وبيان حكم القراءة فى النحو : وإما استعمالا عربيا فى شعر أو نثر ، وبيان حكمه رفعا أو نصبا أو جرا .. أما توجيه الحكم فما يظنه إلا لسيبويه وطبقته (٣٣)

وهذه الطبقة التى بدأ على أياديها النحو بالمعنى الفنى لها دور مواز فى العملية الاصطلاحية ، فهم الذين مهدوا لظهور كثير من مصطلحات النحو . (٣٤)

كتاب سيبويه وأثره فى تطور النحو ومصطلحه

كان النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى أخطر أزمان النحو العربى بغير جدال ، فقد ظهر فى نهايته كتاب العربية الأشهر ودستورها الخالد (كتاب سيبويه) المتوفى سنة (١٨٠هـ)، قال عنه السيرافى : وعمل كتابه الذى لم يسبقه إلى مثله أحد ، ولم يلحق به من بعده أحد " (٣٥) . ولم تختلف آراء النحاة والمؤرخين منذ ظهر إلى اليوم فى تقدير مكانته تلك . فهو – بشكل أو بآخر – يمثل أوضح وأكمل صورة لبنية النحو العربى ونظريته ، وشواهده وأمثلته ماتزال أعلى ما يستشهد به على قواعد العربية ، وما زال لكثير من تحليلاته للأساليب العربية اعتبار بين الباحثين المحدثين . ودوره فى ابتداع المصطلح النحوى واستقرار جملة منه واضح بارز .

مادة الكتاب من لغة العرب غنية ، فما أكثر شواهده من شعر العرب وكلامهم ومن القرآن وقراءاته ، وفيه من الأمثلة والعبارات مايعز على الحصر .

ويتناول الكتاب مباحث ومسائل متفرقة تتعلق بعلوم العربية ، ولكن أغلبها مباحث نحوية فصرفية فأصواتية ، وفى ثنايا تلك المباحث تتناثر مسائل فى العروض والبلاغة والدلالة .

وبكل أسف لم يضع سيبويه لكتابة مقدمة يذكر فيها موضوعه ومنهجه فقد اخترمه الموت قبل أن يصنع ذلك ، بل لم يسمه ، وتكفل الزمن بتسميته (الكتاب) فصار بتلك التسمية علما فريدا .

وبين الباحثين المحدثين جدل طويل فى وجود منهج له وفى طبيعة هذا المنهج ، ولأستاذنا على النجدى فى الأمرين رأى عميق دقيق هو حصيلة سنين فى صحبة الكتاب يقول : منهج الكتاب منهج الفطرة والطبع يدرس أساليب الكلام فى الأمثلة والنصوص ليكشف عن الرأى فيها صحة وخطأ أو حسنا وقبحا ، أو كثرة وقلة ، لايكاد يُعَرِّف معرفا أو يلتزم مصطلحا أو يفرع فروعا أو يشترط شروطا على نحو ما نرى فى الكتب التى صنفت

لعهد ازدهار الفلسفة واستبحار العلوم ، فهو فى جملة الأمر يقدم مادة النحو الأولى موفورة العناصر لايكاد يعوزها إلا استخلاص الضوابط وتصنيع الأصول على ما تقضى الفلسفة المدروسة والمنطق الموضوع ، وفرق ما بينه وبين الكتب التى جاءت بعد عصره كفرق ما بين كتاب فى الفتوى وكتاب فى القانون ، ذلك يجمع جزئيات يدرسها ويصنفها ويصدر أحكاما فيها والآخر يجمع كليات يصنفها ويشققها لتنطبق على الجزئيات " (٣٦)

النحو بين الخليل وسيبويه

اجتمع الناس على تعظيم الكتاب حتى سماه بعضهم قرآن النحو ، ولكن أبا العباس ثعلب (ت ٢٩٠هـ) من أئمة الكوفيين شكك فى خلوص الكتاب لسيبويه وقال : اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه ، والأصول والمسائل للخليل . (٣٧) ولكن الكتاب – كما يؤكد المدققون فى درسه – يسير على نمط واحد من التأليف ، وعبارته فيه تسلك سبيلا واحدا من البيان ... وكان سيبويه معنيا أشد العناية بعزو كل رأى إلى صاحبه وكل شاهد إلى راويه ، ومن ثم فلا وجه لاجتماع هؤلاء الأناسى على تأليفه.

أما ما ادعاه ثعلب من أن أصول الكتاب ومسائله للخليل فربما كان له من الحق نصيب، فقد اختص سيبويه نفسه بالخليل ولازمه ملازمة الحريص المحب ، وكان الخليل يكرمه بما يعلم ويؤثره به ، وقد أكثر سيبويه من التصريح باسمه ومن الرواية عنه فى الكتاب ، وإذا قال : وسألته أو قال من غير أن يذكر القائل فإنما يعنيه ، وجملة ما روى عنه – على ما ذكره الأستاذ على النجدي : اثنان وعشرون وخمسمائة مرة ، وهو قدر لم يرو مثله ولا قريبا منه عن أحد من أساتذته .

وللخليل – كما تبين قبلا – من نحو الكتاب حظ عظيم ، وله أيضا من مصطلحه حظ يوازيه. وقد ذكر الخوارزمى فى مفاتيحه بعض مصطلحاته فى وجوه الإعراب : كالرفع والضم والتوجيه والحشو والنجر والإشمام والنصب والفتح .. الخ (٣٨)

وتتناثر فى (العين) مصطلحات أخرى نجدها فى الكتاب بمعناها مثل : الاستثناء ، والتحذير ، والنداء ، والجزاء ، والفعل الماضى ، والفعل الناقص ، والصرف ، وعدم الصرف .. الخ (٣٩) وبعضها لعله من عنده فهو يسمى حروف الجر حروف الصفات ، ويسمى حروف العطف حروف النسق ، ويسمى الزيادة صلة ، والنفى جحدا ، وياء المتكلم ياء الإضافة .. الخ (٤٠) ومع ذلك فإنه لا يستقر على ما ذكره، ففى مواضع أخرى من كتابه

يعود فيستعمل حروف الجر وحروف العطف ... وهو لايفرق دائما بين ألقاب الإعراب من الرفع والنصب والجر والجزم وألقاب البناء من الضم والفتح والكسر والسكون ، فيذكر ألقاب الإعراب للمبنى. (٤١)

أما ما يتردد بينه وبين سيبويه من ألفاظ فيما يحكيه عنه فى الكتاب من مسائل النحو وأحكامه وأصوله فلا ندرى أهى من عنده خاصة أم مما كان عند سلفه من العلماء الذين أسماهم أهل النحو (٤٢) وسماهم سيبويه النحويين . (٤٣)

وعلى أية حال فالمصطلح النحوى فى تلك المرحلة لم يكن قد استقر بعد ، ويصعب عزوه إلى من ابتدعه ، فأغلبه دُولة بين نحاة المرحلة جميعا .

ولهذا فلست مع بعض المجتهدين الذين نسبوا ما يتردد بين سيبويه والخليل الى الخليل فحسب (٤٤)

المصطلح النحوى فى الكتاب

لم يكن سيبويه صاحب كل تلك المصطلحات الواردة فى كتابه بل ورث بعضها من أسلافه وعلى رأسهم الخليل أستاذه ، ولم يكن سيبويه هو واضع النحو أو مؤسسه الأوحد ، ومن ثم فحظه من تلك المصطلحات بحجم دوره فى وضعه أو تأسيسه .

ولم يكن للنحو قبل سيبويه أو فى كتابه مصطلحات مستقرة ، وما استعمله سيبويه فى التعبير عن مفاهيم النحو وأحكامه كان فى الغالب أسماء عابرة وتراكيب متغيرة لاتكاد تثبت على لفظ واحد إلا قليلا .

وكان سيبويه حين يعوزه اللفظ المناسب للمفهوم الذى يقصد إليه يضطر إلى وصفه بذكر خصائصه وبتمييزه عما عداه ، انظر وهو يقول عما سمى فيما بعد بالتركيب المزجى : هذا باب تحقير كل اسم كان من شيئين ضم أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد " (٤٥)

وانظر أيضا وهو يسمى ما عُرف فيما بعد بأسماء الأفعال : الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل ".

وقد قدر لكثير من الأسماء التى استعملها سيبويه فى كتابه أو نقلها عن أسلافه – أن يستقر مصطلحا يتناقله النحاة جميعا من بعده مثل : الاسم والفعل والحرف والاستثناء والنداء والترخيم والمبتدأ والخبر .. الخ

وقد عيب على سيبويه أنه قد كان يستخدم المصطلح فى موضع ثم يعدل عنه إلى مصطلح آخر فى موضع آخر بنفس المعنى ، فقد استخدم مصطلح التصغير فى أبواب ثم مصطلح التحقير فى أبواب أخرى ، وهو يسمى حروف الجر بحروف القسم وبحروف الإضافة ، ويسمى الإضافة النسبة .. الخ (٤٦)

وقد عيب عليه أيضا أنه اضطرب شيئا ما فى تسمية بعض المفاهيم النحوية فى مواضع من كتابه ، فقد سمى الخبر حالا ، والعطف بدلا والتوكيد صفة ، والمقصور منقوصا .. الخ (٤٧) على ماهو معروف من مصطلح المتأخرين .

وهى أمثلة تؤكد ما سبق أن قررناه من أن المصطلحات إلى عهده لم تكن مستقرة ، كما أن مفاهيمها لم تكن ثابتة ، وهو أمر غير مستغرب فى أول كتاب جامع فى النحو ، وقد اعتذر عنه ابن كيسان وقال : نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب ألف فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذهبهم " (٤٨)

وفى الكتاب إلى جانب المصطلحات الخاصة بأبواب النحو مصطلحات أخرى خاصة بالمنهج الذى استخدمه فى اختيار النصوص المدروسة ، وفى تفسير خصائصها وفى الحكم عليها ، مما عرف فيما بعد بأصول النحو مثل : السماع ، القياس ، الكثير ، القليل ، الشاذ ، الحسن ، القبيح ، العامل ، الإلحاق ، الإتباع، الاستغناء ، الترادف .. الخ

وعلى أية حال فالمصطلح النحوى فى الكتاب شمل المفاهيم الأساسية التى تحدد خصائص العربية فى بنيتها اللغوية وفى الغاية من استعمالها . والمنهج الذى استخدمه النحاة فى درسها . حتى بداية القرن الثالث الهجرى .

تطور المصطلح النحوى بعد سيبويه

وقد كان من الطبيعى أن يتطور المصطلح النحوى وينحو إلى الاستقرار بعد سيبويه ، وأوضح مثل لذلك ما حدث لبعض الأبواب من تغير فى تصنيف مسائلها وفى مصطلحها .

من ذلك مثلا أنه صنع بابا أسماه : هذا باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل واسم المفعول لشئ واحد .. وذلك كان ويكون وصار ودام وليس وما كان نحوهن .. الخ (٤٩)

فالفعل ، فى هذا الباب هو كان أو إحدى أخواتها ، عنده كالأفعال المتعدية التى يجئ معها فاعل مرفوع ومفعول به منصوب ، ولكنها تتميز عنها أنها إذا نصبت المفعول لاتستغنى عن مفعولها ، أى الخبر فى عبارة المتأخرين .

ولم يقدر لهذا الباب أن يبقى كما أراد سيبويه ، فأطلق النحاة المتأخرون على كان وأخواتها مصطلح (النواسخ) يقصدون أنها تنسخ حكم المبتدأ وجعلوا مرفوعها اسما لها ومنصوبها خبرا .

وثمة مرحلة انتقالية بين سيبويه والمتأخرين ، فقد سمى ابن السراج مرفوعها المشبه بالفاعل فى مواضع من كتابه (الأصول) (٥٠)

المصطلح الكوفى

يبدأ نحو الكوفة بدءا حقيقيا بالكسائى (ت ١٨٩هـ) وتلميذه الفراء (ت ٢٠٧هـ) أما الأول فهو الذى رسم منهج النحو الكوفى على أسسه الثلاثة ، الاتساع فى الرواية والاتساع فى القياس ، والاتساع فى مخالفة البصريين فيما استقروا عليه ... وقد مضى الفراء على نهج أستاذه يوسعه ويعمقه حتى استوى فى صورته النهائية التى أصبح بها مخالفا لنحو البصرة . (٥١)

بيد أن أكثر الخلاف بين المدرستين كان يدور حول المصطلحات ، فقد أكثر الفراء من التبديل والتغيير فى المصطلحات التى وضعها الخليل وسيبويه ، وأضاف إليها مصطلحات جديدة ، فمن جديده مصطلح (الصرف) ومرادفه (الخلاف) الذى يقصد به تفسير النصب فى باب الفعل المضارع بعد الواو والفاء وأو وباب المفعول معه ، ومن ذلك أيضا أنه يسمى الفعل المتعدى الفعل الواقع ، ويسمى الظرف محلا ، والتمييز مفسرا ، والضمير المكنى أو الكناية وضمير الشأن العماد .. الخ (٥٢)

ومن غير شك كان ما صنعه الفراء تطورا بالغ الأثر فيما استقر بين النحاة المتأخرين الذين اختاروا من مصطلحات المدرستين وإن رجحوا مصطلحات البصريين .

وانظر كتابنا (مصادر البحث اللغوى) ص ١٢١ – ١٢٤ .

النحو ومصطلحه فى دور النضج (القرن الثالث والرابع)

ألقى (الكتاب) بظله الكثيف على صناعة النحو فى القرن الثالث الهجرى فلم نجد من نحاته من استطاع أن يغير فيه أو يضيف إليه ، فقد شُغل أبو الحسن الأخفش (ت ٢١١هـ) بروايته وإقرائه ، وعُنى الجرمى (ت ٢٢٥هـ) بأبنيته وغريبه ، وألف المازنى (ت ٢٤٩هـ) كتابا هو (التصريف) كان صدى لما صنعه سيبويه ، وهؤلاء من أكابر تلامذته ، وجاء المبرد (ت ٢٨٥هـ) وهو من تلامذة المازنى فصنع (المقتضب) وكان أثر سيبويه متغلغلا فى أعماقه – كما يقول الشيخ عضيمة . (٥٣)

شهد القرن الرابع الهجرى أول محاولة منهجية لإعادة النظر فى كتاب سيبويه ، قام بها نحوى بصرى من تلاميذ المبرد هو أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) فى كتابه (أصول النحو) الذى جمع فيه أصول العربية أى قواعدها ورتبها – كما يقول الأنبارى – أحسن ترتيب"(٥٤)

وقد وصف ابن السراج كتابه فأصاب حين قال : أعلنت فى هذا الكتاب أسرار النحو ، وجمعته جمعا يحصره ، وفصلته تفصيلا يظهره ، ورتبت أنواعه وصنوفه على مراتبها بأخصر ما أمكن القول وأبينه "(٥٥)

وحين نقرن ما صنعه جمعا وتصنيفا وترتيبا بما صنعه سيبويه فى كتابه أو المبرد فى مقتضبه نتبين فضله فى البحث النحوى بعامة والتعليمى منه بخاصة ، لقد رتب كتابه على شكل أصبح مرعيًا منذ وضعه حتى اليوم ، بدأه بباب لأقسام الكلام ثم ثان للإعراب والبناء .. ثم باب للأسماء المرفوعة وآخر للأسماء المنصوبة وثالث للأسماء المجرورة .. ثم ينتقل بعد ذلك إلى التوابع . ثم الى نواصب الأفعال وجوازمها ... الخ وبعد أن ينتهى من أبواب النحو ينتقل إلى أبواب الصرف ويفصّل فيها ، ثم إلى باب الإدغام . ثم يختمه بباب عن الضرورة الشعرية .

ويعلو قدر ابن السراج بين أقرانه بما استخلصه من مسائل النحو من أحكام عامة أو أصول ، وقد أطلق عليه أنه مخترع علم أصول النحو .

انظر مثلا حديثه عن (العلة ١/٣٥)

بيد أن لابن السراج دورا آخر لا يقل أهمية عما سلف وهو دوره في الاصطلاح النحوى بعامة وفى جانب التعريف أو الحد بخاصة .

كان ابن السراج ينحو إلى تعريف المصطلحات النحوية الأساسية تعريفا منطقيا محكما لم نعهده من قبل، حقا كنا نجد أحيانا التعريف بالمثال أو بالأقسام عند سيبويه ، ولكننا قلما نجد عنده التعريف الذى يحدد ماهية المعَّرف تحديدا منطقيا .

ولم يكن هذا مستغربا من نحوى أخذ المنطق على المعلم الثانى ، يقول ابن أبى أصيبعة إن الفارابى كان يجتمع بأبى بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه المنطق " (٥٦)

وإنك لتلمس بوضوح أثر المنطق الأرسطى فى تعريفه للاسم بأنه ما دل على معنى مفرد شخصا أو غير شخص .. وتعريفه للفعل بأنه ما دل على معنى وزمان ، وإنك لتجده قد أخذ هذا وذاك وأشياء أخرى من الفارابى انظر : (٥٧)

وابن السراج بصرى يعتمد أصول البصريين ومصطلحاتهم ، بيد أنه خالف فى بعضها ، وعول على بعض من مسائل الأخفش والكوفيين ، وجرى فى كتابه بعض مصطلحاتهم كالنسق والجحد والصفة والمكنىّ .. الخ

وبعد فإن تأثر ابن السراج أو أحد من طبقته بالمنطق اقتصر أو كاد على بعض الجوانب المنهجية كتقسيم بعض الأبواب أو تعريف بعض المصطلحات . (٥٨)

لقد أقام سيبوية وطبقته النحو على أسس مستنبطة من الصفات الذاتية فى العربية الفصحى : الصوتية والصرفية والنحوية ، وهو بناء يختلف فى خصائصه الأساسية عن بناء النحو اليونانى الذى قيل إن النحاة العرب قد استفادوا منه فى درس لغتهم ، وذلك لأن العربية الفصحى اشتقاقية تعتمد على الاشتقاق غالبا فى توليد ألفاظها ، ومُعْرَبة تعتمد على الإعراب غالبا فى تحديد وظائف الألفاظ فى الجملة . وليست كذلك اليونانية .

وكذلك كان المصطلح النحوى عربيا خالصا ، لقد استخدم النحاة الأوائل وعلى رأسهم الخليل وسيبويه الألفاظ المتداولة بين العرب وحملوها المفاهيم الجديدة للنحو الذى ابتدعوه ، وتداول النحاة من بعدهم هذه المصطلحات ، فأضافوا إليها بعضا قليلا، وهجروا بعضا قليلا، وغيروا فى مدلول بعضها حتى استقر وضعها تماما بين النحاة المتأخرين من شراح الألفية حتى عصر النهضة الحديثة .

ثالثا : المصطلح الكلامى

علم الكلام ومصطلحه فى دور النشأة

مر علم الكلام منذ نشأته إلى اليوم بمراحل زمنية متميزة من حيث موضوعات البحث ومناهجه ، ومن حيث الظروف العامة أو الخاصة للفكر الإسلامى وللحياة الإسلامية ، وقد كان المصطلح الكلامى مواكبا له ينمو بنموه ويتوقف لوقوفه .

ويعنينا هنا المراحل الثلاثة الأولى منها ، وهى مرحلة النشأة من القرن الأول وأوائل القرن الثانى ، ومرحلة التدوين وظهور الفرق ، وتستغرق القرون الأربعة منذ أوائل القرن الثانى حتى نهاية القرن الخامس تقريبا ، ومرحلة التطور والاختلاط بالفلسفة ، وتشغل القرون من السادس حتى التاسع الهجريين(٥٩) .

والمقصود بالمرحلة الأولى المرحلة التى بدأت فيها المناقشات ، وظهرت فيها الخلافات فى بعض المسائل الاعتقادية ، تحولت فيما بعد إلى اتجاهات تبنتها طوائف أو جماعات ، ولكن مانتج عنها من مباحث لم يدون كله ، ولم تتحول تلك الاتجاهات إلى مذاهب مكتملة لها آراؤها فى جملة المسائل الاعتقادية .

وتؤكد الدراسات الموضوعية – كما يقول الدكتور حسن الشافعى – أن هذه المباحث الاعتقادية – وهى أمر تولد عن اتجاهات الخوارج والمرجئة والقدرية ومن على شاكلتهم – تعود فى الأصل إلى الكتاب والسنة ، وإلى تفاعل العقل المسلم فى عصر الصحابة والتابعين مع هذين المصدرين . (٦٠)

ومن أهم المسائل التى دار حولها النقاش آنذاك : مسألة مرتكب الكبيرة ، الجبر والاختيار ، والإمامة ، وفى تلك المناقشات كانت تدور ألفاظ مثل : الكبيرة والكفر والمعصية والفسق ، والإرادة والجبر والتفويض والاستواء والعصمة والرجعة .. الخ لم يتحدد مدلولها تماما فى تلك المرحلة ، ولكنها فى مرحلة تالية سوف تستقر عند مدلول معين عند فرقة أو أخرى من فرق الكلام .

علم الكلام ومصطلحه فى دور التدوين وظهور الفرق

وفى تلك المرحلة منذ أوائل القرن الثانى " بدأت بحوث المسلمين حول العقيدة تدخل فى طور جديد ، فتعقد لها حلقات متخصصة وتنشأ فيها اتجاهات واضحة ، وتتحول إلى مذاهب متكاملة ، لها آراؤها المتميزة فى مختلف مسائل العقيدة لا فى واحدة منها فحسب ، وغالبا ما تعتنق هذه المذاهب فرق أو جماعات فيها القادة وفيها الأتباع ، لايقتصرون على وضع أصول المذاهب نظريا أو اعتناقها فكريا ، بل قد ينزعون أيضا إلى تطبيقها عمليا فى جوانب حياة المجتمع المسلم الروحية والسياسية والاجتماعية والفنية " (٦١)

وفى بداية تلك المرحلة ظهر واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٤هـ) وهما المؤسسان الحقيقيان لمذهب الاعتزال ، وإلى الأول تنسب الأصول الخمسة للمعتزلة وهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٦٢)

والمعتزلة - كما يقول الدكتور مدكور - : هم دون نزاع المؤسسون للمدرسة العقلية الأولى للإسلام " ولم يقف المعتزلة عند المباحث الإلهية - بل كانت لهم نظريات فى الطبيعة والسيكولوجيا والأخلاق ، مما يعطى لدورهم فى الحياة العقلية للمسلمين أهمية خاصة بل إن لهم دورا متميزا فى إنشاء المصطلح الكلامى .

وعن هذا الدور يقول : نستطيع أن نقف على كثير من المصطلحات التى لجأ إليها المعتزلة ، وكان طبيعيا أن يصطلحوا ، فقد بحثوا وآثاروا مشكلات عدة كان لابد لهم أن يعبروا عنها ويختاروا للدلالة عليها الألفاظ الملائمة " (٦٣)

ولايشير الدكتور مدكور إلى مصطلحاتهم الخاصة بمذهبهم أو أصولهم بل يشير كذلك إلى تلك المصطلحات التى تبناها الفلاسفة من بعدهم وبقيت تتردد فى المدارس المختلفة مثل : الجزء الذى لايتجزأ أو الجوهر الفرد ، والجسم والروح ، والجوهر والعرض ، والحركة والسكون ، ولهم - كما يقول : تعبيرات تحمل صدى أرسطو وتردد آراءه ، كذلك الذى يُعْزَى إلى أبى هذيل العلاف من قوله (الله عالم وعلمه ذاته).

وجملة القول فى المعتزلة : أن لديهم مصطلحات فلسفية ، كما أن لديهم فلسفة ، وإذا كان التفكير الفلسفى الإسلامى قد نبت على أيديهم فليس غريبا أن تنبت معه الألفاظ

والعبارات التى تؤديه ، وأوضح ما يلحظ على هذه الألفاظ أنها عربية خالصة ، ذلك لأن واضعيها تمكنوا من اللغة تمكنا تاما"(٦٤)

وقد شن الحنابلة حربا عنيفة على المتكلمين ، وقال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : لست صاحب كلام ، وإنما مذهبى الحديث " ونسب إليه قوله : لايفلح صاحب كلام أبدا " وكان مما أخذوه عليهم كلامهم عن : الحركة والسكون والجسم والجوهر والعرَض .. وغير ذلك من مصطلحات المعتزلة التى تتردد فى احتجاجاتهم .

وقد رد عليهم أبو الحسن الأشعرى (٣٢٤هـ) فى كتاب له بعنوان (رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام) ، ومما قاله : وزعموا أن الكلام فى الحركة والسكون والجسم والعرض والألوان والأكوان والجزء والطفرة ، وصفات البارى – عز وجل – بدعة وضلالة ، وقالوا : لو كان هدى ورشادا لتكلم فيه النبى وخلفاؤه وأصحابه .. ولم يمت النبى حتى تكلم فى كل ما يحتاج إليه من أمور الدنيا .." (٦٥)

ثم يقول – فيما يخص استعمالهم الألفاظ العربية على النحو السابق المنُكَر : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يجهل شيئا مما ذكرتموه من الكلام فى الجسم والعرض والحركة والسكون والطفرة ، وإن لم يتكلم فى كل واحد من ذلك كلاما معينا ، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة . غير أن هذه الأشياء التى ذكرتموها معينة أصولها موجودة فى القرآن جملة غير مفصلة " .

ثم يأخذ فى استخراج معانى تلك الألفاظ وغيرها مما يتداوله المتكلمون – من القرآن الكريم(٦٦)

علم الكلام ومصطلحه فى دور التطور والاختلاط بالفلسفة

وفى المرحلة الثالثة من مراحل علم الكلام ، مرحلة التطور والاختلاط بالفلسفة خضع لتغير جديد شمل مادته ومناهجه وطريقة توزيع موضوعاته ومصطلحاته أيضا .

- فيما يتعلق بالمادة اختلط علم الكلام بإنتاج الفلاسفة المسلمين فى الإلهيات بل وفى البحوث الطبيعية وغيرها .

- ومن حيث المنهج نجد أن معظم المتكلمين قد اعتمدوا المنطق اليونانى واستخدموا أساليبه الصورية إلى جانب المناهج الكلامية التقليدية التى استمد أكثرها من مناهج الفقهاء ومباحث أصول الفقه .

- وقد كان طبيعيا بعد هذا الامتزاج بين الكلام والفلسفة أن تنمو المصطلحات الكلامية وتتطور وتزداد ارتباطا بالفلسفة بعد أن كانت فى غالب أمرها قرآنية فقهية ، وقد يكشف عن هذا التغيير كتاب ابن فورك ٤٠٦هـ (الحدود فى الأصول) وهو يقصد أصول الدين وأصول الفقه ، وكتاب الآمدى ٦٣١هـ (المبين فى معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين) الذى مزج – كما يدل عنوانه – بين مصطلحات الفلسفة وعلم الكلام . (٦٧)

وفى هذه المرحلة ظهرت الموسوعات العامة فى علم الكلام مثل (أصول الدين) و(الفَرْق بين الفِرق) للبغدادى (ت ٤٢٩هـ) و (الفِصل فى الملل والنحل) لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) .. الخ والخاصة بفرقة كلامية بعينها مثل (شرح الأصول الخمسة) و (المغنى فى أبواب التوحيد) للقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) وهما من أصول المعتزلة.

وسوف نتبين العلاقة بين مصطلحات الكلام والفلسفة عند حديثنا عن (المصطلح الفلسفى).

رابعا : المصطلح الصوفى

صوفى وصوفية

اسمان محدثان فى الإسلام بعد عصر الصحابة والتابعين .

ورد الاسم (صوفى) أول مرة فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى نعتا لأبى هاشم الكوفى المتوفى ١٥٠هـ ، وعنه يقول (جامى) فى (نفحات الأنس) : هو أول من تسمى بالصوفى (٦٨) وورد كذلك نعتا لجابر بن حيان المتوفى ٢٠٠هـ ، وعنه يقول صاعد فى (طبقات الأمم) : كان متقدما فى العلوم الطبيعية بارعا فى صناعة الكيمياء ... ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام " (٦٩)

أما صيغة الجمع (صوفية) فقد ظهرت عام ١٩٩هـ فى خبر فتنة قامت بالإسكندرية ، وكانت تدل على مايراه المحاسبى والجاحظ على مذهب من مذاهب التصوف يكاد يكون شيعيا ، نشأ فى الكوفة ، وكان عبدك الصوفى المتوفى ٢١٠هـ آخر أئمته .(٧٠)

وقد أكثر العلماء القول فى اشتقاق هذا الاسم قديما وحديثا ، والقول المرجح أنه من (الصوف) اسما ، يُدل به على من يلبس الصوف ويتجرد لحياة هذه الطائفة المخصوصة من العباد . (٧١)

وليس لدينا من دليل على ما يزعمه الطوسى من أن هذا الاسم كان معروفا قبل الإسلام(٧٢).

التصوف

التصوف فى صورته الناضجة أو الكاملة : فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس الإنسانية أخلاقيا ، وتتحقق بواسطة رياضات عملية معينة تؤدى إلى الشعور فى بعض الأحيان بالفناء فى الحقيقة الأسمى ، والعرفان بها ذوقا لا عقلا ، وثمرتها السعادة الروحية ، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتيته " (٧٣)

. بيد أنه - كما يقرر الدكتور التفتازانى - فى دور نشأته وفى أدوار تطوره قد تتحقق فيه خصيصة أو خصائص من تلك الخصائص الواضحة فى التعريف السابق .

هذا ولا يتسع المقام هنا لتعريف التصوف فى المصادر الإسلامية كاللمع والتعرف والرسالة ، فالتعريفات الواردة فى هذه المصادر كثيرة العدد وأغلبها رمزى غامض وتتطلب تفسيرا ، وقد تكفل العلامة نيكلسون بهذا العمل الجليل فدرس ما يقرب من مائة تعريف منها ورتبها تاريخيا ليكشف عن تطور مفهوم هذا المصطلح المحدث من القرن الثالث الهجرى حتى أواخر القرن الرابع) (انظر هذه الدراسة فى التصوف الإسلامى وتاريخه ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ص ١ - ٤١)

التصوف ومصطلحه فى دور النشأة (مرحلة الزهد)

وتقع هذه المرحلة فى القرنين الأول والثانى من الهجرة تقريبا ، وطريقة المنتسبين إلى تلك المرحلة هى الأصل فيه ، وهى - كما يقول ابن خلدون - طريقة سلف الأمة من كبار الصحابة والتابعين ومن بعدهم " وهى قائمة على العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن متاع الدنيا ، والزهد فيما يسعى إليه الناس من متاع أوجاه ، والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة (٧٤)

وفى تصوف تلك المرحلة يقول نيكلسون : هذا النوع من التصوف كان - أو على الأقل من المحتمل أنه كان - وليدا لحركة الإسلام ذاته ، ونتيجة لازمة لفكرة الإسلام عن الله . " وكان تصوف المنتسبين الى هذه المرحلة : " معتدلا ، وعلى الرغم من أنهم ذهبوا فى أساليب الزهد والرضا إلى أبعد حد ممكن ، فإنهم كانوا بعيدين عن أحوال الجذب والوجد وما لزم عنهما من البحوث النظرية الجريئة التى ظهرت فى التصوف المتأخر " وقد أدى بهم حبهم لله وخوفهم منه إلى " الاستسلام المطلق لإرادة الله لا إلى المعرفة الكاملة بوجوده ، فهم وسط بين الزهد والمعرفة أو الثيوسوفيا " (٧٥)

التصوف ومصطلحه فى دور النضج (علم ومدرسة)

كان للقرن الثالث شأن خطير فى تطور التصوف ، فقد أصبح علما كغيره من علوم الشريعة . ظهر التصوف فى صورة جديدة مخالفة لتصوف القرنين الأول والثانى . لقد أصبح حركة منظمة ومدرسة يتخرج فيها الأولياء .. مدرسة لها قواعدها ورسومها .. وأصبح المريد يتلقى قواعد الطريق ويخضع لإرشاد أستاذه، وفى هذه المرحلة اشتجر

الخلاف جهرة ولأول مرة بين المتصوفة والفقهاء وسيق أمام قضاة بغداد ذو النون المصرى ٢٤٠هـ وأبو حمزة ٢٨٩هـ والحلاج ٣٠٩هـ . (٧٦)

وفى هذا التطور يقول ابن خلدون : صار علم الشريعة على صنفين : صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهى الأحكام العامة فى العبادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم (المتصوفة) فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم " (٧٧)

لقد وضع صوفية القرن الثالث والرابع – كما يقول نيكلسون : نظاما كاملا فى ناحيتيه النظرية والعملية ، ولكنهم لم يكونوا فلاسفة ، ولم يعنوا إلا قليلا بالمشكلات الميتافيزيقية " (٧٨)

كان تصوف الكرخى ٢٠٠هـ فى جوهره وسيلة للمعرفة ، كما يدل عليه تعريفه للتصوف بأنه الأخذ بالحقائق ، وكان ذو النون المصرى أول من فسر إشارات الصوفية وتكلم فى الطريق ، بل كان أول من تكلم فى الأحوال ومقامات أهل الولاية ، ويذكر عنه أنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع والتوحيد بالمعنى الصوفى ، وهذا معاذ الرازى ٢٥٨هـ يتحدث عن طريق التقوى والأبدال والمحبين والعارفين ، ويقال عن سرى السقطى (ت ٢٥٣هـ) إنه كان أول من تكلم في بغداد فى الحقائق الإلهية، وأن الجنيد ٢٩٧هـ كان أول من صاغ المعانى الصوفية وشرحها فى كتاب .

وكان أبو زيد البسطامى ٢٦١هـ أول من استعمل كلمة (الفناء) بمعناها الصوفى الدقيق أى بمعنى محو الإنسان النفسَ الإنسانية وآثارها وصفاتها، ومن ثم يمكن أن يعد أول من أدخل فكرة وحدة الوجود فى التصوف الإسلامى .

بيد أن نيكلسون – مع ذلك – يقرر – أن مذهب وحدة الوجود لم يكن له فى القرن الثالث إلا منزلة ثانوية عند المتصوفة باستثناء البسطامى والخراز ٢٧٧هـ ولم يستعمل هؤلاء الصوفية لغة وحدة الوجود فى غير تحفظ بل جعلوا همهم التوفيق بين التصوف وتعاليم الإسلام وعدم تغليب الحقيقة على الشريعة " (٧٩) وسوف يكون لهذا المذهب شأن أكبر فى القرن الرابع بعد الحلاج ٣٠٩هـ على وجه الخصوص .

ويوجز الدكتور التفتازانى التطورات التى لحقت بالتصوف منذ القرن الثالث بقوله : نجد الصوفية وقد عنوا بالكلام فى دقائق أحوال النفس والسلوك ، وغلب عليهم الطابع الأخلاقى فى علمهم وعملهم فصار التصوف على أيديهم علما للأخلاق الدينية ، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق فى دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها ، وكانت تقودهم أحيانا للكلام فى المعرفة الذوقية وأداتها ومنهجها وإلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها ، وظهر الكلام فى الفناء الصوفي خصوصا على يد البسطامى ، ونشأ من ذلك علم للصوفية يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية ، له لغته الاصطلاحية الخاصة التى لا يشارك فيها غيرهم ويحتاج فهم مراميها إلى جهد غير قليل " (٨٠)

وفى نهاية القرن الثالث بدأ تدوين التصوف ، ولكن القرن الرابع والخامس شهدا أكبر حركة فى تدوينه فيما نعرف من أصوله المنشورة المعتمد عليها فى التعريف بالفكر الصوفى.

الأصول الكبرى فى التصوف

لما كتبت العلوم ، وألف الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقهم .

ولعل من أوائل من كتب من المتصوفة أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبى المتوفى ٢٤٣هـ ، وكتابه (الرعاية) من أوائل الكتب المؤلفة فى بيان الطريق والدفاع عن أهله ، ويعد أول كتاب جامع لأبواب السلوك العملى بأسلوب علمى منظم ، وهو من أصول العلم .

ومن أصولهم كتاب (التعرف لمذاهب أهل التصوف) الذى ألفه تاج الدين محمد بن ابراهيم الكلاباذى (ت ٣٨٠هـ)

وكتاب (قوت القلوب) لأبى طالب المكى (ت ٣٨٦هـ) ، وكتاب (اللمع) لأبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى (ت ٣٧٨هـ) ، وكتاب (الرسالة) لأبى القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيرى (ت ٤٦٥هـ) و (كشف المحجوب) لعلى بن عثمان بن على الهجويرى (ت ٤٦٥هـ) و (منازل السائرين) لعبد الله الأنصارى الهروى (ت

٤٨١هـ) و (عوارف المعارف) لأبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردى (ت ٥٦٣هـ) .

وهذه الأصول تتوزع فى اتجاهين فمنها ما يغلب عليه الاهتمام بالجانب العملى الأخلاقى فى الطريق ، أو ما يعرف بأحكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك ، مثل الرعاية وقوت القلوب ، ومنها ما يهتم بالجانب النظرى فيتحدث عن آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم ويبين مقاماتهم وأحوالهم ، وقد يترجم لأعلامهم ، ويذكر شيئا من أقوالهم ويفسر ما يلتبس من أحوالهم وأقوالهم .. كالكتب الأخرى ، وهى فى الجملة تعريف بالتصوف ودفاع عنه .

وقد جمع الغزالى (٥٠٥هـ) رحمه الله – كما يقول ابن خلدون بين الأمرين فى كتابه (الإحياء) فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم ، وصار علم التصوف علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط " (٨١)

وأغلب الكتب التى أشرنا إليها سابقا تفرد بابا من أبوابها للاصطلاحات الصوفية التى يتداولها القوم فيما بينهم ، تذكرها وتستشهد عليها بما يناسب معانيها من القرآن والسنة وأقوال مشايخهم ، وتفسرها بما يجلى مقاصدها الخفية التى تلتبس على غيرهم .

التصوف ومصطلحه فى دوره السنى والفلسفى

التصوف السنى (الغزالى ومدرسته)

يقسم الدكتور التفتازانى هذه المرحلة إلى اتجاهين : التصوف السنى ، والتصوف الفلسفى . وفى التصوف السنى يقول : ثم جاء الغزالى فى القرن الخامس الهجرى فلم يقبل من التصوف إلا ما كان متمشيا مع الكتاب والسنة ، وراميا إلى الزهد والتقشف وتهذيب النفس وإصلاح أخلاقها ، وقد عمق الغزالى الكلام فى المعرفة الصوفية على نحو لم يسبق إليه ، وحمل على مذاهب الفلاسفة والمعتزلة والباطنية ، وانتهى به الأمر إلى إرساء قواعد نوع من التصوف معتدل يساير مذهب أهل السنة والجماعة الكلامى ويخالف تصوف الحلاج والبسطامى فى الطابع .

وفى القرن السادس ازداد نفوذ التصوف السنى بتأثير شخصية الغزالى ، وظهرت الطرق الصوفية التى يهدف أصحابها إلى تربية المريدين" .

ومن أعلام أصحابها : الرفاعى ٥٧٠هـ والجيلانى ٦٥١هـ والشاذلى ٦٥٦هـ والمرسى ٦٨٦هـ وابن عطاء السكندرى ٧٠٩هـ . (٨٢)

التصوف الفلسفى (ابن عربى ومدرسته)

وفى التصوف الفلسفى يقول : ظهرت منذ القرن السادس مجموعة من شيوخ التصوف مزجوا تصوفهم بالفلسفة ، فجاءت نظرياتهم بين بين ، لاهى تصوف خالص ولا فلسفة خالصة ... ومن هؤلاء : السهروردى المقتول ٥٤٩هـ والشيخ الأكبر ابن عربى ٦٣٨هـ وسلطان العاشقين عمر بن الفارض ٦٣٢هـ وعبد الحق ابن سبعين ٦٦٩هـ .. وغيرهم .. ولهؤلاء الصوفية نظريات عميقة فى النفس والأخلاق والمعرفة والوجود لها قيمتها من الناحيتين الفلسفية والتصوفية ، كما كان لها تأثير فيمن تلاهم من الصوفية المتأخرين"(٨٣)

وفى القرن السابع يقول ما سينيون : يبدأ به العهد الثالث والأخير فى تطور مذهب التصوف ، وأبرز مدارس الصوفية لهذا العهد المدرسة التى أطلق عليها خصومها اسم (الوحدتية) أو (الوجودية) لأنها تدعو إلى وحدة الوجود .. وكان ابن عربى أول من صاغ أصول مذهب وحدة الوجود " (٨٤)

ولد سلطان العارفين محى الدين محمد بن على بن أحمد الحاتمى فى مرسية بالأندلس ٥٦٠هـ وأقام بها حتى ٥٩٨هـ ، ثم ارتحل إلى المشرق حاجا ، ولم يعد بعدها إلى الأندلس ، وطوف فى البلاد فدخل إلى مصر وأقام بالحجاز فترة .. ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم .. ثم استقر بدمشق ، وبها توفى سنة ٦٣٨هـ ، (٨٥)

تبلغ مؤلفاته نيفا وأربعمائة مصنف ، أهمها فى موضوعنا : الفتوحات المكية وفصوص الحكم .

كتاب (الفتوحات المكية) موسوعة ابن عربى الكبرى ، يقول عنها الدكتور عثمان أمين : خلاصة نتاج ابن عربى ، يجمع آراءه ونظرياته ، ويكاد يشتمل على كل ما ورد فى مؤلفاته الأخرى .. وهو خلاصة المعارف الباطنية فى الإسلام لعهده سواء أنبتت فى الإسلام أم استمدت من المصادر الأجنبية " (٨٦)

والكتاب مؤلف من (٥٦٠) بابا موزعة على ستة أقسام كبرى هى : المعارف (٧٣ بابا) والمعاملات (١١٦ بابا) والأحوال (٨٠ بابا) والمنازل (١١٤ بابا) والمنازلات (٧٨ بابا) والمقامات (٩٩ بابا) .

بدأ بالمعارف التى رآها ضرورية للصوفى فى سيره وسلوكه نحو الحق ، وهى معارف فى أساسها باطنية .. ثم أعقبه بالمعاملات التى تبين للسالك ما ينبغى أن يأخذ نفسه به من تجارب صوفية لكى يطّرِد نموه الروحى وتستكمل شخصيته ، ثم الأحوال وهى العوارض والطوالع التى ينفعل بها رجل السلوك فى طريقه الى ملك الملوك ، ثم المنازل وهى معالم الحبيب فى أرض الغربة يقف عندها مستريحا برهة ثم يخلفها وراءه فى معراجه الدائم ، والمنازلات ، وهى مواطن اللقاء الخالد بين العبد فى صعوده والحق فى تنزله ونزوله ، وأخيرا المقامات وهى الآفاق العليا لرجال الروح التى تنتهى إليها أقدارهم وتتألف شخصيتهم"(٨٧)

وقد خصص ابن عربى الجزء الحادى والتسعين من فتوحاته لشرح اصطلاحات القوم ، وسوف نقدمها بالتفصيل عند الحديث عن المصادر .

أما كتابه (فصوص الحكم) فيعده الدكتور أبو العلا عفيفى نهاية القول فى مذهب ابن عربى الروحى : وهو خلاصة مذهب ظل يضطرب فى صدره نيفا وأربعين عاما ، وهو لايجرؤ على الجهر به فى جملته ، ولا يخرجه فى صورة كاملة محكمة التأليف إلى أن صاغه آخر الأمر فى هذا الكتاب " (٨٨)

إنه مذهب وحدة الوجود الذى قرره فى الفصوص فى صورته النهائية ووضع له مصطلحا صوفيا كاملا استمده من كل مصدر وسعه أن يستمد منه كالقرآن والحديث وعلم الكلام والفلسفة المشائية والفلسفة الإفلاطونية الحديثة والغنوصية المسيحية والرواقية وفلسفة فيلون اليهودى ، كما انتفع بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة ، وإخوان الصفا ، ومتصوفة الإسلام المتقدمين عليه ، ولكنه صبغ هذه المصطلحات جميعها بصبغته الخاصة ، وأعطى لكل منها معنى جديدا يتفق مع روح مذهبه العام فى وحدة الوجود "

يقول العلامة نيكلسون فى وصف أسلوب ابن عربى فى الفصوص : إنه يأخذ نصا من القرآن أو الحديث ، ويؤوله بالطريقة التى نعرفها فى كتابات فيلون اليهودى وأريجن الإسكندرى " ويقول عنه أبو العلا عفيفى : يستند كل فص من الفصوص السبعة والعشرين

إلى طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بالكلمة الخاصة (النبـــى) الـــذى تنسب حكمة الفص إليه ، ويسرد المؤلف قصة كل نبى كما وردت فى القرآن، وكما يعرفـــها جمهور المسلمين عادة ، ولكنه يتخذ من كل قصة مسرحا ليمثل فيه صاحب القصـــة الـــدور الخاص الذى يعهد إليه القيام به ، فإن الأنبياء على نحو ما صورهم فى الفصـــوص نمـــاذج للإنسان الكامل الذى يعرف الله حق معرفته ، فكل واحد منهم ينطق – أو يُنطِقه ابن عربى – بالمعرفة التى اختص بها ، فيقوم فى ذلك بشرح ناحية من نواحى مذهبه والدفاع عنه ، فـآدم مثلا يفسر معنى الخلافة الإنسانية ، ويبين منزلته من الله والعالم وبأى معنى استحق الإنســان الخلافة عن الله ، وصدق عليه أنه الموجود الذى خلقه الله على صورته .. الخ (٨٩)

"ولا تخلو طريقة تأويله للآيات من تعسف وشطط أحيانا لاسيما إذا عمـــد إلـــى الحيـــل اللفظية فى الوصول إلى المعانى التى يريدها ، كأن يقول فـــى الفـــص الأيوبـــى : المـــراد بالشيطان فى قوله تعالى (إنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) هو البعد ، وأن ما شعر بـــه أيوب لم يكن ألم المرض الذى ابتلاه الله به ، بل ألم عذاب الحجاب والجهل بالحقائق .. "

هذا والقضية الكبرى عند ابن عربى – عبر تاريخه الروحى الطويـــل – هـــى وحـــدة الوجود ، وجوهرها : أن الحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها وذاتـــها متكـــثرة بصفاتـــها وأسمائها ، لا تعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات ، وهى قديمة أزليـــة أبديـــة لا تتغير ، وإن تغيرت الصور الوجودية التى تظهر فيها ، فهى بحر الوجود الزاخر الـــذى لا ساحل له ، وليس الوجود المدرك المحسوس إلا أمواج ذلك البحر الظاهرة فوق سطحه ، فإذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هى (الحق) و[illegible]ظرت إليها من حيث صفاتها وأسماؤها ، أى من حيث ظهورها فى أعيان الممكنات هى (الخلق) أو العالم . فهى : الحـــق والخلـــق والواحد والكثير والقديم والحادث والأول والآخر والظـــاهر والبـــاطن وغـــير ذلـــك مـــن المتناقضات التى تتردد على لسانه "

" ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجودٌ فى الإسلام فى صورته الكاملة قبل ابن عربـــى ، فهو الواضع الحقيقى لدعائمه والمؤسس لمدرسته .. والمصور له بصورة نهائية أخذها كـــل من تكلم فى المذهب من المسلمين .. أما ما نسب إلى البسطامى والحلاج وابن الفارض مـــن أقوال فليست مذهبا فلسفيا فى وحدة الوجود بل هى أقرب الى حالة من الفناء فـــى حـــب الله يشغلهم عن أنفسهم ، فهى وحدة شهود لا وحدة وجود " (٩٠)

انتشر مذهب ابن عربى فى وحدة الوجود بين متصوفة القرن السابع والثامن والتاسع المتفلسفين ، وانتشر من ثم مصطلحه ، ويكفى للتدليل على ذلك أن الكاشانى وهو أعظم مصنف للمصطلح الصوفى اعتمد مصطلح ابن عربى وتعريفاته بل إنه أفرغهما فى معجماته بتمامهما . وقد شُغِل الناس حديثا بابن عربى ومصطلحه ، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أفردت الدكتورة سعاد الحكيم له معجما كبيرا بلغت صفحاته قريبا من ألف وخمسمائة صفحة.

لقد أصبح معروفا بين الدارسين أن أسلوب ابن عربى غامض مستغلق ، وقد وجدت من الضرورى ونحن بصدد التمهيد للحديث عن مصطلحه أن نستشير دارسيه فى أسباب ذلك ، وقد وجدنا ما طلبنا حاضرا وافيا عند الدكتور أبو العلا عفيفى أحد كبار العارفين بفلسفة ابن عربى ، يرى الدكتور عفيفى أن من أسباب ذلك :

١ – أن ابن عربى يعتمد تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر لأغراض فى نفسه ، فعبارته تحتمل وجهين على الأقل ، أحدهما ظاهر وهو مايشير إليه الشرع ، والثانى باطن وهو مايشير إليه مذهبه .. والوجه الثانى هو هدفه .. أما الوجه الأول فهو يقدمه لأهل الظاهر خشية إتهامهم إياه بالمروق عن الدين.

٢ – أنه يستعمل كثيرا من المصطلحات الفلسفية والكلامية على سبيل الترادف أو المجاز مع ألفاظ أخرى واردة فى القرآن والحديث فيحملها من المعانى ما يخرجها عن أصلها فـ (الخير) الذى تكلم عنه إفلاطون و (الواحد) و (الله) كما يفهمهما المسلمون ، كل هذه الألفاظ مستعملة عنده بمعنى واحد ، وكذلك يستعمل على سبيل الترادف كلمة (القلم) الواردة فى القرآن ، و (حقيقة الحقائق) الواردة فى فلسفة أريجن و (الحقيقة المحمدية) الواردة فى كلام الصوفية .

وقد يستعمل الكلمة الواحدة فى أكثر من معنى كما هو الحال فى كلمة (العين) و (الحقيقة) و (الماهية) و (الهوية) .

٣ – أن قوة التفكير عنده خاضعة إلى حد كبير لقوة خياله ، لذلك تراه يلجأ إلى الأساليب الشعرية والتشبيهات والمجازات فى إيضاح أدق المعانى الفلسفية فى مذهبه .

٤ – لا يلتزم الرمزية – على صعوبتها – التزاما مطردا ، فإذا رمز بشئ فى موضع عاد فرمز به هو نفسه إلى شئ آخر . فهو يستعمل (موسى) فى أول النص الموسوى

رمزا على الروح الإلهى .. ليشرح به فكرته عن قتل فرعون لأبناء بنى إسرائيل ، ولكنه فى قصة الخضر فى نفس الفص يرمز به إلى الرسول .. الخ

٥ – كثيرا ما يمزج الآيات القرآنية بعضها ببعض ، ويفسر بعضها ببعض حيث لا توجد صلة ظاهرة بينها ..(٩١)

مصادر الفكر الصوفى

للحديث فى هذا الموضوع أهمية بالغة فى اللغة التى اصطنعها المتصوفة للتعبير عن فكرهم ، فعلى امتداد هذا الفكر منذ نشأته إلى آخر عهده استمد مصطلحاته من المصادر عينها التى استمد منها أفكاره .

كان التصوف ، كما قلنا سابقا – فى أول عهده إسلاميا خالصا ، كان – كما يقول ابن خلدون – طريقة سلف الأمة ، ومضى فى عهده الثانى فى القرن الثالث والرابع يستمد من القرآن والسنة ، بيد أن بعض الأفكار المتأثرة بعناصر أجنبية كفكرة الحلول التى ظهرت عند الحلاج قد بدأت تتسلل إليه .

على أن التصوف قد شهد فى عهده الثالث فى القرن الخامس والسادس والسابع تطورا كبيرا فى هذا الاتجاه حيث ظهرت المؤثرات الأجنبية واضحة فيما ألفه صوفية هذين القرنين ابن عربى والسهروردى .. وغيرهما .

يقول (ماسينيون) : على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فمما لا يخلو من فائدة أن نتعرف على المحسنات الأجنبية التى أدخلت عليه ونمت فى كنفه " (٩٢)

ويتحدث ماسينيون ونيكلسون والتفتازانى وغيرهم عن التأثير اليونانى وبعض خصائص العكوف عند النصاري ، ويتحدث آخرون عن تأثير سنسكريتى بيد أن ماسينيون يرى أن الأدلة على هذا التأثير قليلة.(٩٣)

وينبه ابن خلدون إلى بعض هذه الأفكار ومصادرها فيقول : وذهب جماعة من المتصوفة والمتأخرين الذين صيروا المدارك الوجدانية علمية نظرية إلى أن البارئ تعالى متحد بمخلوقاته فى هويته ووجوده وصفاته ، وربما زعموا أنه مذهب الفلاسفة قبل أرسطو مثل أفلاطون وسقراط .. ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين فى الكشف فيما وراء الحس توغلوا فى ذلك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة .. مثل الهروى فى

كتاب (المقامات) له ولغيره وتبعهم ابن عربى وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض .. " (٩٤)

وعند الرجوع إلى أقوال الصوفية وأشعارهم وإلى ما كتبه المؤلفون منهم عن اصطلاحاتهم نتبين أن مصدرهم الأكبر هو القرآن الكريم والسنة بل وشعر العرب يستمدون منها الألفاظ ، ويحملونها ما شاءوا لها من معان . وبتدوين التصوف ظهر تأثرهم بالفقه والكلام والنحو ، وأخذوا منها ، بل إن بعض متأخريهم أخذ عن الفلسفة الإفلاطونية الحديثة بعض مصطلحاتها نقلا عن الفارابى وابن سينا والغزالى. خذ مثلا حديثهم عن : الكلمة ، والواحد ، والعقل الأول ، والعلة والمعلول ، والكلى .. الخ غير أن تأثرهم بالفلسفة اليونانية – فيما عدا المتأخرين – كان أقل من تأثر علماء الكلام أو فلاسفة الإسلام (٩٥).

وفى مصادر المصطلح الصوفى يقول ماسينيون : لم يجد الصوفية بدا من الرجوع إلى الألفاظ التى استعملها الفقهاء فاستعاروا منها فى شتى المواطن مصطلحات حوروها بعض الشئ دون أن يحددوا لها معنى .. " ويمثل لذلك بألفاظ (التوكل) و (المعرفة) و (الفناء) و (عين الجمع) و (الولاية) .. الخ ثم يقول : وقد انتهج التصوف الإسلامى فى عهده الأول هذا السبيل فألقى بنفسه فى مزالق ما وراء الطبيعة التى عرض لها المتكلمون الأوائل كما فى مسائل : الجوهر الفرد والمادية والاتفاق .. الخ " ثم يقول : وتسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامى ، وأخذ سلطانها يزداد باطراد ... وكان من نتيجة ذلك أن استحدثت فى القرن الرابع مصطلحات ميتافيزيقية أدق من سابقتها يفهم منها أن الروح والنفوس جواهر غير مادية ، وأن ثمة معان عامة وسلسلة من العلل الثانية .. وغير ذلك وأن هذه المصطلحات اختلطت بالإلهيات المنحولة لأرسطو ، وبمثل إفلاطون وفيوضات أفلوطين : وقد كان لهذا كله أثر بالغ فى تطور التصوف"(٩٦)

وينبهنا ابن خلدون إلى مصدر آخر من مصادر المصطلح الصوفى وهو الفكر الشيعى الإسماعيلى يقول: والذى يظهر أن المتصوفة بالعراق لما ظهرت الإسماعيلية من الشيعة ، وظهر كلامهم فى الإمامة وما يرجع إليها مما هو معروف : فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين (الظاهر والباطن) وجعلوا الإمامة لسياسة الخلق فى الانقياد إلى الشرع وأفردوه بذلك ألا يقع اختلاف ، كما تقرر فى الشرع . ثم جعلوا (القطب) لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين ، وأفردوه بذلك تشبها بالإمام فى الظاهر ، وأن يكون على وزانه فى الباطن، وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه ، وجعلوا (الأبدال) كالنقباء مبالغة فى التشبيه" (٩٧)

أما فى عهد التصوف الأخير الذى ظهر فيه ابن عربي والسهروردى وابن سبعين ونظرائهما فقد بلغ فيه المصطلح الصوفى غاية بعيدة فى تعدد مصادره ووفرة مفرداته وفى تعقد معانية ، بل أصبح لكل صوفى معجمه أو مصطلحه الخاص . وسوف نعالج ذلك بتفصيل اكبر عند الحديث عن مصادر المصطلح الصوفى فيما بعد .

اللغة الصوفية رمزية

اللغة الرمزية إحدى الخصائص المميزة للتصوف بعامة ، فعادة مايكون للعبارات الصوفية معنيان ، أحدهما يستفاد من ظاهر الألفاظ والآخر بالتحليل والتعمق ، وهذا المعنى الأخير يكاد يستغلق على من ليس بصوفى ، وذلك راجع إلى أن التصوف حالات وجدانية خاصة يصعب التعبير عنها بألفاظ اللغة، وليست شيئا مشتركا بين الناس جميعا ، ولكل صوفى طريقة فى التعبير عن حالاته ، فالتصوف إذاً خبرة ذاتية ، فأصحابه يعتمدون فى وصف أحوالهم على الاستبطان الذاتى أساسا ، وأى فلسفة هذا شأنها يصعب فهمها على الغير ، ومن هنا توصف بأنها رمزية " (٩٨)

وقد ظهرت بوادر هذا الأسلوب الرمزى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى لاسيما فى الأقوال المنسوبة إلى رابعة العدوية (ت ١٨٠هـ) يقول ماسينيون فى كتابه (فى أصول اصطلاحات الصوفية) : إنها استعملت فى غير تهيب كلمة (الحب) فى العشق الإلهى معتمدة على ما ورد فى القرآن من ذلك ، وكان مَنْ قبلها يتحرجون من كلمة الحب فى ذلك المقام "

وكلام رابعة فى الحب هو – كما يقول ابن القيم – سمة الطائفة وعنوان الطريقة ، وكانت رابعة – كما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق : أول من هتف فى رياض الصوفية بنغمات الحب شعرا ونثرا " وفى (إحياء علوم الدين) وفى (الرسالة) وفى (عوارف المعارف) من شعرها وأقوالها ما يشهد على ما يفيض به قلبها من حب وحزن " (٩٩)

وانظر إلى حاتم الأصم وهو يتكلم عن أربعة أنواع من الموت : موت أبيض وهو الجوع وموت أسود وهو احتمال الأذى من الخلق وموت أحمر وهو العمل الخالص من الشوب فى مخالفة الهوى وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها عن بعض ... وثمة أخيلة شعرية غريبة كانت تتردد على ألسنة المتصوفة فى عهده المبكر ، كتب يحيى بن معاذ الرازى إلى أبى يزيد البسطامى يقول : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ،

فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد، ولسانه خارج ويقول هل من مزيد ؟ .. وغير هذا وذاك من الأقوال التى سجلها القشيرى والطوسى والكلاباذى .. وغيرهم. وقد بلغ هذا الأسلوب غايته عند ابى عربى ونظرائه من المتصوفين الفلاسفة . (١٠٠) وفى الرجوع إلى ماكتبه الدكتور أبو العلا عفيفى عن أسلوبه فى مقدمته للفصوص ولخصناه فى الصفحات السابقة ما يغنى .

المقامات والأحوال

أهل الطريق ينشدون العلم الإلهى لا التعليمى ، والمعرفه بالله هى المعرفة الحقيقية التى يستحيل معها الخطأ ، وتحصيل العلم إنما يكون بالمجاهدة والتخلص من الصفات المذمومة وقطع العلائق والإقبال على الله. ومع المجاهدة تنشأ لدى المريد حالة نفسية – وأصل المجاهدات كلها الطاعة والإخلاص – ثم تنشأ عنها حالة أخرى وأخرى حتى يصل إلى مقام التوحيد والعرفان .

وبين الصوفية اختلاف كبير فى عدد المقامات والأحوال ، كل يصف منازل سيره وحال سلوكه ، وعلى أية حال فهم يعنون بالمقام : المقام بين يدى الله فيما يقام من العبادات والمجاهدات والرياضات، ومن أمثلة المقامات عندهم : التوبة والزهد والورع والفقر والصبر والرضا والتوكل .. وما الى ذلك .

أما الأحوال فهى ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب ، ومن أمثلة الأحوال عندهم : المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين .. وغير ذلك.

وقد فرق الصوفية بين المقام والحال ، فالمقام يتصف بالثبوت أما الحال فزائل ، والمقام يحصل للسالك بكسبه وإرادته أما الحال فوارد عليه دون تعمد منه ، ولذلك قالوا : **الأحوال مواهب والمقامات مكاسب بمواهب** ، ويرون أيضا أن العبد بالأحوال يترقى إلى المقامات .. وليس للمريد أن يتشوف إلى مقام فوق مقامه ما لم يستوف أحكام ذلك المقام وأحواله . (١٠١)

الترجمة وتأثيرها فى نشأة العلوم ومصطلحاتها

العلم عند العرب

لم يكن للعرب قبل الإسلام علم بالمعنى المعروف لكلمة Science ، ومن ثم لم يكن تحت أيديهم تقاليد علمية موروثة . وقد نشأ علمهم مع الإسلام ، فكان الصحابة فى عهد النبى يتعلمون القرآن والسنة، ويسألونه عما خفى عليه من معانيهما ، وبعد وفاة النبى جدوا فى جمعهما وتدوينهما ، وعكفوا على درسهما من مختلف الأنحاء ، وكانوا هم ومن جاء بعدهم من التابعين يُسْألون أحيانا فى بعض الوقائع فكانوا يفتون بما تعلموه أو بما هداهم إليهم فقههم بالقرآن والسنة.

وما كاد الإسلام يتجاوز شبه الجزيرة العربية حتى أقام دولة عظيمة مترامية الأطراف ضمت أمما وشعوبا شتى ، واقتضت سياسته فى الحكم والإدارة ، واختلاطُ العرب بهذه الأمم والشعوب ، وتعرفُهم على ثقافاتها وعلومها – إنشاءَ علوم لم يعهدوها من قبل .

لقد كانت نهضة العرب العلمية إذاً أثرا من آثار الإسلام على أية حال ، كانت – من ناحية – نهضة علمية لها مقوماتها الذاتية وبواعثها الخاصة ، نلمح ذلك فى نشأة ما سماه الخوارزمى علوم الشريعة ، وكانت – من ناحية أخرى – أثرا من آثار الشعوب التى سبقتهم إلى العلوم والصناعات كاليونان والهند والفرس ، ونلمح ذلك فى نشأة ما سماه الخوارزمى بعلوم العجم .

الترجمة فى عصر بنى العباس

ليس لدينا غير أخبار قليلة فحسب عن ترجمات فى عهد بنى أمية ، ومن ثم فلا حرج من تجاوزه إلى عهد بنى العباس ، فهم الذين نهضوا بالعلوم نهضة عظيمة ، ودفعوا الترجمة دفعة قوية ، لا نظير لها إلا فى تاريخ النهضة العربية فى مصر فى القرن التاسع عشر .

مضت الترجمة تسير بحماس بعنايتهم وبمشاركة وزرائهم والوجهاء طيلة قرنين ونصف ، وتتميز تلك الفترة المزدهرة بما يأتى :

١ – استوعبت الترجمة ألوانا شتى من المعارف فترجمت الكتب العلمية والفلسفية بل الأدبية، ونقل المترجمون هذه المعارف عن لغات مختلفة عن العبرية والسريانية والفارسية واليونانية.

٢ – اشترك فى الترجمة جمهور من المترجمين المختلفى الجنس والعقيدة ، فكان منهم الفرس والهنود والصابئة واليهود والمسيحيون ، أظلتهم جميعا روح الإسلام السمحة ، وأغدقت عليهم الأموال من كل جانب ، وأُنفق فى طلب الكتب من كل ناحية أعظم المساعى ووافر الأموال .

٣ – بذل المترجمون جهودا عظيمة فى الحصول على أوثق الأصول ، وفى المقابلة بينها وفى تنقيحها، بل كانوا يترجمون النص الواحد غير مرة ، حتى وصلوا إلى درجة عالية من دقة الترجمة وبساطة التعبير يسرت للعلماء أن يستفيدوا مما ترجموا ، وينشئوا علما مكتوبا بالعربية ، بل يسرت للنهضه الأوربية أن يستفيدوا فيما بعد من ترجماتهم .

٤ – خضعت حركة الترجمة لاتجاهات محددة أشبه ماتكون بالمدارس ، نخص منها بالذكر مدرسة حنين بن إسحق ٢٦٤هـ . ضمت تلك المدرسة حنينا ، وابنه إسحق ، وابن اخته حبيشا ، والحجاج بن مطر ، ويحيى بن البطريق وقسطا بن لوقا .

وفى تلك المدرسة كانت تترجم الكتب القديمة ، وتُعلم السريانية واليونانية . وكان المترجمون يترجمون أحيانا من اليونانية إلى العربية مباشرة أو منها إلى السريانية ومن هذه إلى العربية .

شُهر حنين بترجمة كتب الطب ، واعتنى خاصة بمؤلفات جالينوس ، ومن أهم ماترجمه لغير جالينوس، كتاب (الحشائش) لديسقوريدس وهو أهم ما ألف فى النبات والأدوية المفردة ، وله مؤلفات فى الطب عديدة منها : كتاب (المسائل) المعروف بـ (المدخل إلى صناعة الطب) وكتاب (العشر مقالات فى العين) .. الخ

وشُهر ابنه إسحق ٢٩٨هـ بكتب الفلسفة ، وبكتب أرسطو خاصة ، فترجم أغلبها ، وحرر ما سبق ترجمته منها . وقد نشر الدكتور عبدالرحمن بدوى منها : كتاب (المقولات) و (العبارة) .. من أصل موثوق به قوبل قديما بترجمة أخرى لإسحق منقولة عما عرف آنذاك بدستور الأصل بخط إسحق نفسه.(١٠٢)

ترجمة الفلسفة

عرف المسلمون فلاسفة اليونان بعامة ، ولكنهم وقفوا طويلا عند أرسطو وشراحه فعربوا كتبه كلها ، كما ترجموا كتب شراحه ، وكان المترجمون يتسابقون فى تقديم أصدق ترجمة ممكنة لها .

ومن الثابت أن كتب أرسطو المنطقية الثلاثة الأولى (المقولات والعبارات والتحليلات الأولى) مما عرف بالأرجانون الذى يضم ثمانية كتب – كانت معروفة لدى السريان ، وقد ترجمت إلى لغتهم الأولى قبل الإسلام ، ويقال أيضا إنها ترجمت إلى الفارسية . (١٠٣)

وللأرجانون فى العالم العربى منزلة خاصة ، فكانت أجزاؤه الأولى التى ذكرناها سابقا ما ترجم من الكتب الفلسفية إلى العربية ثم أُلحقت بها الأجزاء الأخرى وشرحت واختصرت . يقول القاضى صاعد :

أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة علم المنطق ، وأول من اشتهر به عبد الله ابن المقفع .. كاتب أبى جعفر المنصور ، فإنه ترجم كتب أرسطو الثلاثة التى فى صورة المنطق وهى : قاطيغورياس وكتاب بارمانياس وكتاب أنا لوطيقا " (١٠٤)

ويبدو أن ترجمة ابن المقفع لم تكن ترجمة كاملة ، بل كانت مختصرة ، يقول النديم عن (قاطيغورياس) ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجَّرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع ١٣٩هـ وابن بهريز ٢٥٢هـ والكندى ٢٥٢هـ . (١٠٥)

وقد نسب (كراوس) الترجمة المنسوبة إلى ابن المقفع إلى ابنه محمدا معتمدا فى ذلك على أن المخطوطة التى عثر عليها (فرلانى) فى بيروت ورد فيها أن الكتب الثلاثة ترجمها محمد بن عبد الله بن المقفع . ويرجح (كراوس) أن هذه الترجمة عن أصل يونانى لا فارسى كما يزعم بعض المؤرخين القدامى. (١٠٦)

وبعض المؤرخين المحدثين يمضى على ما ذكره صاعد والخوارزمى من أن الذى ترجم الكتب الثلاثة هو ابن المقفع ، وعلى أية حال فقد كانت الترجمة معروفة فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

ولعل الترجمات السابقة المنسوبة إلى ابن المقفع وابن بهريز والكندى كانت أول ما طالعه العرب عن الفلسفة اليونانية ، وهى غاية فى الأهمية فى تاريخ الفكر العربى فى عمومه وفى تاريخ الفلسفة الإسلامية بخاصة ، وفى تاريخ المصطلح تبعا لذلك .

ويبدو أن مصطلحات ابن المقفع لم يستمر استخدامها طويلا بين الكتاب والفلاسفة ، إذ يقول الخوارزمى : ويسمى عبد الله بن المقفع الجوهر عينا ، وكذلك سمى عامة المقولات وسائر ما يذكر فى فصول هذا الباب بأسماء اطرحها أهل الصناعة ، فتركت ذكرها ، وبينت ما هو مشهور فيما بينهم.(١٠٧)

وقد ظهرت نشرة محققه لترجمة ابن المقفع بعنوان (منطق ابن المقفع) ولكتاب ابن بهريز بعنوان (حدود المنطق) فى طهران ١٩٨٤ ، ونتبين من نصوص تلك النشرة صحة ما ذكره الخوارزمى عن مصطلحات ابن المقفع .

فأسماء المقولات عنده هى : الجنس والعين والعدد والمكان والوقت والنصبة والمضاف والجدة ، وهى تختلف عما هو شائع بين الفلاسفة (١٠٨)

انظر فى هذه المصطلحات وفى المقابلة بينها (ص ٢١٠ – ٢١١) .

وأقسام الكلام عنده هى : الأسماء والحروف (الأفعال) والجوامع والقوارن والأبدال (الضمائر) واللحوق واللواصق والغايات . وهى تختلف أيضا عما هو شائع بين الفلاسفة وبخاصة الفارابى الذى اهتم كثيرا بالمقابلة بين تقسيم اليونان لأقسام الكلام وتقسيم العرب . (١٠٩)

وعلى أية حال فإن نشر هذين الكتابين يلقى ضوءا قويا على تاريخ المصطلح العربى بعامة والمصطلح الفلسفى بخاصة . وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد عند الحديث عن المصطلح الفلسفى .

ومن فضول القول هنا أن نتحدث عن تأثير منطق أرسطو فى الفكر الإسلامى بعامة ، فثمة مرحلة من تاريخه كان فيها هذا المنطق عمدتهم من حيث المنهج ، وكانت أساليبه الصورية مستخدمة فى كل علوم الشريعة تقريبا الى جانب مناهج أخرى بالطبع ، بيد أننا نحب أن نشير هنا إلى تأثيره فى العلوم اللغوية ، لأنه اشتمل على بعض المبادئ النحوية ، ففى المقولات وهو الجزء الأول من الأورجانون يعرض للألفاظ ، وفى العبارة وهو الجزء

الثانى منه يتحدث عن الجملة وما تتألف منه ، ولم تخل كتبه الأخرى من إشارات نحوية . (١١٠)

ترجمة الطب اليونانى

أخذ العرب الطب عن اليونان ، فترجموا كتبه المشهورة عن اليونانية أو السريانية ، وألفوا على منوالها واعتمدوا على الأسس نفسها التى انبنى عليها الطب اليونانى ، كما سنبين عند الحديث عن المصطلح الطبى.

ولاشك فى أن دور اليونان فى التأليف الطبى والعلاج كان رائدا ومعتمدا فى العالم القديم والوسيط ، فهم أصحاب نظريات العناصر الأربعة ، والأمزجة والأخلاط ، وهى عماد الطب فى تلك المرحلة من تاريخه ، وكانت لهم مدارس باليونان وبالإسكندرية يعلم فيها الطب ، وتشرح فيها الكتب التى ألفها أئمتهم : أبقراط وجالينوس وديسقوريدس .

وأبو قراط المتوفى سنة ٤٦٠ ق.م هو أعظم أطباء العالم ، وصاحب القسم أو العهد المعروف بترتيب الطب والذى ترجمه حنين بن إسحق ، والذى ما زال رمزا للأخلاق الطبية النبيلة ، وقد سماه العرب أبو الطب ورفعوا نسبه إلى إسقلبيوس الذى يقال إنه أول من تكلم فى الطب ، وإنه أخذ الطب على هرمس المصرى (١١١)

وقد اعتمد طبه على ثلاثة مبادئ هى : مبدأ الحيوية Vitalism أى أن فى الكائن الحى عنصرا خاصا غير مادى يحيا به جسده هو النفس psyche ، وهو نسيم عابر تنقطع بانقطاعه الحياة ، ومبدأ الأخلاط Humorism المبنى على ان الأشياء مكونة من العناصر الأربعة الأساسية : الحار والبارد والرطب واليابس ، والجسم مزيج متناسب من الدم والبلغم والمرارة السوداء والمرارة الصفراء ، وأكثر الأمراض ناتجة عن اختلال هذا المزيج المتناسب كما وكيفا ، والمبدأ الطبيعى Naturism أى محاكاة الطبيعة فى العلاج (١١٢)

وقد ألف أبقراط كتبا كثيرة ، ونسب إليه تلامذته كتبا مما ألفوه ، والذى انتهى إليه ابن أبى أصيبعه أنها ثلاثون كتابا صحيحا ، وأن الذى يدرس منها على أصوله هى اثنا عشر كتابا منها : كتاب الأمراض الحادة، وكتاب الأخلاط ، وكتاب حانوت الطب .. الخ (١١٣)

وقد ترجمت أغلب كتبه إلى العربية ترجم بعضها حنين بن إسحق وترجم بعضها الآخر حبيش الأعسم وعيسى بن يحيى (١١٤)

ألف جالينوس المتوفى سنة ١٩٨م كتبا كثيرة فى الطب وفى المنطق والفلسفة والنحو والبلاغة وقد وضع لها فهرسا ، وأغلب كتبه نقلها حنين بن إسحق أو حبيش الأعسم ولعل أهمها وأكثرها تداولا الستة عشر التى يجب على من يطلب الطب أن يقرأها على الولاء ، كما يقول النديم ، وقد تبارى الإسكندارنيون فى تفسيرها ، فاجتمع عليها سبعة من مشاهيرهم على رأسهم يحيى النحوى (١١٥) ، وهى عمدة الطبيب فى القديم حتى عصر النهضة الحديثة .

ومن كتبه الأخرى التى تعنينا فى مجال المصطلحية كتاب فى الأسماء الطبية ، يقول عنه ابن أبى أصيبعة : وغرضه فيه أن يبين أمر الأسماء التى استعملها الأطباء على أى المعانى استعملوها وجعله خمس مقالات ، والذى وجدناه قد نقل إلى العربية إنما هو المقالة الأولى التى ترجمها حبيش الأعسم" (١١٦)

وكان هذا الكتاب مشهورا عند العرب ، وعلى منواله صنع الرازى مقالته فى استنباط الأسماء والأوزان والمكاييل المجهولة الواقعة فى كتب الطب ، واقتدى به كل من جاء بعده من المهتمين بالاصطلاحات الطبية أو باصطلاحات الأدوية والأغذية .

ولجالينوس كتاب متداول بين الأطباء هو (الأدوية المفردة) فى إحدى عشرة مقالة ، اختصره حنين بن إسحق بالسريانى ، ونقل منه إلى العربى الجزء الأول وهو خمس مقالات.(١١٧)

كان ديسقوريدس (من القرن الأول الميلادى) فى الفترة بين أبقراط وجالينوس ، ويعد المفسر الأول لكتب أبقراط ، وإن كان أعظم شهرته فى الأدوية يقول عنه ابن أبى أصيبعة : صاحب النفس الزكية النافع للناس المنفعة الجليلة ... المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البرارى والجزائر والبحار ، المصور لها المجرب المعدد لمنافعها قبل المسألة من أفاعيلها، ... وهو رأس كل دواء مفرد ، وعنه أخذ جميع من جاء بعده ، ومنه تقفوا على سائر ما يحتاجون إليه من الأدوية المفردة " وقد قال عنه جالينوس : ما رأيت أتم من كتاب ديسقوريدس "

ويعرف كتابه المشهور بكتاب (الحشـــائش) أو (هيولـــى الطـــب) أو (المقـــالات الخمس) وهو من خمس مقالات الأولى عن الأدوية العطرة الرائحة والأفاويـــــه والأدهـــان والصموغ والأشجار الكبار ، والثانية فى الحيوانات ورطوبات الحيوانات والحبوب .. الـــخ (١١٨) وقد نقله اصطفن بن بسيل وأصلحه حنين بن إسحق.

خامسا : المصطلح الفلسفى

الفلسفة ومصطلحها فى دور النشأة

ظهرت بواد الفكر الفلسفى الإسلامى مع الترجمات الأولى لمؤلفات اليونان من السريانية أو اليونانية إلى العربية ، وقد بدأ المترجمون نشاطهم بترجمة المؤلفات العلمية والطبية ، وكان إقبالهم على ترجمة الفكر التجريدى اليونانى أقل ، ومن ثم تأخرت ترجماتهم فيه قليلا ، ولم يكن كبار المترجمين مجرد مترجمين أو منقادين للمؤلفين اليونان ، فإن بعضهم مثل حنين بن إسحق أثر عنه مؤلفات علمية وفلسفية هامة، وقد اهتم إسحق بن حنين بمنطق أرسطو خاصة فترجم أغلبه وحرر ماسبق ترجمته منه .

بيد أن مؤلفات هؤلاء المترجمين الأوائل كانت – بوجه عام – كما يقول الدكتور ماجد فخرى – : مجاميع تفتقر إلى الأصالة ، فهى تضم أفكارا التقطوها اتفاقا من كتب كانوا قد أنجزوا ترجمتها " (١١٩)

والمؤرخون يجمعون على أن الكندى كان أول مسلم عربى اشتغل بالفلسفة . (١٢٠)

الكندى فيلسوف العرب

الكندى أبو يعقوب (ت ٢٥٢هـ) فيلسوف العرب فى طليعة المؤلفين الموسوعيين فى الإسلام ، فقد ذكر له النديم ٢٤٢ كتابا أو رسالة تتناول : المنطق والفلسفة الأولى والحساب والكرويات ، والموسيقى والفلك والهندسة والتنجيم والكلام وعلم النفس .. الخ (١٢١)

وقد كان الكندى متكلما بارعا وفيلسوفا بارعا ، ويقف – كما يقول الدكتور ماجد فخرى – : على الخط الفاصل بين الفلسفة والكلام "

كان الكندى يعمل بدأب على التوفيق بين الفلسفة والشريعة ، وكان يحيد أحيانا عن تعاليم أرسطو بخاصة ليدعم موقف الشريعة ، كان يعتقد أن العقل وحده لايكفى مصدرا للمعرفة ، وأن الوحى يمكن إثباته بالقياس المنطقى ، وأن الحقيقة المنزلة أعلى منزلة من الحكمة الإنسانية ... الخ

وقد خصص الكندى عددا من رسائله للانتصار للعقيدة الإسلامية ، فقد دافع عن فكرة حدوث العالم، وعن حشر الأجساد ، وإمكان حدوث المعجزات ، وصحة الوحى النبوى ، وقدرة الله على إحداث العالم وإفنائه .. الخ

وآراؤه فى المسائل الكلامية تظهر فيها النزعة المعتزلية واضحة ، فقد كتب فى الاستطاعة وزمان وجودها ، وكان يؤكد القول بالعدل والتوحيد وغير ذلك من المسائل التى عالجها شيوخ المعتزلة فى عصره.(١٢٢)

ويُذكر للكندى أنه أول من مهد الطريق لدراسة الفلسفة عند المسلمين ، وهو يرى أنها أشرف الصناعات الإنسانية ، لأن غرض الفيلسوف من معالجتها فى علمه إصابة الحق ، وفى عمله العمل بالحق، وأعلى مراتبها الفلسفة الأولى ، يَعْنى علم الحق الأول الذى هو علة كل حق ، ويذكر أن علم ما بعد الطبيعة هو العلم بعلل الأشياء ، وهى عنده أربعة : العنصر والصورة والفاعلة والمتممة ، ثم ينتقل إلى الحديث عما تُعْنى به الفلسفةُ من مطالب وهى أربعة : (هل) ويسأل بها عن الإنِّيَّة ، و (ما) ويسأل بها عن الجنس و (أى) ويسأل بها عن الفصل و (لِمَ) ويسأل بها عن العلة المطلقة (العلة الغائية) .. الخ(١٢٣)

وتنحصر فلسفة الكندى الحقيقية – كما يقول دى بور – : فى الرياضيات والفلسفة الطبيعية التى تمتزج فيها الإفلاطونية الجديدة بالفيثاغورية الجديدة .. وقد طبق الرياضيات فى أبحاثه الطبية فى نظريته المتعلقة بالأدوية المركبة ، والواقع أنه بنى فعل هذه الأدوية – كما بنى فعل الموسيقى – على نسبة المتوالية الهندسية المتضاعفة." (١٢٤)

وقد تناول الكندى فى فلسفته المشاكل الرئيسة الثلاث : الله والعالم والنفس ، وتعد دراساته لمشكلة الألوهية استمرارا لموقفه الكلامى الاعتزالى .. أما فلسفته الطبيعية فيتبع فيها طريقة التوفيق بين أرسطو وأفلاطون ، فهو يرى أن للموجودات علة قصوى هى الله الذى خلق العالم ونظَّمه ودبَّره وجعل بعضه علة لبعضه الآخر ، وفعل الخلق هو عملية إبداع أى إيجاد من العدم على خلاف مايراه أرسطو ... وأما كلامه فى النفس فهو ترداد لأقوال القدماء وبخاصة أرسطو ، وبعضه مأخوذ من كتاب (الربوبية) المنسوب خطأ إلى أرسطو .(١٢٥)

ومجمل القول فى الكندى أنه متكلم معتزلى ، وفيلسوف من الآخذين بالمذهب الإفلاطونى الجديد مع إضافات من المذهب الفيثاغورى ، ومثله الأعلى سقراط ... وقد ألف كتبا عنه ، وحاول التوفيق بينه وبين أرسطو ... ومع ذلك فالمأثور أنه أول من أخذ بمذهب أرسطو وحذا حذوه فى تأليفه . " (١٢٦)

اللغة الفلسفية

إن تاريخ الفكر الفلسفى ومن ثم تاريخ مصطلحه مدينان بالكثير للكندى ، فهو صاحب أول رسالة فى الحدود الفلسفية ، فيما يرى أغلب الباحثين ، وربما يسبقه فى ذلك جابر بن حيان (ت ٢٠٠) فيما يرى الدكتور عبد الأمير الأعسم .

ورسالة الكندى فى حدود الأشياء ورسومها هى – كما يقول الدكتور ماجد فخرى : الحلقة الأولى فى سلسلة من رسائل مماثلة احتذى فيها مؤلفوها حذو أرسطو فى الكتاب الخامس (كتاب الدال) من مجموع (ما بعد الطبيعة) حيث أورد جدولا من المصطلحات الفنية قرنها بالشرح المناسب " (١٢٧)

وتبين المقابلة بين الألفاظ التى استخدمها المترجمون فى نقل المفاهيم الفلسفية عند الفلاسفة اليونانيين ، وبخاصة إسحق بن حنين ، والألفاظ التى استخدمها الكندى أنه قد تابعهم فى معظمها ، وليس هذا بمستغرب ، فالكندى – وقد كان معاصرا لإسحق ولغيره من كبار مترجمى الفلسفة اليونانية – كان أول فيلسوف عربى يكتب بالعربية ، ولم يكن أمامه إلا أن يعتمد على تلك التراجم التى يتوقع أن يكون قد تولى تنقيح بعضها على مايذكره المؤرخون ، وفى تلك المرحلة المبكرة لا نتوقع أن يصيب المترجمون أو المتفلسفون الأوائل – المقابلة دائما ، بل كانوا يتلمسون أقرب الألفاظ إلى ما فهموه من النص اليونانى أو السريانى . وبمرور الزمن وباستقرار الدرس الفلسفى وبخاصة عند الفارابى أهملت بعض تلك الألفاظ وحل محلها ألفاظ أخرى . فقد كان الكندى مثلا : يستخدم (جرم) للجسم و (طينة) للمادة و (التوهم) للخيال و (التمامية) للغائية و (القُنْيَة) للعادة و (الجامعة) للقياس .. الخ وقد استخدم الكندى عبارات مهجورة كاستعمال (أيس) للوجود و (ليس) للاوجود ، واشتق اشتقاقات غريبة على بنية الكلمة العربية ، فقد اشتق من الضمير (هو) فعلا هو (هَوَّى) بمعنى أوجد ، ومصدرا (التهوى) بمعنى الإيجاد .. الخ (١٢٨)

الفلسفة ومصطلحها فى دور النضج

الفارابـــــى

الفارابى أبو نصر (ت ٣٣٩هـ) هو – كما قال القاضى صاعد : فيلسوف المسلمين بالحقيقة " ويلقبه المؤرخون والفلاسفة بالمعلم الثانى يعنون أنه المعلم الثانى بعد أرسطو المعلم الأول .

وفى فلسفته بعامة يؤكد دى بور أن مباحث ما بعد الطبيعة التى يستعمل فيها المنهج المنطقى ، والتى مهد الكندى وغيره إليها السبيل ، قد بلغت أوجها عنده ، وإذا كان الفلاسفة الطبيعيون يجعلون دراسة آثار الأشياء أساسا لأبحاثهم فإن أصحاب المنطق يحاولون إدراك الاشياء باستنباطها من أصولها وهم فى كل بحوثهم يتلمسون ماهيات الأشياء وحقائقها من أدناها إلى ذات الله (١٢٩)

ويذكر له المؤرخون القدامى أنه بذ جميع أهل الإسلام فى صناعة المنطق وأربى عليهم فى التحقق بها ، فشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها ، وجمع ما يحتاج إليه منها فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الإشارة " (١٣٠)

ويؤكد مكانة الفارابى المنطقية كثرة الشروح والتلاخيص التى وضعها على منطق أرسطو ، فقد شرح ولخص كتبه المنطقية الثمانية بالإضافة إلى شرحه لكتاب إيساغوجى لفرفريوس الصورى .

ولم يكن المنطق وحده هو الذى أنزله هذه المنزلة الفريدة بين فلاسفة المسلمين ، فقد نجح نجاحا عظيما فى عرض فلسفة أفلاطون وأرسطو حتى قال القاضى صاعد : وله كتاب فى أغراض فلسفة إفلاطون وأرسطو طاليس يشهد له بالبراعة فى صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف وجوه الطلب " (١٣١)

وعن الكتاب الأول وهو : (فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها) يكشف الفارابى – كما يقول الكتور ماجد فخرى – عن معرفته الواسعة بمجموع المؤلفات الإفلاطونية .. ولايكتفى بتسمية محاورات أفلاطون بل يذكر سائر رسائله ويورد خلاصة جيدة لمحتوياتها " (١٣٢)

وفى الكتاب الثانى : فلسفة أرسطو طاليس يعرض فلسفة أرسطو جميعها ، مبتدئا من المنطق ومنتهيا إلى ما بعد الطبيعة .. " ويُذكر له ربطه الموثق بين موضوع الأخلاق أو نظرية (السعادة) من جهة ونظرية (المعرفة) التى هى موضوع هذا الكتاب ، وموضوع شروحه لمؤلفات أرسطو المنطقية ، ويذكر له أيضا الوحدة العضوية بين العلوم المختلفة . (١٣٣)

ولعل كتابه (إحصاء العلوم) الذى نعته صاعد بالشريف وقال عنه : وله كتاب لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه " – هو أصدق ما كتبه عن مفهوم الفلسفة من حيث صلتها بسائر العلوم ، بل وعلى مفهوم فلاسفة الإسلام جميعا لطبيعة العلوم اليونانية والإسلامية ومناهجها ، ولما يقوم بينها من علاقات متبادلة " (١٣٤)

وفى كتابه الهام (الجمع بين الحكيمين) يبذل الفارابى أقصى الجهد فى التوفيق بين فلسفة أفلاطون وأرسطو ، ويرى الدكتور أبو ريان أنها محاولة تعسفية ، كان لها آثارها الخطيرة فى مصير الفلسفة الإسلامية وأسلوب تناول مشكلاتها بحيث قدر لها أن تسير فى طريق التغير والتلفيق . (١٣٥)

وله فى السياسة كتاب شهير هو (آراء أهل المدينة الفاضلة) تأثر فيه مباشرة بجمهورية أفلاطون ، وفى هذا الكتاب يقرر أن الإنسان مدنى بطبعه ، وأن الاجتماع البشرى هو طريق الإنسان إلى تحصيل الكمالات المفطور عليها ، والسعادة التى هى غايته ، والمجتمعات التى تحقق ذلك هى المجتمعات القائمة على التعاون . والتعاون هو العلامة المميزة للمدينة الفاضلة التى يدعو إليها ، والتى يتمسك أهلها بالنظام والعلم وعشق الحياة الفاضلة ويخضعون لمبدأ تقسيم العمل .. حتى تتكامل وظائفها ويتكامل أعضاؤها ... الخ (١٣٦)

ومدينة الفارابى الفاضلة – كما يرى الدكتور أبو ريان – صورة صادقة لمجهود فلاسفة الإسلام الذى يتمثل فى حركة التوفيق بين العقل والنقل أى بين الفلسفة والدين فى إطار حركة التلفيق الكبرى القائمة على الخلط بين إفلاطون وأرسطو وأفلوطين . (١٣٧)

إخوان الصفاء

هم – كما يقولون عن أنفسهم – عصابة تألفت بالعشرة والصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة " وكان مركز نشاطهم البصرة فى القرن الرابع الهجرى . وتذكر بعض المصادر أن من إخوان الصفا : أبو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، والعوفى ، وأبو الحسن الزنجانى ، ومحمد بن أحمر النهرجورى ، وزيد بن رفاعة ، ويقول السجستانى : إن هؤلاء الخمسة ألفوا جماعة من العلماء اجتمعوا ووضعوا رسائل إخوان الصفاء وأن ألفاظ هذه الرسائل للمقدسى " (١٣٨)

والإخوان جماعة فلسفية دينية سياسية سرية ، انطلقت من صفوف الإسماعيلية الذين نشطوا فى البصرة والكوفة فى أثناء سيطرة البويهيين على الخلافة الإسلامية فى العراق .

ونظام الإخوان نظام جماعى أخوى يقوم على التعاون فى كل الأمور المادية والروحية، وعلى تماسك أفرادها وتجنب الاختلاط بالأغيار ، وعلى كتمان أخبارهم ، ولهذا كانت لهم مجالسهم الدورية التى يتذاكرون فيها شئونهم ومختلف العلوم والمعارف ، ومن وصاياهم لأشياعهم : ألا يُعادوا علما من العلوم ، ولايهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لأن مذهبهم يستغرق المذاهب كلها ... لأنه ينظر فى جميع الموجودات .. من حيث هى كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة . (١٣٩)

وتتكون الجماعة فى ثلاثة مراتب : مرتبة المبتدئين الذين بلغوا الخامسة عشرة من العمر ، وتميزوا بجودة الفهم وطهارة القلب ، ومرتبة الرؤساء ذوى السياسات الذين بلغوا الثلاثين من العمر وتميزوا بالشفقة والرحمة والحكمة فى مراعاة الإخوان وإدارة الشئون العامة ، ومرتبة الملوك ذوى السلطان الذين بلغوا الأربعين من أصحاب الأمر والنهى والمؤيدين بالشرع ، ومرتبة الولاية لمن بلغوا الخمسين وتميزوا بالتسليم ومشاهدة الحق عيانا والقدرة على الصعود إلى ملكوت السماء ومجاورة الحق . (١٤٠)

إن رسائل إخوان الصفاء ، وهى اثنتان وخمسون رسالة – كما يقول دى بور : دائرة معارف غنوسطية مأخوذة من مختلف المذاهب " (١٤١)

وهى – كما يقول الدكتور ماجد فخرى : تضم مزيجا فريدا من الآراء الفيثاغورية والأفلاطونية الجديدتين ، فى موضوعات طبيعية رياضية ، وتقوم على أساس هذه الآراء

فلسفة كونية انتقائية شديدة التعقيد، يشرحها الإخوان شرحا مبسطا يجعلها أقرب إلى فهم الجمهور من تعبير الفلاسفة المحترفين"(١٤٢)

وتقع هذه الرسائل فى أربع مجموعات : الأولى تشمل الرسائل الرياضية أو التعليمية والثانية الجسمانية الطبيعية ، والثالثة النفسانية العقلية والرابعة الناموسية الإلهية والشرعية والدينية .

والرسالة الأولى من الرسائل الرياضية تختص بماهية العدد وكميته وكيفية خواصه ، وهم يرون أن العدد هو : جذر العلوم الأخرى ، وعنصر الحكمة ، ومبدأ المعارف وأسطقس المعانى " والرسالة الثانية تعالج الهندسة والثالثة الفلك والرابعة الموسيقى والخامسة الجغرافية ، وتعنى السابعة والثامنة بالصنائع النظرية والصنائع العملية ، والتاسعة باختلاف الأخلاق والعلل الفاعلة فيها ، والعاشرة حتى الرابعة عشرة أقسام المنطق الأرسطى الخمسة المقابلة لكتب المنطق الخمسة التى تداولها العرب وهى : إيساغوجى والمقولات والعبارة والقياس والبرهان .

أما المجموعة الثانية وهى سبع عشرة رسالة فموضوعها يتفق بصورة عامة مع ما تتضمنه مؤلفات أرسطو فى الطبيعة .. ومن رسائل تلك المجموعة : رسالة فى أجناس النبات ، ورساله فى ماهية الطبيعة ، وفى تكوين المعادن ... الخ

وتتألف المجموعة الثالثة من عشر رسائل ، الأولى منها فى المبادئ العقلية على رأى الفيثاغوريين والثانية على رأى الإخوان ، والرابعة فى العقل والمعقول ... والعاشرة فى الحدود والرسوم وسوف نتعرض بالتفصيل لهذه الرسالة عند الحديث عن مصادر المصطلح الفلسفى .

أما المجموعة الرابعة ففى العلوم الناموسية الإلهية والشرعية وتشتمل على إحدى عشرة رسالة ، الأولى منها فى الآراء والديانات والثانية فى ماهية الطريق إلى الله عز وجل ، والثالثة والرابعة فى بيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية عشرتهم .. الخ

وجملة القول فى فلسفتهم أنها فلسفة دينية غايتها التوفيق بين العلم والحياة وبين الفلسفة والدين .. ومن العسير أن نبين لفلسفتهم صورة شاملة متسقة الأجزاء ، لأنهم كما يقول دى بور : قد قبسوا من كل المذاهب وعرضوا فلسفتهم من غير مراعاة منهج جيد فى تقسيمها"(١٤٣)

اللغة الفلسفية

كان بلاء المترجمين فى اختيار الألفاظ العربية المقابلة لمفاهيم الفلسفة اليونانية بلاء حسنا ، ولكنه كان بلاء المترجمين الذين يقاربون لا الفلاسفة الذين يحققون ، ومن ثم فليس بمستغرب أن يخطئوا التقدير أحيانا فى بناء العبارة أو فى اختيار الألفاظ ، وأن يكون المصطلح الفلسفى فى عهدهم مضطربا لا يستقر ، وأن يتبارى المترجمون اللاحقون فى تدقيقه وإقراره .

وجاء الكندى – وهو فيلسوف عربى صليبة – فجرى غالبا على ما اختاروا من ألفاظ ، وابتدع ألفاظا وتعابير أخرى ، بيد أن عبارته كانت أوضح بيانا وأكثر تماسكا وأقل تعقيدا .

ثم جاء الفارابى – وقد أخذ النحو على إمام البصريين لعهده ابن السراج – فكان أوضح عبارة وأسلس تعبيرا وأوفق اختيارا من أسلافه ، وقد رأينا كيف مدح صاعد عرضه وشرحه لمنطق أرسطو . وهذا هو أحد كبار المستشرقين العلامة ماسينيون يعين دوره فى هذا الخصوص بقوله : إن تحديد اللغة العربية الفلسفية ثبت فى عهد الفارابى فقط ، وقام فى وقته المصطلح الفلسفى الصحيح ، أما قبله فقد أخذوا طرقا مختلفة " (١٤٤)

هذا ولا يقل دوره فى تاريخ المصطلح الفلسفى عن دوره فى تاريخ الفلسفة نفسها ، فقد قدم لنا نظرية عامة فى المصطلحية من خلال كتابين له هما (الحروف) و (الألفاظ المستعملة فى المنطق) وسوف نحدد جوانب هذه النظرية فيما بعد .

وأهم مايجده الناظر فى كتاب (الحروف) – كما يقول محققه محسن مهدى : هو الشروح الوافية لمعانى المصطلح العلمى الفلسفى فى العربية ولغات أخرى غير العربية ، والتعريف بما عمله المترجمون عند نقلهم هذا المصطلح من اليونانية والسريانية ، وتفسير المعانى العامية (العامة) وصلتها بالمعانى العلمية ، ثم البحث فى أصل اللغة واكتمالها وعلاقتها بالفلسفة والملة " (١٤٥)

والذى يعنيه الفارابى بالحروف هو ما يطلق عليه النحاة حروف المعانى ، وإن لم تكن كلها حروفا بالمصطلح النحوى ، وقد شرح منها فى هذا الكتاب الحروف التى يسأل بها عن المقولات مثل متى وما وكم .. الخ ، واستكمل الحروف الأخرى فى كتابه (الألفاظ ..) الذى يبحث فى الألفاظ المستعملة فى المنطق عامة ومنها الحروف .

وقد أحصى فى كتابه الثانى (الألفاظ المستعملة فى المنطق) أصناف الألفاظ العربية الدالة على ما تشتمل عليه صناعة المنطق ، وفق تصنيف المناطقة الموافق للتقسيم اليونانى للألفاظ لا النحاة ، يقول : ونحن متى قصدنا تعريف دلالات هذه الألفاظ فإنما نقصد المعانى التى تدل عليها هذه الألفاظ عند صناعة أهل المنطق فقط " (١٤٦)

الفلسفة ومصطلحها فى دور الاستقرار

ابن سينا

كان الفارابى هو واضع الصيغة العربية للأفلاطونية الجديدة ، وأكبر فلاسفتها منذ عهد برقليس آخر أعلامها فى الغرب ، بيد أن أعظم زعماء هذه الفلسفة فى الشرق والفيلسوف الذى اقترن اسمه بكامل قضيتها فيما كتبه المؤلفون اللاحقون فى أوربا وفى الشرق هو أبو الحسين بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس ، (ت ٤٢٨هـ) (١٤٧)

ولم يكن ابن سينا – مع هذا التقدير – فيلسوفا مبدعا ، فقد أقر هو نفسه بفضل الفارابى عليه ، إذ لم يفهم كتاب أرسطو (ما بعد الطبيعة) إلا بعد أن قرأ كتاب الفارابى عنه ، ومنطق ابن سينا – كما يقول دى بور : يتفق فى التفاصيل مع منطق الفارابى ، كما أن نظامه الكونى – على ما يرى الدكتور ماجد فخرى – ونظريته فى النفس ونظريته فى العقل ونظريته فى النبوة .. مع ما فيها من تحسينات على ما يقابلها من تعاليم الفارابى ماهى إلا صيغة جديدة لموضوعات سُبق إليها ، بيد أن ابن سينا كان فى تأليفه أوضح تعبيرا وأكثر تنظيما من سلفه الفارابى ، وقد كان لأسلوبه السلس فضل كبير فى انتشار مؤلفاته ، وقد أقبل كثير من كبار المؤلفين ، مثل فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) والشهرستانى (ت ٥٤٨هـ) ونصير الدين الطوسى (ت ٦٧٢هـ) على كتبه يشرحونها ويعلقون عليها أو يختصرونها . وكذلك الحال فى أوربا حين اتجه الدارسون إلى مذهب أرسطو .. وكانت شروحه أول شروح عربية لأرسطو تنقل إلى اللاتينية .. وقد كانت حملة الغزالى على الفلسفة الأفلاطونية الجديدة فى (تهافت الفلاسفة) موجهة أساسا إلى صيغتها عند ابن سينا.(١٤٨)

كان ابن سينا غزير الانتاج ، كتب فى كل الموضوعات الفلسفية تقريبا ، ولعل أهمها هو كتاب (الشفاء) وهو موسوعة كبرى للعلوم الإسلامية – اليونانية فى عصره ، فيضم علوم

المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات ، وقد اختصره فى كتاب (النجاة) الذى حظى باهتمام عدد كبير من الشراح ، وقد ترجم إلى العبرية والسريانية ، وترجمت بعض فصوله إلى الانجليزية والفرنسية والألمانية . وقد لخص ابن سينا فى كتاب (الإشارات والتنبيهات) أبواب المنطق فى عشرة مناهج ، ومسائل الحكمة فى عشرة أنماط ، وقد ترجمت الآنسة جواشون هذا الكتاب إلى الفرنسية مع فقرات من شرح الطوسى ، ودراسة تحليلية لمتنه ومصطلحاته ، وله أيضا (رسالة فى الحدود) على غرار رسالة الكندى ، وسوف نعرض لها فيما بعد، عند الحديث عن مصادر المصطلح الفلسفى ، ورسالة فى أقسام العلوم شبيهة برسالة الفارابى (إحصاء العلوم) ولكنها دونها إحاطة .

ونزعة ابن سينا الصوفية تبدو واضحة فى (الإشارات) وتتجلى فى كتاباته الرمزية ، (قصة حى بن يقظان) و (رسالة الطير) و (رسالة فى العشق) ... وفى أشعاره ، ولا سيما قصيدته فى النفس

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وكان تأثيره فى الطب عظيما فى الشرق والغرب ، وكان كتابه (القانون) إنجيل الطب فى العصور الوسطى . وهو موسوعة كبرى فى العلوم الطبية والصيدلية استخلصه من مؤلفات من سبقه من الأطباء والمترجمين مثل : حنين بن إسحق ، وماسرجويه وابن ماسويه والرازى ، بيد أن اعتماده على التجربة ودراسته لأحوال المرضى وتعقبه لآثار الأدوية أحلته مكانا رفيعا بين أطباء عصره .

وجملة القول إذا ما تحدثنا عن مذهبه الفلسفى أنه لم يكن صاحب مذهب فلسفى جديد ، بل كان معبرا عن حركة التلفيق التى اتسمت بها الفلسفة الإسلامية منذ نشأتها . وهى الحركة القائمة أيضا على التوفيق بين أرسطو وافلاطون ، وإذا ما تحدثنا عن مكانته فى الفكر الإنسانى بعامة فقد يقال إنه كان كاتبا موسوعيا انتهت إليه علوم عصر من أزهى عصور العلم الإسلامى ، فأحسن فهمها ونقلها إلى الأجيال القادمة .

الغزالى

الإمام أبو حامد الغزالى ، حجة الإسلام (ت ٥٠٥هـ) فقيه شافعى ، ومتكلم أشعرى ، وفيلسوف ناقد للفلاسفة ، ومتصوف سالك طريقة أهل السنة .

له فى الفقه كتاب ذائع بين الفقهاء كثيرة شروحه هو الوجيز ، وهو عمدة فى مذهب الشافعى ، أوجز فيه ما بسطه فى كتابيه : البسيط والوسيط ، وجمع فيه أصول المذهب الشافعى وفروعه ، بل أصول وفروع المذاهب الأخرى أحيانا ، بطريقة منظمة وبعبارة محررة مختصرة . وله فى أصول الفقه كتاب جامع هو : المستصفى ، وهو وكتاب أستاذه إمام الحرمين الجوينى (ت ٤٦٨هـ) من أحسن ما كتب فى الأصول ، كما يقول ابن خلدون . (١٤٩)

والغزالى من جهة أنه متكلم يعالج القضايا التى عالجها المتكلمون ، ويدافع عن المواقف التى اتخذوها ، وإن سلك فيها طريقا آخر بالتوسع فى استخدام المنطق الأرسطى الذى عده معيار العلم . وقد اشتغل بالدفاع عن الإسلام وفى الرد على المخالفين ، فألف فى الرد على الإباحية وعلى الباطنية وعلى النصارى القائلين بألوهية عيسى عليه السلام . (١٥٠)

وكان علم الكلام إلى عهده مازالت له مكانته الظاهرة فى الدفاع عن العقيدة والبرهنة عليها ، وقد كان تأثره بالفلسفة آنذاك قويا ، فالمتكلمون من المعتزلة ومن خصومهم وكذا المتفلسفون الإسلاميون يأخذون من كتب الفلاسفة ما يدعم موقفهم ، ويحتجون به على خصومهم فحسب ، وهو ينتقد هؤلاء المتكلمين – مع اعترافة بحاجة العقلاء إلى علم الكلام ، ودعوته إلى منع العوام عن الخوض فيه – بأنهم لم يصرفوا عنايتهم للوقوف على منتهى علوم الفلاسفة (ولا يقف على فساد علم من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى أعلم الناس به) وهذا ما أوفى به الغزالى حق الوفاء ، فقد درس مذاهب الفلاسفة وفرقهم دراسة وافية عميقة لاسيما الفارابى وابن سينا .

وقد وضع فى الفلسفة كتاب (مقاصد الفلاسفة) وفيه يقول دى بور : فى هذا الكتاب يقرر الآراء الفلسفية تقرير الباحث العلمى ، ويحكيها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل فى رأيه ، وقد يلوح فيه شئ من الرضا عن مباحثها " (١٥١) على أنه صرح فى أوله أنه لايريد من بيان مذاهب الفلاسفة فيه إلا أن يكون مقدمة لإبطالها .

وقد شن الغزالى فى كتابه (تهافت الفلاسفة) حملة قوية على جملة المذاهب الفلسفية التى قامت فى المشرق على أساس الفلسفة اليونانية ، وهى حملة كانت تستند كما يؤكد دى بور : على أصول عامة وعلى دراسة عميقة . (١٥٢)

وهؤلاء الفلاسفة على اختلاف فرقهم من دهريين وطبيعيين وإلاهيين موصومون عنده جميعا بالإلحاد والكفر ، ولكنه – كما يقرر الدكتور أبو ريان – لم يكفرهم فى سائر علومهم ، فهو يقسم علومهم إلى ستة أقسام : رياضية ومنطقية وطبيعية وإلاهية وسياسية وخلقية ، وقد استبعد تكفيرهم فى الرياضيات والمنطقيات، وكذلك فى السياسات والخلقيات .. ولم ينكر كذلك جميع أقوالهم فى الطبيعيات بل أنكر منها مسائل رآها مخالفة لصريح الإسلام ، أما أكثر أغاليطهم التى رد عليها ونقضها فكانت فى الإلهيات ، ومن أشهر تلك المسائل : قولهم بقدم العالم وإنكارهم لمعرفة الله بالجزئيات وإنكارهم حشر الأجساد . (١٥٣)

وللغزالى كتاب خصصه للمنطق هو (معيار العلم) وقد جعل الجزء الثالث منه للحدود، عرض فى هذا الجزء لقوانين الحدود ، وللحدود المستعملة فى الفلسفة ، وفى الإلهيات والطبيعيات والرياضيات.

والكتاب فى مادته وتنظيمه وحدوده متأثر بابن سينا ، وسوف نفصل القول فى هذا الكتاب وحدوده فيما بعد عند الحديث عن مصادر المصطلح الفلسفى .

كان المتكلمون – كما أشرنا سابقا – يدافعون عن العقائد الإسلامية ويحاولون أن يقربوها إلى العقل ، ويلتمسون لها الأدلة العقلية ، وكان بإزائهم الصوفية الذى لاينهجون فى العقائد منهج العقل ، ولا يحاولون البرهنة عليها بالمنطق ، بل كانوا يسعون إلى تذوقها من طريق القلب وجعلها حالا للنفس ، وفى هذا المجال يظهر دور الغزالى بارزا فى الفكر الإسلامى بعامة . لقد استوعب التراث الصوفى إلى عهده استيعابا وبسطه ووضعه على أساس واسع وصار التصوف عند جمهور المسلمين بفضل الغزالى : دعامة يقوم عليها صرح العلم وتاجا على مفرقه " كما يقول دى بور . (١٥٤)

ولعل أهم كتب الغزالى على الإطلاق هو (إحياء علوم الدين) فهو يتضمن معظم آرائه، وينقسم الكتاب إلى قسمين ، وكل قسم منها ينقسم إلى ربعين ، وبذلك يشتمل الكتاب على أربعة أرباع ، ربع العبادات وأوله كتاب العلم – ثم ربع العادات وأوله كتاب آداب الأكل ، ويليه ربع المهلكات وأوله كتاب شرح عجائب القلب ، وأخيرا ربع المنجيات وأوله كتاب التوبة .. " وكل ربع من هذه الأرباع يتضمن عشرة كتب وبذلك يصبح مجموع كتب الإحياء أربعين كتابا .

وللغزالى كتاب (الإملاء فى إشكالات الإحياء) يجيب فيه عن بعض ما أشكل على الجهال من كتابه (إحياء علوم الدين) وقد فسر فيه بعض العبارات التى ينفرد بها أهل الطريق ويلتبس معانيها على أهل القصور .

وسوف نعرض له بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن مصادر المصطلح الصوفى .

وقد حكى الغزالى تجربته الروحية الخصيبة فى كتاب (المنقذ من الضلال) وسجل فيه مواقفه الفكرية من العلوم والمعارف التى ازدهرت فى عصره .

وقد شرح فى مقدمته هدفه من تأليفه فقال : سألتنى أيها الأخ الكريم أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائلة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ... وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار .... وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم (الباطنية) .. وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف"(١٥٥)

لقد كان الغزالى ينشد اليقين ، ويطلب حقائق الأمور ، وظهر له أن العلم اليقينى هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم ، واليقين عنده هو الذى يرقى إلى مستوى العلم الرياضى فى درجة اليقين كما يقول الدكتور أبو ريان(١٥٦)

وأخذ يفتش عن اليقين فى علوم عصره ، كان علم الكلام وافيا بمقصوده من حفظ العقيدة ... ولكنه لم يكن فى حقه هو كافيا ولا لذاته شافيا .. وكذلك كانت الفلسفة فهى غير وافية بكمال الغرض ، وليس العقل مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات .. ثم بحث عنه فى مقالات أهل التعليم القائلين بإمامهم المعصوم .. ولم يجده أيضا ومع ذلك فإنه ينتهى بضرورة أن يكون للمسلمين كافة إمام مستوف لشروطها من الورع والعلم والتقوى والنجدة.

وحين فرغ من تحصيل هذه العلوم وأوضح وجوه تقصيرها عن اليقين الذى ينشده أقبل على طريق المتصوفة ، فعلم : أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل ، وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى "

وحين استوفى علومهم وسلك طريقهم تبين له أن الصوفية هم " السالكون طريق الله تعالى " وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق "

وظهر له أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والسلوك وتبدل الصفات أى بالعمل والمجاهدة .. وهكذا تكون المعرفة الكلية التى تعرف بها حقائق النبوة وأصول الدين هى المعرفة الصوفية (١٥٧)

اللغة الفلسفية

استقر المصطلح الفلسفى بما كتبه ابن سينا والغزالى فى فروع الفلسفة المختلفة بل إن الحدود أو التعريفات قد تحددت هى الأخرى بالصياغة المحكمة عند ابن سينا وبخاصة فى رسالته فى الحدود وفى كتابه النجاة ، وجاء الغزالى فأقر تعريفات ابن سينا الواردة فى رسالته ، وأعاد تنظيم مادة الفن الأول من الحدود فنقح أقواله وطورها أحيانا بما يفيد إعطاء الصياغة النهائية لنظرية التعريف .

ويرى الدكتور الأعسم أن المرحلة التى يمثلها ابن سينا والغزالى فى تطور المصطلح الفلسفى هى مرحلة ثبات المصطلح واستقراره ، وعند الغزالى بخاصة يلاحظ أمرين :

١ – أن نص الغزالى يكشف عن تطور اللغة الفلسفية تطورا عربيا حيث اختفت الألفاظ المعربة التى انتشرت بين الفلاسفة منذ الكندى حتى ابن سينا ، فلا نعثر إلا على لفظين هما : هيولى واسطقس.

٢ – أن حدود الغزالى تؤكد أن المصطلحات الفلسفية قد استقرت فى الاستعمال الفلسفى على الحالة التى عرضها الغزالى ، ولغة هذه الحدود تمثل مرحلة نضج اللغة الفلسفية المعجمية للمصطلحات التى ستظهر فيما بعد وفاة الغزالى بقرن . (١٥٨)

سادسا : المصطلح الطبى

تمهيـــــد

كان الطب العربى فى أول عهده بدائيا بدويا يتناقله الناس من غير نظام وفـــى غـــير كتاب ، وظل كذلك – إلى حد ما – حتى آخر عهد بنى أمية ، ويذكر المؤرخون أخبارا عن أطباء مارسوا الطب فى أثناء تلك الفترة ، فابن أبى أصيبعة مثلا يذكر أن الحارث بن كلـدة المعروف بطبيب العرب تعلم الطب فى فارس وتمرن هناك وعرف الداء والدواء ، ويترجم لعدد من الأطباء النصارى مثل : ابن أثال وأبو الحكم وابنه حكم وكانا يقيمان بدمشق فـــى خدمة بنى أمية ، وتياذوق وكان فى خدمة الحجاج بن يوسف .. وغيرهم ويذكر لهم نصائح نافعة أو وصفات طبية من أدوية أو أغذية . (١٥٩)

نهض العلم بعامة والطب بخاصة بظهور دولة بنى العباس ، فاستقدموا كبار الأطبـــاء من السوريان ، وبعثوا المترجمين إلى بلاد الروم لاستحضار الكتب وبذلوا فى ذلك المـــال الوافر ، وشجعوا المترجمين وأجزلوا لهم العطاء ، ويحكى فى ذلك أن المأمون كان يعطـــى لحنين بن إسحق من الذهب زنة ماينقله من الكتب إلى العربى (١٦٠) وقد بلغ الطـــب فـــى عهدهم غاية تقدمه.

ويقسم الدكتور محمد كامل حسين أدوار الطب العربى إلى العصور الآتيـــة : عصـــر الرواد ، وعصر الترجمة وعصر التأليف والعصر الذهبى .

الطب ومصطلحه فى دور النشأة (عصر الرواد)

وأطباء ذلك العصر هم الطبقة الأولى ، وأشهر أطبائها أسرة ســـريانية خدمـــت بنـــى العباس أكثر من قرن ، هى أسرة بختيشوع ومعناها فى السريانية عبدالمسيح ، كان أولـــهم جورجيس بن جبرائيل رئيس أطباء جندى سابور ، خدم المنصور وكان حظيا عنده ، ونقـل له كتبا كثيرة من كتب اليونانيين إلى العربى ، وخلفه ابنه بختيشوع وكان ماهرا فى الطـــب كأبيه وخدم الرشيد وتميز فى أيامه ، وخلفه ابنه جبرائيل وكان رفيع المنزلة عند الرشـــيد والمأمون ، ويحكى عنه ابن أبى أصيبعة أخبارا طريفة عن معالجاته ووصاياه ، وله فـــى

الطب رسائل صنعها للمأمون ، وخلفه ابنه بختيشوع ، وقد بلغ من عظم المنزلة ما لم يبلغ أحد من سائر أطباء عصره ، خدم الخليفة الواثق والمتوكل ، وكان حنين بن إسحق يترجم له كتب جالينوس .

وشهر آخرون من غير آل بختيشوع مثل يوحنا بن ماسويه وعبد الله الطيفورى وكان فى خدمة الهادى ، وابنه زكريا وكان صيدلانيا ، وعيسى بن ماسة المعروف بأبى قريش .. الخ (١٦١)

الطب ومصطلحه فى دور الترجمة

كان هذا فى عصر المأمون ومن جاء بعده من الخلفاء ، وكانت بغداد تعج بالعلماء والأطباء والمترجمين ، وكان بها – كما يقول الدكتور محمد كامل حسين – ثلاثة رهط ، كل رهط ينسب إلى بلد معين ، ولكل منهم عمل محدد ، أما الرهط الأول فكان من أهل جندى سابور وعلى رأسهم جبرائيل بن بختيشوع وكان عملهم مداواة الخلفاء والأمراء ، أما الرهط الثانى فكانوا من أهل الحيرة وعلى رأسهم حنين بن إسحق وهو من أكبر نوابغ هذا العصر وكان معه ابنه إسحق وابن اخته حبيش . وقد بلغ من المجد العلمى غايته ، وأصبح المرجع الأكبر للمترجمين ، وله مع مترجماته الكثيرة مؤلفات فى الطب ، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد ، أما الرهط الثالث فكان من أهل حران وكان على رأسهم ثابت بن قرة وابنه سنان وكلاهما كان طبيبا ممارسا ، وكان ثابت واسع الإطلاع فى كل علم ، ونقل إلى العربية كتبا فى الهندسة والفلك ، وكان ابنه سنان أقدر منه وأعلم بالطب وقد عهد إليه الخليفة المقتدر باختبار الراغبين فى تعاطى صناعة الطب . (١٦٢)

ومن غير شك فإن حنين بن إسحق هو أعظم مترجمى الإسلام ، وقد شغل مكانة فريدة فى تاريخ الطب ومصطلحه ، ومن ثم فهو علم هذه المرحلة بغير منازع .

حنين بن إسحق

ولد حنين بن إسحق سنة ١٩٤هـ فى الحيرة بالعراق ، وهو من قبيلة العباد وهى قبيلة عربية اعتنقت النصرانية ، درس الطب فى جنديسابور على يوحنا بن ماسويه ، ولكنه أثار

غضبه بما يلقيه عليه من أسئلة عويصة ، فأمره بترك مدرسته .. فخرج من عنده ، وغاب عن الناس سنتين قضاهما فى تعلم اليونانية حتى أتقنها وصار ينشد أشعار هوميروس . ولما عاد إلى بغداد دخل فى خدمة عائلة الطبيب الشهير جبرائيل بن بختيشوع فترجم له بعضا من كتب جالينوس . وبلغ حنين منزلة رفيعة عند المتوكل مترجما وطبيبا .. وظل فى خدمة خلفاء بنى العباس حتى توفى فى خلافة المعتمد سنة ٢٦٤هـ كما يرجح ابن أبى أصيبعة . (١٦٣)

وكان يعاونه فى أعماله ولده إسحق وابن أخته حبيش ونفر من التلاميذ النابهين منهم عيسى بن يحيى وموسى بن خالد وأبو عثمان سعيد وعيسى بن على .

وينسب إلى حنين ترجمة عدد كبير جدا من الكتب تتناول ألوان العلم المعروفة فى عصره من طبية وفلسفية وفلكية وطبيعية ، ويؤخذ من قائمة وضعها حنين وأتمها أحد تلاميذه أنه ترجم إلى السريانية من كتب جالينوس خمسة وتسعين ، وترجم إلى العربية منها تسعة وثلاثين ، وعدا ذلك فإنه راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التى كان قد ترجمها إلى السريانية سرجس الرأسعينى وأيوب الرهاوى وغيرهما من الأطباء المتقدمين . (١٦٤)

كان حنين – كما يقول النديم – فصيحا فى اللسان اليونانى وفى اللسان العربى بارعا شاعرا خطيبا وفصيحا لسنا .

وكان أسلوبه فى الترجمة – كما يقول ماكس مايرهوف – رائعا ووافيا بأغراض علم اللغة الحديث تماما " وكان يجمع أكبر عدد ممكن من مخطوطات النص الذى يترجمه ويقارن بعضها ببعض حتى يخرج بنسخة سليمة يترجم منها ، وكان ينتقد تراجم المتقدمين عليه بل تراجمه أيضا " (١٦٥)

وعن مذهبه فى الترجمة يقول الصفدى : يأتى بالجملة فيحصل معناها فى ذهنه ، ويعبر عنها فى اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها ، وهذا الطريق من الترجمة أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين إلى تهذيب " (١٦٦)

وقد قال عنه برجستراشر أعظم حجة فى تراجم حنين إلى العربية : .. كانت تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم .. ويتجلى هذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية فى التعبير مع الإيجاز (١٦٧)

وقد ألف حنين كتبا بالسريانية لا نعلم إلا القليل عنها ، أما مؤلفاته بالعربية فقد أورد ابن أبى أصيبعة أكمل قائمة لها ، ومؤلفاته – كما يقول ماكس مايرهوف – : صورة لكتب أطباء اليونان التى استنفد فى ترجمتها أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية .

ومن أهم هذه الكتب (تفسير كتاب الصناعة الصغير لجالينوس) والمعروف بالمدخل وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وطبع فى ليبزج ١٤٩٧ ، وكتاب (المسائل فى الطب) وهو مقدمة فى الطب العام على هيئة أسئلة وأجوبة ، .. وله كتب أو رسائل فى غذاء المرضى والناقهين والعلاجات المختلفة والأعراض .. الخ

أما أهم كتبه فهو (كتاب العشر مقالات فى العين) الذى وصفه محققه العلامة ماكس مايرهوف بأنه أقدم كتاب فى طب العيون ألف على الطريقة العلمية ..

والكتاب يتضمن عشر مقالات أولها عن تشريح العين وثانيها عن وصف المخ وثالثها عن العصب الباصر .. ورابعها فى ترتيب أمراضها وأسبابها وعلاماتها .. الخ

وقد حقق الكتاب وترجمه ماكس مايرهوف ، وألحق به ثبتا بمصطلحاته ومعجما للأسماء الطبية ، وقد ورد فيه مايقرب من مائة مصطلح يونانى فى الطب وسبعين فى الأدوية المفردة ... وعلى سبيل المثال . كان حنين يذكر المصطلح اليونانى أولا ثم يقترح له مصطلحا عربيا ، ثم يضع له تعريفا على النحو الآتى :

المصطلح اليونانى	المصطلح العربى	التعريف
قريسطا لويذاس	الرطوبة الجليدية	بيضاء صافية نيرة مستديرة .. الخ وهى (عدسة العين البلورية)
أيا لويذاس	الرطوبة الزجاجية	رطوبة خلف الرطوبة الجليدية وهى شبيهة بالزجاج

والرطوبات فى كلام حنين : أغشية العين وسوائلها

وقد التزم حنين بهذا الأسلوب باطراد ، غير أنه لم يطرد عند حديثه عن أسماء الأمراض فقد كان يكتفى بالاسم اليونانى .. وحين عرض لأدوية العين كان يستعمل الأسماء المعروفة فى عصره عربية أو فارسية أو يونانية ...

وقد وجدت ترجماته للمصطلح اليونانى قبولاً عند خلفه من الأطباء كالرازى وابن سينا ، أما الأسماء اليونانية التى عربها والتى ربما استخدمها مؤقتا ، فقد تبارى خلفه فى ترجمتها ، ولم تترك على حالها طويلا(١٦٨)

الطب ومصطلحه فى دور التأليف

استقرت العلوم والفلسفة فى بغداد ، ونشأ جيل من العرب فهم هذه العلوم فهما حقا ، وعلى رأس هذه الطبقة : سنان بن ثابت وعلى بن ربن الطبرى ، وبهما بدأ عهد التأليف العربى المستقل .. وكانت مؤلفاتهم رسائل صغيرة على غرار المؤلفات اليونانية .

على بن ربن الطبرى

ولد بمدينة مرو من أعمال طبرستان ٧٧٠م وكان كتابيا فأسلم على يد المعتصم وكان مقربا عنده ، وأدخله فى خدمته ، وهو معلم الرازى الطب ، وقد فسر فى أول كتابه (فردوس الحكمة) معنى (ربن) فقال إنها كانت لقبا لأبيه وكان يتعاطى الطب تألها واحتسابا ، وتفسيره : عظيمنا ومعلمنا ، توفى عام ٨٥٠م ، وله مؤلفات عديدة ذكرها النديم وابن أصيبعة ، ومنها : تحفة الملوك ، وكتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير .. الخ (١٦٩) بيد أن أعظم كتبه كان (فردوس الحكمة) .

ويعد كتابه (فردوس الحكمة) أقدم كتاب جامع لفنون الطب والصيدلة وصل إلينا من كتب العلماء العرب ، وهو – كما يقول الدكتور فهيم أبادير : سفر مختصر ، ولكنه على هيئة الموسوعات لما حواه من البحوث فى الفلسفة وعلم النفس والفلك والظواهر الجوية خلاف أبحاثه الطبية ، وهو مقسم إلى سبعة أنواع ، والأنواع تحتوى على ثلاثين مقالة ، والمقالات تحتوى على ثلاثمائه وستين بابا ، فالنوع الأول يحوى مواضيع فلسفية والنوع الثانى يحتوى على مقالات فى الحمل وتكوين الجنين وفى وظائف وتركيب بعض الأعضاء المختلفة ، وكتابات فى علم النفس وعن الحواس والأمزجة وعن بعض العلل العصبية ، والنوع الثالث يختص بالغذاء والتغذية ، والنوع الرابع يختص بأبحاث فى الأمراض العامة

، ومقالات فى الفصد والنبض وفحص البول ، والنوع الخامس فى الطعوم والروائح والنوع السادس فى الصيدلة والسموم والنوع السابع فى الطقس والماء وفصول السنة المختلفة وعلاقتها بالصحة " (١٧٠)

وقد نشر هذا الكتاب النفيس العالم الهندى الدكتور محمد زبير الصديقى سنة ١٩٢٩ .

الطب ومصطلحه فى الدور الذهبى

شهد هذا الدور أعظم أطباء الإسلام فى العلاج والتأليف الطبى على السواء ومن أعلامه فى الطب: أبو بكر الرازى (ت ٣١١ أو ٣٢٠ هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) والزهراوى (ت ٤٠٠هـ) ومن أعلامهم فى الصيدلة ابن البيطار (ت ٦٤٠هـ)

أبو بكر الرازى

فيلسوف طبيعى كما يقول دى بور ، وطبيب المسلمين غير مدافع كما يقول صاعد ، وجالينوس العرب على ما نقله ابن أبى أصيبعة . ومن أهل الرى بها ولد ونشأ . تثقف ثقافة رياضية ثم أقبل على تعلم الطب والفلسفة الطبيعية بشغف عظيم ، أخذ الطب على ابن ربن الطبرى ودرس المنطق ، ولم يوغل فى علم الكلام ، وقد اتهمه القاضى صاعد بالكيد للأديان جميعا وبالطعن فى النبوة .. (١٧١)

تولى إدارة البيمارستان العضدى الشهير ، فتجلت مواهبه أستاذا ومؤلفا وممارسا ، وكان قبل إدارته متوليا لتدبير مارستان الرى زمانا ، ولهذا عده الدكتور محمد كامل حسين أكبر رجال الطبقة الذهبية من الأطباء ، وإليه انتهى الطب الإكلينيكى عند العرب ، ولعله يكون أكبر الأطباء الذين نشأوا على منهج الخبرة المنظمة عقليا ، وهو المنهج الذى بدأه أبقراط ودام عشرين قرنا .

وكان الرازى يحكى تجاربه الطبية فى كتبه يقول ابن أبى أصيبعة : وللرازى أخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر فى صناعة الطب ، وفيما تفرد به من مداواة المرضى ، وفى الاستدلال على أحوالهم من تقدمة المعرفة ، وفيما خبره من الصفات والأدوية التى لم يصل إلى علمها كثير من الأطباء " (١٧٢) وفى بعضها مبالغة .

وله فى الطب مؤلفات كثيرة بعضها كتب موسعة وبعضها رسائل مختصرة ومن أهم كتبه :

(المنصورى فى الطب) ألفه للأمير منصور بن إسحق صاحب خراسان ، وتحرى فيه الاختصار والإيجاز ، مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها وهو عشر مقالات .

(كتاب الحاوى) ويسمى – كما يقول النديم – الجامع الحاصر لصناعة الطب ، وينقسم إلى اثنى عشر قسما ، القسم الأول منه فى علاج المرضى والأمراض والقسم الثانى فى حفظ الصحة .. الخ ويضم قسمًا هاما فيما نحن بصدده فى هذا البحث عن : تسمية الأعضاء والأدواء باليونانية والسريانية والفارسية والهندية والعربية . وسوف نعرض لها بالتفصيل عند الحديث عن مصادر المصطلح الطبى.ومن رسائله المشهورة رسالته فى (محنة الطبيب) وكيف ينبغى أن يكون حاله فى نفسه وبدنه وشربه .

والرازى معلم خبير ، تظهر خبرته العملية فى إدارته للبيمارستان العضدى فكان يوصى بأن تعرض الحالات على الناشئين من الأطباء أولا ، فإن لم يعرفوها عرضت على من هم أكبر منهم ، فإن عجزوا عن تناولها عرضوها عليه ، وكان يبدى فيها رأيه مسببا .

أما التعليم النظرى فقد وضع له منهجا مستقرا يقول : اطلب من كل مرض هذه الرءوس : التعريف، ثم اطلب العلة والسبب ، ثم اطلب هل ينقسم لسببه أو نوعه ، ثم اطلب تفصيل كل قسم من الآخر ، ثم العلاج ثم الاستعداد "

على أن مجد الرازى – كما يقول الدكتور محمد كامل حسين – يقوم فى الواقع على علمه بالطب العملى وخدمته فيه ، وما ابتدعه من تدوين المشاهدات والتعليق عليها ، وهو عمل لم يسبق إليه . جمع ذلك كله فى كتاب (الحاوى) وإذا قدرنا أن الحاوى ليس كتابا بالمعنى المألوف وأنه ليس إلا سجلا لمشاهداته فلن نجد غرابة فى ضخامته ونقص ترتيبه واختلاف أسلوبه ، فقد كان هو وتلاميذه يدونون المشاهدات دون ترتيب خاص " ، ويشير إلى أهم صفاته بهذه الخصوص ، ومن ذلك : استقصاؤه أعراض المريض ، وترتيبه للعلامات على قدر أهميتها .. (١٧٣)

ابـــن سينـــا

أبو على الحسين بن على (ت ٤٢٨هـ) كاتب موسوعى وفيلسوف وطبيب ، بلغ الغاية فى الفلسفة والطب . وله مؤلفات عديدة فى الفلسفة وفى العلوم الطبيعية ، وقد تحدثنا عنها فيما سبق .

وكتاب (القانون فى الطب) أشهر كتبه ، وهو موسوعة علمية ، وخلاصة للعلم اليونانى العربى ، وهو قمة ما وصلت إليه الحضارة العربية فى فنون الطب تجربة ونقلا . وكان يعرف بإنجيل الطب فى العصور الوسطى ، وقد طبع باللاتينية ست عشرة مرة فى السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الخامس عشر ، وأعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر .

ويضم القانون خمسة كتب على النحو الآتى :

الأول : الأمور العامة الكلية في قسمى الطب النظرى والعملى .

الثانى : فى الأدوية المفردة .

الثالث : فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضو عضو .

الرابع : فى الأمراض الجزئية التى لا تختص بعضو محدد ، وفى الزينة .

الخامس : فى تركيب الأدوية وهو الأقرباذين .

وقد اعتمد ابن سينا فى تأليفه على عدد كبير من الأطباء الذين سبقوه مثل حنين وماسرجويه وابن ماسويه والرازى ، كما اعتمد على مشاهداته ودراساته للحالات وتعقبه لآثار الدواء . (١٧٤)

وفى المقابلة بينه وبين حاوى الرازى يقول الدكتور محمد كامل حسين : كان كتاب ابن سينا مقبولا عند المفكرين والدارسين ، على حين أن كتاب الرازى كان أكثر قبولا عند الممارسين خاصة "

وللكتاب مكانة عالمية مثله كمثل فلسفة أرسطو وهندسه إقليدس والماجسطى فى الفلك .. وهذه الكتب تمثل غاية العلم القائم على نوع خاص من التفكير ، فيها حل لكل المشاكل المتعلقة بموضوعها" وهذا النوع من التفكير واضح فى القانون حيث كان هم ابن سينا

الأكبر : تنسيق الحقائق واستقامة المنطق وربط الأسباب بالمسببات وصدق التقسيم والتبويب ، ووضوح ذلك كله . (١٧٥)

ومن أوضح ما يمثل هذا النوع من التأليف ويوضح غرضنا من بيان نشأة المصطلح العلمى وتطوره الكتاب الثانى من القانون الذى يختص بالأدوية المفردة ، فهو ينقسم إلى قسمين الأول منهما فى القوانين الطبيعية التى يجب أن تعرف فى أمر الأدوية المستعملة فى علم الطب والثانى فى معرفة قوى الأدوية الجزئية .

وقد اعتمد ابن سينا فى الحديث عن ماهية المفردة الدوائية على ديسقوريدس صاحب الكتاب المعروف عند العرب بالحشائش فى أغلب المواضع وعلى جالينوس أحيانا . وفيما يتصل بطبيعة المفردة وخواصها العلاجية فقد رجع فيه إلى عدد كبير من الأطباء من أبقراط وجالينوس وحنين .. إلى الرازى .

وقد أحصى فى هذا الكتاب أسماء الأدوية المفردة : نباتية أو حيوانية أو معدنية ووضعها فى ثمانية وعشرين فصلا مرتبة وفق حروف (أبجد هوز ..) جعل فصلا للألف ثم فصلا للباء ثم للجيم .. الخ دون مراعاة الحرف الثانى أو الثالث ، مع اعتبار شكلها المستعمل بافتراض أن كل حروفها أصول . وهكذا صنع ابن سينا معجما للمفردات الدوائية.

وتبلغ مداخل الكتاب أو المعجم ثمانمائة مدخل أو مادة ، وإن كان الكتاب يتضمن عددا آخر من المصطلحات ورد فى أثناء تعريفه للمدخل .

وقد اتبع فى تعريف المدخل طريقة محكمة تعتمد على أسس ثلاثة أولها التعريف اللغوى والثانى الوصف العلمى لتركيب الدواء أو ماهيته ، والثالث الخصائص العلاجية .

ونسبة المداخل المعرَّبة من الفارسية واليونانية والسنسكريتية والآرامية كبيرة جدا تبلغ حوالى ٧٥% من عدد المداخل على حين تبلغ المداخل العربية حوالى ٢٥% وهى فى الغالب من الألفاظ العامة مثل : دم ودهن ودخان .. الخ ولعل مرجع ذلك اعتماده على كتاب ديسقوريدس ، ولم تكن ترجمته المتوفرة آنذاك والتى قام بها أصطفن وراجعها حنين بمرضية ، فلم يوفق المترجم أو المراجع إلا إلى عدد قليل من المداخل العربية لما يراد منها باليونانية ، واكتفيا برسم المصطلح اليونانى بحروف عربية أو باقتراح لفظ فارسى ، راجين أن يأتى بعدهما من يتمكن من إيجاد مقابل عربى له(١٧٦)

وكان لابن سينا ، لأنه فيلسوف ومنطقى ، اهتمام بقضية المصطلح والتعريف وله فى هذا الكتاب ملاحظات متفرقة فيه سنعرض لها فيما بعد .

الزهـــــراوى

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى الأندلسى ، ولد بالزهراء بالقرب من قرطبة حيث عاش وتعلم ومارس الطب وتوفى (٤٠٠هـ)

له فى تاريخ الطب مكانة سامية يقول : لوسيان لوكليرك : يعد أبو القاسم فى تـــاريخ الطب أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب ، وهو أيضا أكثر المراجـــع ذكـــرا عنـــد الجراحين فى العصر الوسيط .. وقد احتل فى معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجـــالينوس فأصبح من أركان هذا الثالوث العلمى "

ومن المرجح أن الزهراوى لم يؤلف من الكتب غير كتابه الشهير (التصريـــف لمـــن عجز عن التأليف) وهو يريد من كتابه أن يكون ميسورا بأيدى الأطباء وافيا بحاجتهم بحيث يغنيهم عن التأليف فى موضوعه.(١٧٧)

قسم الزهراوى كتابه إلى ثلاثين مقالة متفاوتة طولا وقصرا ، أطولها المقالة الأولـــى (فى كليات الطب) يليها فى الطول المقالة الثلاثون (فى العمل باليد) أى الكى والجراحـة . تحدث فى المقالة الأولى عن العناصر والأمزجة والأخـــلاط وعـــن الأعضـــاء الرئيســـة والأعضاء الخادمة والبسيطة والمركبة ، ثم تطرق باختصار الى علم تشـــريح الأعضـــاء ومنافعها ... وتحدث فى المقالة الثانية عن أصناف الأمراض والعلل والآفات التى تعـــرض لبدن الإنسان وعلاماتها وأسبابها وطرق علاجها .

وتتوالى المقالات على النحو الآتى : المقالة الثالثة : فى صفات المعاجن القديمة التـــى تخزن وتدخر ، المقالة الرابعة : فى صناعة الترياق والأدوية المفردة النافعة مـــن جميـــع السموم ... حتى نصل إلى المقالة التاسعة والعشرين : فى تسمية العقاقير باختلاف اللغـــات وذكر بدلها وأعمارها ، مع تفسير الأسماء الواقعة فى كتب الطب وذكر الأكيال والأوزان .

وللمقاله السابقة أهمية كبيرة فيما نحن بصدده من حديث عن المصطلح العلمى فقد اهتم فيها بتفسير العديد من المصطلحات الطبية الشائعة فى عصره ، رتبها على حروف المعجم..

ومما سبق يتضح أن كتاب الزهراوى موسوعة طبية شاملة لجميع فروع الطب فى زمانه إلا أن ما رفع قدره وخلد ذكره هو المقالة الثلاثون من الكتاب التى أفردها للجراحة ، وهى أول ما كتب فى علم الجراحة مقرونا برسوم إيضاحية للأدوات والآلات الجراحية . وتنقسم المقالة إلى ثلاثة أبواب ، الأول يختص بالكى وهو مقسم إلى ٥٦ فصلا ، والثانى يختص بالشق والبط والفصد وسائر العمليات الجراحية ، وبه جزء خاص عن أمراض النساء والولادة والعيون والأنف والحلق وهو مقسم إلى ١٠٠ فصل ، والثالث يختص بالكسور والخلع وهو مقسم إلى ٣٥ فصلا .

وقد قدم مؤلفو (الموجز فى تاريخ الطب عند العربى) موجزا وافيا لما تتضمنه هذه المقالة بمختلف أبوابها من مباحث (١٠٦ – ١٤٧) مع بيان مفصل للأسس التى وضعها الزهراوى للجراحات التى أجراها وللانجازات التى حققها ، والتى سبق إليها معاصريه بل المحدثين مثل : إيقاف النزيف بربط الشرايين ، وربط الأوعية الدموية فى حالات التمدد الوعائى (الأينورزم) ، وخياطة جروح الأمعاء باستخدام خيوط مصنوعة من أمعاء الحيوان ... الخ(١٧٨)

ويعد الزهراوى أول من أجرى جراحة الغدة الدرقية ، وأول من أجرى عملية غسيل للمثانة بوساطة جهاز المحقن الذى اخترعه لها ، كما كان أول من وصف عملية تفتيت الحصاة مستخدما آلة اخترعها هى الكلاب والتى ما زالت تعرف بهذا الاسم Clap . وهو أول من اخترع آله لاستئصال اللوزتين .. الخ(١٧٩)

وقد جمع الدكتور أحمد عيسى فى كتابه جميع الآلات التى وردت فى كتاب التصريف ورتب أسماءها فى معجم هجائى مصور معتمدا على نسخة أكسفورد ، كما أضاف إليها آلات أخرى لم يذكرها الزهراوى ووردت فى مصادر أخرى ، وهذا الكتاب مضمن فى كتاب (فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية) للدكتور عامر النجار (١٦٢ – ١٨٢)

ابن البيطار

أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقى (ت ٦٤٦هـ) شيخ علماء النبات العرب وأعلمهم بها وبأحوالها مع أنه كان يدرسها لغايات طبية .

يقول عنه ابن أبى أصيبعة : سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم ، ولقى جماعة يعانون هذا الفن ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير وعاينه فى مواضعة ، واجتمع أيضا فى المغرب وغيره بكثير من الفضلاء فى علم النبات ، وعاين منابته وتحقق ماهيته " (١٨٠)

وكتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) أشهر كتبه وهو يحتوى على وصف ١٤٠٠ نوع من العقاقير منها ٣٠٠ لم يسبقه إلى وصفها أحد ، وقد ترجم إلى اللاتينية وكان المعول عليه فى عصر النهضة.

والبحث فى الأدوية المفردة – على حد قوله – يتناول : ماهياتها وقواها ومنافعها ومضارها ، وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها أو طبيعتها أو البدل منها عند عدمها "

وعن مصادره يقول : استوعبت فيه جميع مافى الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدس بنصه ، وكذلك فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس فى الست مقالات من مفرداته بنصه ، ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين فى الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيها من ثقات المحدثين وعلماء النبات مالم يصفاه " .

ويقول عن منهجه فى علاج ما ينقله عن غيره : الغرض الثانى : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين .

ولا يكتفى ابن البيطار بصحة النقل بل يجمع إليه المشاهدة والاختبار يقول : فما صح عندى بالمشاهدة والنظر وثبت لدى بالخبرة لا الخبر ادخرته كنزا سريا .. وما كان مخالفا فى القوى والكيفية والمشاهدة الحسية فى المنفعة والماهية للصواب والتحقيق .. نبذته ظهريا" (١٨١)

ومفردات ابن البيطار من أغنى المصادر العربية المعروفة لنا بأسماء الأدوية المفردة من نبات وحيوان ومعدن ، وبأسماء المواطن التى بها تلك الأعيان .

وقد استخدم فى معالجة هذه المادة الغنية ثلاثة مبادئ :

١ – توزيع المادة فى أبواب بحسب ترتيب حروف المعجم ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عناء .

٢ – ذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة السمات من عربية وفارسية وسريانية ولاطينية .

٣ – تقييد ما اجتمع من أسماء الأدوية والأماكن بالضبط والشكل والنقط تقيدا يؤمن معه من التصحيف، ويسلم قارئه من التبديل والتحريف .

وكان ابن البيطار حريصا على ذكر اللغات التى تنتسب إليها أسماء الأدوية وإلى تأويل معناها ، وبيان اشتقاقها ، وعلى ذكر ما يرادفها فى العربية أو فى غيرها من اللغات ، وما ذكره ابن البيطار من معلومات لغوية بالغة الأهمية فى تاريخ اللغات التى اتصلت بالعربية وفى المقارنة بينها ، وله أهمية مماثلة فى تاريخ العربية ولهجاتها فى المواطن المختلفة التى استعملت فيها ، فارس والهند ومصر والمغرب .. الخ

وله أيضا ملاحظات جيدة عن طرق الاصطلاح والتعريب .. وغير ذلك مما سنتناوله فيما بعد (١٨٢)

المصطلح الطبى ومجالاته

لم يستمر اعتماد العرب على السريان طويلا فى ترجمة كتب الطب اليونانى أو فى ممارسته . فسرعان ما أصبح الطب أصيلا فيهم ، عرفوا طب أبقراط وجالينوس ... ونما فيهم نموا ظاهرا ، تناولوه بالشرح والنقد ومارسوه عمليا ، بل نبهوا إلى مافيه من أخطاء . وبهذا أصبح طبا مستقلا له شخصيته ينبئ عن خبرتهم وتجاربهم وآرائهم ، وإن ظل قائما على الكليات التى وضعها الفلاسفة والطبيعيون ، ولم يكن عندهم ما يدعوهم إلى الشك فى صحة هذه الكليات ، ولم يحاولوا التخلص منها أو تعديلها تعديلا ذا شأن لأنها فى نظرهم ثابتة ببراهين خارجة عن العلوم الطبية . (١٨٣)

وقد أشاد المؤرخون بما ألفه الرازى وابن سينا والزهراوى .. وغيرهم لحسن تأليفها ودقة ترتيبها ووضوح قضاياها واستقرار منطقها .. وثمة أمر آخر يذكر لهم هو تفوقهم فى الطب الإكلينيكى ، وإنشاء البيمارستانات التى كان يعالج فيها المرضى ويتدرب فيها الأطباء ، وفضلُ الرازى وابن سينا والزهراوى فى الطب الإكلينيكى واضح مذكور بين مؤرخى الطب قديما وحديثا .

ويوضح الدكتور محمد كامل حسين السمة الجامعة بين الطب العربى واليونانى فيقول: الطب اليونانى والعربى يمثلان عصرا واحدا من التفكير الطبى ، هو عصر الخبرة المنظمة عقليا ، وهو عصر دام عشرين قرنا ، وضع أبقراط كلياته ومنهجه ، ثم فصله وفرع عليه جالينوس ، ومارسه الرازى ونسقه وأوضحه ابن سينا إيضاحا ليس بعده مزيد إلى أن عرف الناس العلم التجريبى وعلم الكيمياء " (١٨٤)

وثمة مشكلة تعوق الدارسين عن استيعاب هذا الطب العربى اليونانى وما فيه من حقائق علمية ومشاهدات قيمة هى : اختلاف مصطلحاته وتصوراته عما عليه الطب الحديث: مما يوجب الحديث الموجز عن المبادئ العامة التى قام عليها حتى تستبين مصطلحاته وتصوراته .

تقوم المبادئ العامة للطب العربى على الطريقة الاستنتاجية ، كان الفلاسفة يضعون الكليات أولا ثم يحاولون تطبيق الواقع عليها ، على حين أن التفكير الحديث يقرر المشاهدات أولا ثم يستخلص منها الكليات ، وينبه الدكتور محمد كامل حسين إلى أن الأطباء القدماء لم يكن عندهم علم بالكيمياء ، ولم يكن عندهم مجهر يبين لهم دقائق الأشياء ، فكان حتما أن يفرقوا بين الأشياء بحسب تركيبها على نسب مختلفة من العناصر الأولى : التراب والماء والهواء والنار ، وكان عليهم أن يميزوا الأشياء بخواصها الظاهرة كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبس .

ويمضى الدكتور محمد كامل حسين فى شرح هذه الكليات قائلا : يكفى لفهم هذه الكليات أن نشرح أمورا ثلاثة : العناصر (ويسمونها الأسطقصات) والسوائل (ويسمونها الأخلاط) ووظيفة الأعضاء (ويسمونها المزاج) .

العناصر : كانوا يعتبرون جميع الأشياء بما فى ذلك جسم الإنسان مكونة من عناصر أولية وثانوية أو بعيدة وقريبة ، العناصر الأولية لاتكون إلا التراب والماء والنار والهواء على نسب مختلفة .

السوائل : (الأخلاط) كان رأيهم أن أكبر عملية تحدث فى الجسم إنما هى تحويل المواد التى فى الغذاء إلى مواد حيوية تصلح لتغذية الأعضاء كل على حسب تركيبه . وتبدأ عمليات تحويل الغذاء بهضمه فى المعدة والأمعاء فتصعد الأبخرة إلى أعلى ويهبط الثقل إلى أسفل ، أما مايصلح للغذاء فيمتص ، وكانوا يسمون الغذاء المهضوم الكيموس ، وينتقل

الغذاء الممتص بواسطة العروق إلى الكبد فتحوله إلى دم وتحول جزءا منه إلى الصفراء ، وينتقل جزء آخر إلى الطحال فتتكون منه السوداء ، أما الذى يذهب إلى المعدة والرئة فيتحول إلى بلغم ، وهذه أى الدم والصفراء والسوداء والبلغم هى السوائل الأربعة التى تعرف بالأخلاط .

هذه هى الأخلاط ويجب لتمام صحة الجسم أن يكون تركيبها مناسبا للأعضاء هذا من حيث التركيب .. وكانوا يظنون أن فساد الأخلاط أى السوائل الكامنة فى الأعضاء والمحيطة بها والخارجة منها هو الذى يحدث المرض على حين نعرف نحن أن الأمراض التى تصيب الأعضاء هى التى تحدث فساد الأخلاط ، ومع ذلك فالأمران متلازمان فى أغلب الأحوال .

وهناك صفة أخرى غير التركيب وهى الكيفية التى تكون عليها الأشياء من حيث الحرارة والبرودة واليبس والرطوبة وسموا ذلك المزاج ، والمزاج أمر يتعلق بالأدوية والأغذية والأعضاء بل بالصفات النفسية للإنسان .

أما الأدوية فتعرف حرارتها باللمس أو بوضعها على الجلد ، فإذا احمر الجلد كان الدواء حارا ، أما الأغذية فتعرف كيفيتها بالذوق فتعرف الأشياء الحريفة والباردة ، وكذلك يعرف مزاجها بما تحدثه فى الجسم من حرارة أو برودة بعد تناولها ، أما الأعضاء فيعرف مزاجها باللمس أو بالحدس وبما هو معروف من خصائصها ، فالكبد مزاجه حار رطب ، والطحال حار يابس ، والعظام باردة يابسة ، والرئة مزاجها بارد رطب ، أما الصفات النفسية للإنسان فقد تصوروا أنها تكون تابعة لغلبة بعض الأخلاط على بعض ، فالذى تغلب عليه الدموية يكون أحمر الوجه ممتلئ العروق ، ويكون ميله إلى إظهار عواطفه شديدا .. الخ (١٨٥) وقد دخلت هذه التعبيرات فى اللغة العادية ، فيوصف الرجل بأنه سوداوى أو صفراوى أو دموى أو بلغمى من حيث أخلاقه وتصرفاته .

واعتدال المزاج نادر جدا .. فإذا لم يتحقق فلابد من وسائل لتحقيقه إما بطريقة الاستفراغ أو الفصد .. ولكن أهم وسائله هو ما تعمله الكلى من تصفية الدم وتنقيته مما يكون فيه من زيادة فى المائية أو الفُضول .. لهذا كانت حالة البول دليلا على مايحدث داخل الجسم من تغيرات فى أخلاطه ومزاجه .

وكان الأطباء يعتمدون فى أكثر علاجاتهم على الأدوية والأغذية وكانوا يعرفون صلاحيتها للعلاج بما يكون فى مزاجها من تناسب مع مزاج الأعضاء المريضة ، وعلى سبيل المثال فهم يرتبون الأدوية والأغذية ترتيبا تنازليا من أشدها حرارة إلى أقلها ، فيذكرون : الحريف فالمالح فالمر فالحلو فالدسم .

والمزاج المعتدل هو الصحة ، وسوء المزاج هو سبب العلة ، ويفسر الدكتور محمد كامل حسين المزاج بأنه قدرة العضو على أداء وظيفته ، وأن فساد الأخلاط هو فساد تركيب السوائل والإفرازات التى تتعلق بهذا العضو .

فالمرض عندهم يكون من فساد فى الأخلاط إما بالنقص أو بالزيادة أو بفساد طبيعتها أو عدم نضجها أو وقوف النضج عند حد لا يعدوه أو زيادته .

هذا فيما يتعلق بالأمراض الباطنة التى تصيب الأعضاء المفردة ، أما الأمراض الباطنة العامة مثل الحميات فقد نسبوا حدوثها إما إلى فساد هواء المنطقة أو مياهها أو إلى عفن يصيب بعض الأخلاط وخاصة الدم .

وقد عرفوا كذلك الأمراض الموضعية مثل الورم الحار (الالتهاب الحاد) والأورام الجاسية (السرطانية وغير السرطانية) وعرفوا ما يصيب مجارى البول من التهابات وتقيح وحصاة ، وما يصيب المقعدة من بواسير ونواصير ، وكان علمهم بهذه الأمراض علما جيدا لوضوح أعراضها وأسبابها ، ولهم فى علاجها آراء جيدة ووسائل ناجحة . (١٨٦)

وثمة ملاحظة أخيرة فى هذا الصدد هى أن علماء العربية كانوا يميزون بين الطبيب الذى يمارس العلاج والصيدلى الذى يختص بتحضير الأدوية . كان يجتمع لبعضهم أن يكون طبيبا وصيدليا ، وقد ينفرد بإحدى الصناعتين ، وكذلك الحال فى التأليف ، ولكن أعلامهم كالطبرى والرازى وابن سينا والزهراوى .. الخ جعلوا فى موسوعاتهم الطبية أبوابا للأدوية المفردة أو العقاقير أى الأعيان : نباتية أو حيوانية أو معدنية ، وللأقرباذين أو الأدوية المركبة أو مايسمى أحيانا (دستور) ولعل هذا هو ما جعلنا نكتفى بعبارة المصطلح الطبى ونحن نعنى بها الطبى والصيدلى .

هوامش المبحث الأول

١ – عبدالرزاق (مصطفى) : ترجمة الإمام الشافعى ، فى مقدمة نشرة كتاب الأم ص ١٨ ، ١٩ .

٢ – خلاف (عبد الوهاب) :الاصطلاحات الفقهية ص ٢٣٥ .

٣ – السابق ص ٢٣٦ .

٤ – ابن خلدون (عبدالرحمن) : المقدمة ص ١٠٤٦ .

٥ – النديم (أبو الفرج) : الفهرست ص ٣٤٣ .

٦ – ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٤٨ .

٧ – المكى (الموفق بن أحمد) : مناقب الإمام الأعظم ج١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

٨ – عبد الرزاق (مصطفى) : ترجمة الإمام الشافعى ص ٢١ ، ٢٣ .

٩ – السابق : ص ٢٣ ، ٢٤ .

١٠– ابن خلدون : ص ١٠٤٩ .

١١– عبدالرزاق (مصطفى) : ترجمة الإمام الشافعى ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ .

١٢– خلاف : ص ٢٣٧ .

١٣– ابن عاشور (محمد الفاضل) المصطلح الفقهى فى المذهب المالكى ، البحوث والمحاضرات ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٣٤ ص ٨١ ، ٨٤ .

١٤– الشيبانى (محمد بن الحسن) : المبسوط ج١ ص ٢٣٧ .

١٥– انظر : عبدالرزاق : ترجمة الإمام الشافعى ص ٢٧ – ٣٠ والأزهرى (أبو منصور) الزاهر ص ٣٠ .

١٦– خلاف : الاصطلاحات الفقهية ص ٢٣٧ .

١٧– ابن عاشور : المصطلح الفقهى ص ٨٦ ، ٨٧ والنديم : الفهرست ص ٣٣٨ – ٣٤١ .

١٨- انظر : النديم ، الفهرست ص ٣٤٢ - ٣٥١ .

١٩- انظر : النديم ، الفهرست ص ٣٥٢ - ٣٦١ وخليفة (حاجى) : كشف الظنون ج٢ ص ١٦٣٥ .

٢٠- انظر : خلاف ، الاصطلاحات الفقهية ص ٢٤٠ وابن عاشور ، المصطلح الفقهى ص ٨٦ - ٩٠ .

٢١- خلاف : الاصطلاحات الفقهية ص ٢٣٩ .

٢٢- ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٤٦ .

٢٣- الرازى (فخر الدين) مناقب الإمام الشافعى ص ١٥٧ .

٢٤- شاكر (أحمد) مقدمة تحقيق الرسالة للشافعى ص ١٣ .

٢٥- بروكلمان (كارل) تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ١٢٨ .

٢٦- مصطفى (إبراهيم) فى أصول النحو ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة مجلد ٨ .

٢٧- ضيف (د. شوقى) المدارس النحوية ص ١٦ .

٢٨- مصطفى (إبراهيم) فى أصول النحو ، مجلة مجمع اللغة بالقاهرة مجدل ٨ .

٢٩- النديم (أبو الفرج) : الفهرست ص ٦٥ .

٣٠- سيبويه : الكتاب ج٣ ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

٣١- النديم : الفهرست ص ٦٥ والأنبارى : نزهة الألباء ص ٣٠ - ٣٥ .

٣٢- سيبويه : الكتاب ٣٩٨/١ .

٣٣- مصطفى (إبراهيم) : أول من وضع النحو مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ١٠ ج٢ وانظر : كتاب سيبويه ج١ ص ٨٥ ، ١٩٩ ، ١٧٣ ، ٣٦٠ .

٣٤- انظر فى حدود هذا الدور : القوزى (د. عوض) المصطلح النحوى ص ٥٨ - ٦٧.

٣٥- السيرافى (أبو سعيد) أخبار النحويين ص ٤٨ .

٣٦- النجدى (على) سيبويه إمام النحاة ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٣٧- النديم : الفهرست ص ٨١ .

٣٨- الخوارزمى (أبو عبدالله) : مفاتيح العلوم ص ٣٤ - ٣٦ .

٣٩- انظر : الخليل بن أحمد : العيـن ج٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ج٣ ص ٣٥٧ ، ج٨ ص ٣٥٢ ، ٤٤١ .

٤٠- السابق : ج٢ ص ٥٢ ، ج٨ ص ٢١٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٣٤ وهى مصطلحـات قيل فيما بعد إنها مصطلحات الكوفيين ، أيكون هو مصدرها ؟ أم تكون مـن اختيـار الليث راوى كتابه ؟

٤١- السابق : ج٨ ص ١٣٩ و ج٥ ص ١٤ وانظر الهامش السابق (٤٠) .

٤٢- السابق : ج٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

٤٣- سيبويه : الكتاب ج١ / ٣٣٤ ، ج٤ ص ٢٤٢ .

٤٤- القوزى (د. عوض) المصطلح النحوى ص ٨٩ - ١٢٢ .

٤٥- سيبويه : الكتاب ج٣ ص ٤٧٥ و ج١ ص ٧٣ .

٤٦- انظر : عبدالعزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوى ص ١١٠ - ١١٢ .

٤٧- انظر فى هذه المواضيع ، الكتاب ج١ / ٢١٦ ، ٣٧٨ ، ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٣٩٥ ، ج٢ ص ٦٣ .

٤٨- البغدادى : خزانة الأدب ج١ ص ١٧٩ .

٤٩- سيبويه : الكتاب ج١ ص ٤٥ .

٥٠- ابن السراج (أبو بكر) : أصول النحو ج١ ص ٨١ .

٥١- ضيف (د. شوقى) : المدارس النحوية ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

٥٢- الفراء (يحيى بن زياد) : معانى القرآن ج١ ص ٥٢ ، ٢٨ ، ٣٢٥ ، ٩ .

٥٣- مقدمة الشيخ عضيمة لتحقيق المقتضب ج ١ ص ٩٣ .

٥٤ – الأنبارى : نزهة الألبا ص ١٨٦ – ١٨٨ .

٥٥ – ابن السراج (أبو بكر) : أصول النحو ج١ ص ٥٦ .

٥٦ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٠٦ .

٥٧ – الفارابى (ابو نصر) : كتاب فى المنطق : العبارة ص ٧ – ٢٤ .

٥٨ – انظر مثلا : الزجاجى : الإيضاح فى علل النحو ، وابن الأنبارى : أسرار العربية والرمانى : شرح كتاب سيبويه ، وما زال بكل أسف مخطوطا .

٥٩ – الشافعى (د. حسن) المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٥١ ، ٥٢ .

٦٠ – السابق : ص ٥٤ .

٦١ – السابق : ص ٧١ .

٦٢ – النديم : الفهرست ص ٢٨٢ – ٢٨٤ و أبو ريان (د. محمد على) : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ١٥٥ ، ١٧٠ .

٦٣ – مدكور (د. إبراهيم) : نشأة المصطلحات الفلسفية فى الإسلام ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٨ ص ٢٦٢ .

٦٤ – السابق : ص ٢٦٣ .

٦٥ – بدوى (د. عبدالرحمن) : مناهج الإسلاميين ج١ ص ١٦ .

٦٦ – السابق : ج١ ص ١٧ – ٢٧ .

٦٧ – الشافعى (د. حسن) المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ١١٦ – ١١٨ .

٦٨ – نيكلسون ، فى التصوف الإسلامى ، ص ٣ .

٦٩ – ماسينيون ، مادة (تصوف) فى دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ٩ / ٣٢٨ ، وصاعد الأندلس ، طبقات الأمم ص ١٥٢ .

٧٠ – ماسينيون ، مادة (تصوف) فى دائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٣٢٨ .

٧١– ماسينيون ، السابق ، ٩ / ٣٢٨ ، الطوسى ، اللمع ص ٤٢ . والقشيرى ، الرسالة ص ٣٧٨ .

٧٢– الطوسى ، اللمع ص ٤٢ .

٧٣– التفتازانى (د. أبو الوفا) : مدخل إلى التصوف الإسلامى ، ص ٧ – ١٠ .

٧٤– السابق ص ٢١ وابن خلدون : المقدمة ٢ / ١٠٩٧ .

٧٥– نيكلسون : فى التصوف الإسلامى ، ص ٣ ، ٤ .

٧٦– ماسينيون : مادة (تصوف) فى دائرة المعارف الإسلامية ، ٩ / ٣٣٠ و نيكلسون : فى التصوف الإسلامى ص ١٩ ، ٢٠ .

٧٧– ابن خلدون ، المقدمة ٢ / ١١٠٠ .

٧٨– نيكلسون : فى التصوف الإسلامى ص ٢١ .

٧٩– السابق من ص ٢٢ – ٢٥ .

٨٠– التفتازانى : مدخل إلى التصوف ص ٢١ .

٨١– ابن خلدون : المقدمة ص ١١١٠ .

٨٢– التفتازانى : مدخل إلى التصوف ص ٢٢ ، ٢٣ .

٨٣– السابق : ص ٢٣ .

٨٤– ماسينيون : مادة (تصوف) دائرة المعارف الإسلامية ج٩ ص ٣٣٤ .

٨٥– انظر فى ترجمته : الشعرانى : الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨٨ ودائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ج١ ص ٣٤٣ – ٣٤٩ .

٨٦– أمين (د. عثمان) مقدمة النشرة المحققة للفتوحات المكية ص ٢٧ .

٨٧– السابق : ص ٣٠ .

٨٨– عفيفى (د. أبو العلا) مقدمة النشرة المحققة لفصوص الحكم ص ٧ .

٨٩– السابق : ص ١٢ ، ١٣ .

٩٠– السابق : ص ٢٤ ، ٢٥ .

٩١– السابق : ص ١٨ – ١٩ بتصرف .

٩٢– ماسينيون : مادة (تصوف) دائره المعارف الإسلامية ج٩ / ٣٣٦ .

٩٣– انظر : التفتازانى : مدخل إلى التصوف ص ٤٠ .

٩٤– ابن خلدون : المقدمة ص ١١٠٣ – ١١٠٨ .

٩٥– نيكلسون : فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٢١ والتفتازانى : مدخل .. ص ٤٣ .

٩٦– ماسينيون : مادة (تصوف) دائرة المعارف الإسلامية ج٩ ص ٣٣١ ، ٣٣٣ .

٩٧– ابن خلدون : المقدمة ص ١١٠٩ .

٩٨– التفتازانى : مدخل إلى التصوف ص ٧ – ٩ .

٩٩– عبدالرزاق (مصطفى) التعليق على مادة (تصوف) دائرة المعارف الإسلامية ج٩ / ٣٦٠ ، ٣٦١ وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا من (إحياء علوم الدين) للغزالى والرسالة للقشيرى ص ٩٦ ، ١٣٩ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ٣٢٨ .

١٠٠ – نيكلسون : فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ .

١٠١ – انظر : السهروردى : عوارف المعارف ص ٢٢٥ والتفتازانى : مدخل الى التصوف ص ٤٦ وعبدالرزاق : دائرة المعارف الإسلامية ج٩ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

١٠٢ – بدوى (د. عبدالرحمن) منطق أرسطو ج١ ص ١١ .

١٠٣ – مدكور (د. إبراهيم) منطق أرسطو والنحو العربى ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٨ ص ٣٣٩ .

١٠٤ – صاعد (أبو القاسم) طبقات الأمم ص ١٣٠ .

١٠٥ – النديم : الفهرست ص ٤٠٥ .

١٠٦ – بدوى (د. عبدالرحمن) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص ١٠٦ ، ١١٨ .

١٠٧ – الخوارزمى (أبو عبدالله) : مفاتيح العلوم ص ١٤٣ .

١٠٨ – ابن المقفع : منطق ابن المقفع ص ٩ ، ١٠ وماسينيون : محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ص ١٧ ، ١٨ .

١٠٩ – الفارابى (أبو نصر) كتاب فى المنطق (العبارة) ص ٢٦ .

١١٠ – مدكور (د. إبراهيم) : منطق أرسطو والنحو العربى ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

١١١ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣١ .

١١٢ – حسين (د. محمدكامل) الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عن العرب ص ٢٨٣ .

١١٣ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٣ – ٥٥ .

١١٤ – النديم : الفهرست ص ٤٥٦ .

١١٥ – النديم : الفهرست ص ٤٥٧ .

١١٦ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ١٤٦ .

١١٧ – السابق : ص ٢٧٢ .

١١٨ – السابق : ص ٥٨ ، ٥٩ .

١١٩ – انظر : النديم : الفهرست : المقالة السابعة ٣٩٧ – ٤٧٤ ودى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٣٨ ، فخرى (د. ماجد) : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٠٧ ، ١٦ .

١٢٠ – عبدالرزاق (مصطفى) : فيلسوف العرب ص ٥٢ .

١٢١ – النديم : الفهرست ص ١١٤ – ٤٢١ .

١٢٢ – انظر : فخرى (د. ماجد) تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٠٨ – ١١٠ ودى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٨٠ ، ١٨١ وأبو ريان (د. محمد على) تاريخ الفكر الفلسفى ص ٢٢٢ .

١٢٣ – أبو ريدة (د. محمد عبدالهادى) : رسائل الكندى الفلسفية ج١ ص ٢٦ ، ٣٢ .

١٢٤ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٨٢ .

١٢٥ – أبو ريان (د. محمد على) تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ٢٢٤ ٢٣٢ .

١٢٦ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٨٨ .

١٢٧ – فخرى (د. ماجد) : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ .

١٢٨ – فخرى (د. ماجد) : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٢٩ ، ١٣٠ وانظر أبو ريدة : رسائل الكندى الفلسفية ج١ ص ٤٦ ، ٥٣ ، ١٠٦ .

١٢٩ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

١٣٠ – صاعد (أبو القاسم) : طبقات الأمم ص ١٣٨ وابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٠٥ .

١٣١ – صاعد : طبقات الأمم ص ١٣٨ .

١٣٢ – فخرى (د. ماجد) : ص ١٦٠ .

١٣٣ – السابق : ص ١٦٠ ، ١٦١ .

١٣٤ – انظر : صاعد : طبقات الأمم ص ١٣٨ وفخرى : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٦١ ، ١٦٢ .

١٣٥ – أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ٢٣٨ وفخرى : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

١٣٦ – أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام ص ٢٦٠ – ٢٧٢ .

١٣٧ – السابق : ص ٢٧٠ .

١٣٨ – البيهقى (ظهير الدين) : تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٥ ، ٣٦ .

١٣٩ – إخوان الصفاء : ج٤ ص ٤١ ، ٤٢ .

١٤٠ – السابق : ج ٤ ص ٥٣ .

١٤١ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٥٩ .

١٤٢ – فخرى (د. ماجد) : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٢٩ .

١٤٣ – دى بور : تاريخ الفلسفة ص ١٦٣ .

١٤٤ – ماسينيون : محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ص ٦ .

١٤٥ – الفارابى (أبو نصر) الحروف ص ٢٧ .

١٤٦ – الفارابى : الألفاظ المستعملة فى المنطق ص ٤٣ .

١٤٧ – انظر : ترجمة ابن سينا فى : ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٤٣٧ – ٤٥٩ وفخرى : تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٧٩ .

١٤٨ – فخرى (د. ماجد) تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٧٢ ، وأبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ص ٢٧٣ – ٢٧٩ .

١٤٩ – ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٦٥ .

١٥٠ – دى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، تعليق الدكتور أبو ريدة ص ٣١٦ .

١٥١ – السابق : ص ٣٢١ .

١٥٢ – السابق : ص ٣١٧ .

١٥٣ – أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ص ٣٤٧ ، ٣٤٩ والغزالى (أبو حامد) المنقذ من الضلال ص ٣٤ – ٣٦ .

١٥٤ – دى بور : تاريخ الفلسفة ص ٣١٩ .

١٥٥ – الغزالى (أبو حامد) المنقذ من الضلال ص ٥ .

١٥٦ – أبو ريان : ص ٣٤٣ .

١٥٧ – الغزالى : المنقذ من الضلال ص ٤١ – ٧٦ ، ٤٧ ، ٥١ .

١٥٨ – الأعسم (د. عبدالأمير) : المصطلح الفلسفى عند العرب ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ .

١٥٩ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ١٦١ – ١٨١ .

١٦٠ – السابق : ص ٢٦٠ .

١٦١ – السابق : ص ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ .

١٦٢ – حسين (د. محمد كامل) : الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العـــرب ص ٢٢ ، ٢٣ ، وابن أصيبعة : عيون الأنباء ص ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ .

١٦٣ – النديم : الفهرست ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، وابن أصيبعة : عيون الأنباء ص ٢٥٧ – ٢٧٤ .

١٦٤ – مايرهوف (ماكس) مقدمة كتاب العشر مقالات فى العين ص ٢٨ .

١٦٥ – السابق : ص ٢٩ .

١٦٦ – العاملى : الكشكول ج١ ص ٣٨٨ .

١٦٧ – مايرهوف : العشر مقالات ص ٣٠ .

١٦٨ – عبدالعزيز (د. محمد حسن) التعريب بين القديم والحديث ص ١٠٠ – ١٠٤ .

١٦٩ – النديم : الفهرست ص ٤٦٦ ، وابن أصيبعة : عيون الأنباء ص ٤١٤ .

١٧٠ – حسين (د. محمد كامل) : الموجز فـــى تـــاريخ الطـــب ص ٣٩٢ – ٣٩٤ ، وأبادير (د. فهم) : فى تاريخ الطب عند العرب ص ٣٤ ، ٣٥ .

١٧١ – النديم : الفهرست ص ٤٦٩ – ٤٧٣ وصاعد : طبقات الأمم ص ١٣٧ ودى بور : تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١٤٨ – ١٥٤ .

١٧٢ – ابن أصيبعة : عيون الأنباء ص ٤١٦ ، ٤١٩ .

١٧٣ – انظر : حسين (د. محمد كامل) الموجز فى تاريخ الطب ص ٢٦ ، ٢٧ .

١٧٤ – انظر : عبدالعزيز (د. محمد حسن) التعريب بين القديم والحديـث ص ١١٤ – ١٢٧ .

١٧٥ – حسين (د. محمد كامل) الموجز فى تاريخ الطب ص ٢٩ .

١٧٦ – انظر : عبدالعزيز (د. محمد حسن) : التعريب بين القديم والحديث ص ١١٦ – ١٢٥ .

١٧٧ – انظر : ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٠١ وحسين : الموجز فى تاريخ الطب ص ٢٦٢،الخطابى (محمد العربى) الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ص ١١٣ – ١٢٨ .

١٧٨ – حسين (د. محمد كامل) الموجز فى تاريخ الطب ص ١٠٦ – ١٤٧ .

١٧٩ – انظر : منصور (د. أحمد مختار) التصريف لمن عجز عن التأليف (دراسة وتعليق) مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٢٦ ج ٢ ص ٤٧٥ – ٥٣٧ .

١٨٠ – ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٦٠١ ، ٦٠٢ .

١٨١ – ابن البيطار (أبو محمد) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ص ٢ ، ٣ .

١٨٢ – عبدالعزيز (د. محمد حسن) التعريب بين القديم والحديث ص ١٢٩ – ١٤٧ .

١٨٣ – حسين (د. محمد كامل) : الموجز فى تاريخ الطب ص ١٣ .

١٨٤ – السابق : ص ١٨ .

١٨٥ – السابق : ص ٣٨ – ٤٠ .

١٨٦ – السابق : ص ٤٣ .

المبحث الثانى

مصادر المصطلح

نعنى بالمصادر هنا المصنفات الموضوعه لدراسة أحد جانبى المصطلح : الجانب الشكلى أو اللغوى والجانب المعرفى أو التصورى . أما المصنفات العلمية ذاتها والتى استنبطت منها بداية هذه المصطلحات أو بعضها فقد سبق الحديث عن أمهاتها فى المبحث السابق .

لقد كان صناع المصطلحات أو طلابها قديما يرجعون إلى هذه المصادر ، ونحن أيضا نرجع إليها إذا ما طلبنا المصطلح أو مفهومه .

وهذه المصادر نوعان :

- **مصادر لغوية** تهتم أساسا بالجانب الشكلى للمصطلح (من حيث نوعه اسما أو فعلا أو وصفا ، ومن حيث صيغته أو بنيته ، ومن حيث اشتقاقه وتصريفه وبوجوه استعماله) وبمضمونه فى اللغة العامة ، وقد تهتم أحيانا بمفهومه الخاص عند أهل صناعة بعينها .
- **ومصادر معرفية** تهتم أساسا بالمفاهيم أو التصورات المتداولة بين أهل العلوم والفنون والصناعات ، وبالمجال الذى ينتمى إليه المصطلح . وقد تهتم أحيانا بالجانب الشكلى للمصطلح .

والمصادر اللغوية نوعان : مصادر لغوية عامة كالمعاجم اللغوية التى تتناول عامة مفردات اللغة ، ومصادر لغوية خاصة تتناول جزءا من مفردات اللغة خاصا بنص بعينه أو بعلم بعينه ، كالمصادر التى سوف ندرسها تحت عنوان (غريب القرآن ، وغريب الحديث وغريب اللغة) : وإن كان بعضها يضعه المؤرخون بين المعاجم اللغوية العامة .

والمصادر المعرفية نوعان أيضا : مصادر عامة تتناول المفاهيم أو التصورات المتداولة فى أكثر من علم أو مجال معرفى ، ومصادر خاصة تتناول المفاهيم أو التصورات المتداولة فى علم بعينه أو فى مجال معرفى محدد . وقد توضع بعض هذه المصادر بين المعاجم اللغوية .

هذا والذى يحكم تصنيفنا هنا – مع انضباطه إلى حد ما – هو ما يلقيه من ضوء أقوى على المصطلح العلمى بخاصة ، وما يحققه من تيسير لطالب المصطلح .

أولا : المصادر اللغوية

المصادر اللغوية العامة (المعاجم)

المعجم – كما فى المعجم الوسيط – : ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم، وحروف المعجم هى حروف الهجاء .

والمعاجم القديمة والحديثة أيضا تضم – بالإضافة إلى مفردات اللغة المتداولة فى الحياة العامة – بعض المفردات الخاصة التى تتصل بالعلوم والفنون والصناعات وغيرها ، وتتفاوت فى ذلك تفاوتا واضحا ، ومن ثم فقد يرجع إليها المختصون كما يرجع إليها عامة الناس من غير أهل الاختصاص .

وقد تنوعت المعاجم العربية ، وتعددت مدارسها واختلفت مناهجها على نحو واسع وسوف نكتفى هنا بالإشارة إلى أهمها :

المعاجم العربية نوعان رئيسيان هما :

١ – معاجم الألفاظ ٢ – معاجم المعانى

فالنوع الأول : يقوم ترتيب مادته على أساس الشكل أو اللفظ ، والنوع الثانى يقوم ترتيب مادته على أساس المعنى ، بحيث تجتمع ألفاظ موضوع معين فى باب بذاته .

١ـ معاجم الألفاظ

اتخذت معاجم الألفاظ مناهج مختلفة فى ترتيب مادتها ، وقد صنفها المؤرخون إلى مدارس على النحو الآتى ، مع ملاحظة أنها جميعا ترتب الجذور لا الكلمات ، ومن ثم فلابد من تجريد الكلمة من زوائدها ، والعودة بأصولها إلى الشكل المجرد ثلاثيا أو رباعيا .

١ - مدرسة الترتيب المخرجى

الذى ترتب فيه الجذور تحت أسبق حروفها مخرجا . وحروف المعجم وفقا للمخارج هى : ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ى .

وقد كان معجم العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) هو أول معجم عربى يضم بين دفتية ألفاظ العربية ، وقد ابتدع عبقرى العربية وخليلها هذا الترتيب الطريف .

وقد كان هذا المعجم مرجع اللغويين والفلاسفة والأطباء وغيرهم بداية من القرن الثالث ، بل كان المرجع الوحيد فى هذا القرن .

وقد جرى على منهجه جماعة من صناع المعاجم لعل أهمهم : أبو منصور الأزهرى (ت ٣١١هـ) صاحب (تهذيب اللغة) وهو من أوثق المعاجم القديمة وأوفاها مادة وأحفلها بالشواهد الفصيحة من كلام العرب ، وكان حجة أهل اللغة والعلوم المختلفة التى يعتمدون عليها ، وأبو على القالى (ت ٣٥٦هـ) صاحب (البارع) والصاحب بن عباد مؤلف (المحيط فى اللغة) وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) صاحب (المحكم والمحيط الأعظم) .

٢ - مدرسة الترتيب الهجائى العادى

وهو الترتيب المنسوب إلى نصر بن عاصم الليثى (ت ٨٩هـ) وهو : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى

ومن الواضح أنه جمع فيه الحروف المتشابهة فى الرسم بوضعها إلى بعض ، لأن الترتيب الأقدم لحروف العربية المقتبس من الأبجدية الفينيقية قد باعد بينها ، وهو الترتيب الذى تمثله الكلمات الآتية: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ .

ولهذه المدرسة اتجاهان :

الأول : يرتب الجذور وفقا للحرف الأول من الجذر ثم الثانى فالثالث ومن أقدم من استخدم هذا النظام: أبو عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) صاحب معجم (الجيم) ولكنه مضطرب التصنيف، وابن دريد (ت ٣٢١هـ) صاحب (الجمهرة) ولكنه معقد التصنيف وابن فارس (ت ٣٩٥هـ) صاحب معجمين على هذا النظام من الترتيب هما (المقاييس) و(المجمل)، ولكن أيسر

معاجم هذا الترتيب نظاما كان معجم (أساس البلاغة) للزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) وإن كان أقلها مادة ، وقد نهجت نهجه فى الترتيب أغلب المعاجم الحديثة .

والثانى : يرتب الجذور وفقا للحرف الأخير من الجذر ثم الأول فالثانى .

ومن أهم معاجم هذا النظام : معجم (تاج اللغة وصحاح العربية) الذى ألفه اسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ٢٩٣هـ) وهو أقدمها ، و (لسان العرب) لابن منظور المصرى (ت ٧٧١هـ) وهو أوسعها مادة وشرحا ، و (القاموس المحيط) لمجد الدين الفيروزابادى (ت ٨٢٦هـ) وهو أكثرها تداولا وأخصرها شرحا ، و (تاج العروس) للسيد محمد مرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ) .

٣ ـ مدرسة الترتيب بحسب الأبنية

وترتب فيها الجذور وفقا لصيغة الكلمة من الثلاثى أو الرباعى أو الخماسى .

وهى تضم ثلاث مجموعات الأولى : تضم صيغ الأسماء والأفعال ومنها : (ديوان الأدب) لأبى إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابى (ت ٣٥٠هـ) وهو أول معجم شامل فى العربية يتبع نظام الأبنية ويجمع الأسماء والأفعال معا ، والثانية : تضم صيغ الأفعال فحسب ومن أهمها : (الأفعال) لابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) و (الأفعال) لابن القطاع (ت ٥١٥هـ) و (الأفعال) للسرقسطى (ت ٤٠٠هـ) والثالثة : تضم صيغ الأسماء أو المصادر وحدها ، ومن أهمها : (تاج المصادر) لأبى جعفر أحمد بن على البيهقى (ت ٥٤٤هـ) . (١)

٢ – معاجم المعانى

وهى مصنفات لغوية ترتب مادتها وفقا لمعانى الألفاظ أو موضوعاتها ، بحيث تجتمع الألفاظ المتقاربة المعنى أو المتعالقة فى حقل دلالى واحد تحت عنوان واحد .

وقد سلك اللغويون الذين جمعوا اللغة هذا المنهج أولا ، فوضعوا رسائل فى موضوعات محددة ، ومن أوائل من ألف هذه الرسائل أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابى ، وهو أحد الذين أخذ عنهم الخليل بن أحمد ، فقد وضع رسالة فى (خلق الإنسان) وأبو خيرة الأعرابى فقد وضع رسالة فى (الحشرات) وهما من علماء القرن الثانى الهجرى .

وتوالت أعمال اللغويين فى وضع الرسائل ذات الموضوعات ، ومنها : كتاب (الصفات) و (السلاح) للنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وكتاب (النخلة) و (الإبل) و (الخيل) و (خلق الإنسان) لأبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) و (الزرع) و(الإنسان) لأبى عبيدة (ت ٢١٠هـ) و (المطر) و (المياه) و (خلق الإنسان) و (الشجر) لأبى زيد بن ثابت الأنصارى (ت ٢١٥هـ) و (الخيل) و (النبات) و(الإبل) للأصمعى (ت ٢١٦هـ) و (أسماء الخيل) و (البئر) و (الدرع) لابن الأعرابى (ت ٢٣١هـ) .. الخ (٢)

وإلى جانب هذه الرسائل المفردة لموضوع بعينه ظهرت كتب تجمع أكثر من موضوع وعلى رأس هذه الكتب ما يعرف بكتب (الصفات) وممن ألف فيها النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وقطرب (ت ٢٠٦هـ) والأصمعى (ت ٢١٦هـ) .. وغيرهم .

وثمة مصنفات أخرى كادت تختص بالمعانى مثل كتاب (الغريب المصنف) لابن سلام و (الألفاظ) لابن السكيت وسوف نتحدث عنهما فيما بعد ، و (الألفاظ الكتابية) للهمذانى (ت ٣٢٠هـ) و (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) و (مبادئ اللغة) للإسكافى (ت ٤٢٠هـ) والجزء الأول من (فقه اللغة) للثعالبى (ت ٤٢٩هـ) و (متخير الألفاظ) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) و (كفاية المتحفظ) للأجدابى، وهو من علماء القرن السادس .. وغيرهم.

بيد أن أهم معاجم المعانى وأوسعها هو (المخصص) لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ينقسم هذا المعجم الفريد إلى أبواب رئيسية بحسب الموضوعات ، وتحت كل باب مجموعة من التقسيمات الفرعية ، فقد بدأ بكتاب (خلق الإنسان) ثم قسم هذا الكتاب إلى أبواب منها على سبيل المثال : باب الحمل والولادة ، أسماء ما يخرج من الولد ، الرضاع والفطام والغذاء وسائر ضروب التغذية .. الخ

وقد راعى ابن سيده فى تقسيم الكتب والأبواب بعض العلاقات المنطقية ، وفى ذلك يقول : فأما فضائل هذا الكتاب من قِبَل وضعه فمنها تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص والإتيان بالكليات قبل الجزئيات ، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على مايستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمنا كم على كيف وشدة المحافظة على التقييد والتحليل " (٣)

والحق أن ابن سيده قد راعى هذه المنهجية أحيانا ، كما فى كتاب (خلـــق الإنســـان) بأبوابه المتعددة ، ولكنه لم يراعها – بكل أسف – فى مواضع أخرى .

المصادر اللغوية الخاصة (الغريب)

غريـــب القـــرآن

لم يكن العرب حتى الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم سواءً فى فهمه ، فقد كـــان يُشـــكل على بعضهم فهم ألفاظ منه ، بل قيل إن بعض الصحابة سئل فى ألفاظ من كتاب الله فســـكت عن الجواب ، والمراد بغريب القرآن تلك الألفاظ التى أشكل على العرب والقراء والفقـــهاء معناها قبل تأليف العلماء فى تفسيرها ، ولما انتشر الإسلام بين شعوب مختلفة وكثر التـــأليف فى علوم الشريعة وتنوع أصبح للغريب معنى آخر هو مايختص بمعرفته مـــن لـــه اطـــلاع وتبحر فى اللغة ، وهو الذى صنف فيه أكثر الناس .

وأقدم ما نعرفه منه ما نسبه المؤرخون إلى عبد الله بن عباس الملقب بترجمان القـــرآن (ت ٦٨هـــ) فقد أثر عنه شرح لغريب القرآن على ترتيب سوره ، وقد أورده الســـيوطى كاملا فى (الإتقان) .. كان يشرح الكلمات الغريبة فى كل سورة لفظا لفظا (٤)

والمتفق عليه بين المؤرخين أن أول من صنَّف كتابا فى غريب القرآن هو أبـــو ســـعيد أبان بن تغلب بن رباح (ت ١٤١هـــ) وصنف فيه أيضا مالك بن أنس (١٧٩هـــ) وأبـــو فيد مؤرج السدوسى (ت ١٩٥هـــ) ويحيى بن المبارك اليزيدى (ت ٢٠٢هـــ) والنضـــر بن شميل (ت ٢٠٤هـــ) بيد أننا لا نعرف منها غير أسمائها .

ومن الغريب أيضا ما صنفه العلماء بعنوان (مجاز القرآن) أو (معانى القرآن) فـهذه المصنفات تُعنى أيضا بشرح اللفظ القرآنى والاستدلال له من كلام العرب وأشعارهم ، وليس المجاز فى هذه المصنفات هو المجاز المعروف عند علماء البلاغـــة بـــل المـــراد الشـــرح والتفسير . (٥)

وتتوالى المصنفات فى الغريب فى القرن الثالث : ومنها : مجاز القرآن لأبـــى عبيـــدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـــ) ويعرف أحيانا بغريب القـــرآن ، ومعـــانى القـــرآن للفـــراء (ت ٢٠٧هـــ) ومعانى القرآن للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـــ) وغريـــب القرآن للأصمعى سعيد بن عبد الملك (ت ٢١٦هـــ) وغريب القرآن لأبى عبيد القاسم بـــن

سلام (ت ٢٢٤هـ) ومن أشهر هذه المصنفات غريب القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وهو منشور محقق ، وقد فسر ألفاظ القرآن على ترتيب سور المصحف ، على ماهو مألوف فى مصنفات الغريب ، لكنه اهتم ببيان اشتقاق كثير من ألفاظه مثل : ألفاظ الله الحسنى والألفاظ التى يكثر ترددها فى القرآن مثل : الكفر والظلم والفسق .. الخ وكيف انتقل معناها من المجال اللغوى العام إلى المجال الشرعى أو الاصطلاحى الخاص .

ومن أشهر مصنفى الغريب فى القرن الرابع والخامس : أبو بكر محمد بن عزيز بن أحمد السجستانى (ت ٣٣٠هـ) فقد وضع فيه كتابه (نزهة القلوب) .. وهو منشور ، وقد نال هذا الكتاب – على وجازته – شهرة فائقة ، فقد أقامه – على خلاف ما سبقه من مصنفات الغريب – على حروف المعجم دون تجريد الكلمة من الزوائد ، فتذكر الكلمة بحسب حرفها الأول فحسب .

ومنهم : أبو عبد الله أحمد بن محمد الهروى (ت ٤٠١هـ) الذى جمع غريب القرآن والحديث فى كتابه المعروف بالغريبين ، وعنه يقول ابن الأثير : صنف كتابه المشهور السائر فى الجمع بين غريب القرآن العزيز والحديث ، ورتبه مقفى على حروف المعجم على وضع لم يسبق إليه .. فاستخرج الكلمات اللغوية من أماكنها وأثبتها فى حروفها وذكر معانيها .. إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة معنى الكلمة القرآنية لغة وإعرابا ومعنى " (٦) وكان – رحمه الله – يبدأ بتفسير غريب القرآن ثم يثنى بغريب الحديث وآثار الصحابة مستشهدا بالشعر فى غير تكثر ، ناقلا عن أئمة التفسير واللغة ، وقد رزق الكتاب قبولا وذيوعا عند الناس ، وشغل به العلماء نقدا واختصارا وزيادة وتذييلا ، ونقل عنه أئمة اللغة والأدب كالحريرى وابن أبى الحديد .. وأئمة التفسير كالطبرى .. وأفاد منه صناع المعجمات كابن برى وابن سيده .

ومنهم أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) وهو معجم واف مشهور ، يفسر مفردات القرآن على حروف المعجم – معتبرا فيه – كما يقول – الإشارة إلى المناسبات التى بين الألفاظ المستعارات والمشتقات حسبما يحتمل الحال .

ويضيق المقام عن ذكر ما صنف فى هذا الفن فى القرون التالية ما جاء منها على ترتيب السور أو على حروف المعجم ، وأكثرها لم يضف شيئا ذا بال إلى سبقه ، ومن

طريفها تلك الألفية التى وضعها عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقى المتوفى سنة ٨٠٦هـ وهى مطبوعة على هامش تفسير الجلالين فى نشرة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٤٢هـ . (٧)

غريب الحديث

تأخر التأليف فى (غريب الحديث) وقتا ما عن نظيره (غريب القرآن) ، وقد عزا المؤرخون إلى أبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) أول كتاب فى غريب الحديث ، قال عنه ابن الأثير : إن أول من جمع من هذا الفن شيئا وألف : أبو عبيدة بن معمر المثنى ، فجمع من ألفاظ غريب الحديث كتابا صغيرا .

وتلاه فى ذلك النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) يقول ابن الأثير : ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازنى بعده كتابا فى غريب الحديث أكبر من كتاب أبى عبيدة ، وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه . (٨)

ثم توالى المصنفون بعد ذلك : ومن هؤلاء : قطرب (ت ٢٠٦هـ) والأصمعى (ت ٢١٣هـ) وأبو زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ) وغيرهم . ويقول الدكتور حسين نصار عن هذه الكتب : وكانت هذه الكتب صغيرة لا تعرف الترتيب " (٩)

بيد أن كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) قد فاقها فى حجمه وتنظيمه ، وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو من أصول هذا الفن ، قال عنه ابن درستويه : رغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة لاجتماع ما يحتاجون إليه فيه "

ثم صنف ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) كتابه (غريب الحديث والآثار) وهو منشور محقق ، وهو أكبر من كتاب أبى عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعه فى كتاب أبى عبيد إلا ما دعت إليه ضرورة ، ابتدأه بعد المقدمة بتفسير ألفاظ فقهية مما يتعلق بالطهارة والأذان والصلاة والصيام والزكاة .. إلى ألفاظ أخرى نحليه ومذهبية ، فأقوال الصحابة ، فأقوال التابعين وتابعيهم فأقوال البليغات من النساء، ثم أنهى الكتاب بشرح الأحاديث غير المنسوبة التى استشهد بها اللغويون فى تآليفهم .

ولأبى إسحق إبراهيم بن إسحق الحربى (ت ٢٨٥هـ) كتاب فى غريب الحديث ذو مجلدات عدة جمع فيه – كما يقول ابن الأثير – وبسط القول وشرح واستقصى .. وبسبب طوله ترك وهجر وإن كان كثير الفوائد جم المنافع .. " وهو منشور محقق .

ولحمد بن محمد الخطابى البستى (ت ٣٨٨هـ) كتاب فى غريب الحديث شهير وهو محقق نشرته جامعة أم القرى .

وفى كتاب الخطابى وأبى عبيد وأبى عبيدة يقول ابن الأثير : فكانت هذه الكتب الثلاثة فى غريب الحديث والأثر أمهات الكتب ، وهى الدائرة فى أيدى الناس ، والتى يعول عليها علماء الأمصار " (١٠)

ولابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ) كتاب فى غريب الحديث نهج فيه طريق الهروى فى كتابه .

ومن أهم ما صنف فى القرن السادس وأوائل السابع كتابان شهيران

أولهما : الفائق فى غريب الحديث لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) .

وقد قسم الزمخشرى مصنفه هذا إلى كتب على حروف المعجم ، يضع فى كل حرف الألفاظ التى أولها ذلك الحرف ، ثم رتب هذه الألفاظ فى فصول وفقا للحرف الثانى ولكنه أهمل الحرف الثالث ، فلم يعتدَّ به فى الترتيب . ونهج على أن يذكر فى المادة الحديث الذى يحتوى عليها ، ثم يشرح المادة ، ويستشهد عليها بأحاديث أخرى وبالقرآن والشعر فى بعض الأحيان ، ثم يشرح ما فى الحديث من غريب .

والفائق من أغزر كتب الغريب مادة حتى عصره ، قال عنه ابن الأثير : وسماه الفائق ، ولقد صادف هذا الاسم مسماه .. وكشف من غريب الحديث كل مُعَمًّى " (١١)

والثانى هو : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المجد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) وهو حقا النهاية التى وصل إليها هذا الفن من الغريب مادة وترتيبا ، ويكفى الإشارة هنا إلى أن ابن منظور قد أفرغ مادته فى (لسان العرب) وكذلك فعل الزبيدى فى (تاج العروس) .

غريـــب اللغـــة

كتب فى غريب اللغة أو ما عرف بالغريب المصنف جماعة ، فقد نسب إلى أبى عمـرو الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) وإلى قطرب (ت ٢٠٦هـ) وإلى أبى عبيدة (ت ٢١٠هـ) كتب فى الغريب المصنف ، بيد أننا لا نعرف عنها إلا أسماءها .

أما الغريب المصنف الذى ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) فـهو أجـل ماكتب فى هذا الفن ، وهو ينقسم إلى خمسة وعشرين كتابا يحتوى كل كتاب منها على عـدة أبواب ، ويحتوى الكتاب كله على مايقرب من تسعمائه باب تختلف طولا وقصرا ، وأبوابـه الأصول هى : خلق الإنسان ، النساء ، اللباس ، الأطعمة ، الأمراض ، الدور والأرضيـن ، الخيل ، السلاح .. الخ

وتمثل مادة الكتاب جزءا كبيرا من مادة المعاجم العربية ، كما أن معـاجم المعـانى أو الموضوعات قد جرت على طريقته فى التبويب فضلا عن تضمنها جزءا كبيرا من مادتـه ، ويكفى الإشارة هنا إلى أن (المخصص) لابن سيده مؤلف على نمطه .

وثمة كتب أخرى فى غريب اللغة جاء تحت عنوان (الألفاظ) لعل أهمها وأقربها إلـى كتب الغريب : (كتاب الألفاظ) لأبى يعقوب بن إسحق بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) وهـو منتظم فى أبواب (١٤٨ بابا) تجئ على النحو الآتى : باب الغنى والخصب ، بـاب الفقـر والجدب ، باب العقل والحزم باب الحمق والهوج ، باب الألوان .. الخ

و (نظام الغريب) لعيسى بن إبراهيم بن محمد الربعى (ت ٤٨٠هـ) . وهو مرتـب على نحو ما سبق من كتب الغريب المصنف . (١٢)

ثانيا : المصادر المعرفية (المتخصصة)

أ - المصـــادر العامـــة

ومن أهم هذه المصادر التى تتناول مصطلحات أكثر من علم أو مجال معرفى :

مفاتيـــح العلـــوم

عاش الخوارزمي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٠ أو ٣٨٧هـ) فى أزهى عصور العلم فى العالم الإسلامى بأسره . وكانت العلوم بمختلف أنواعها قد أصبح لها فى القرن الثالث – لغتها الخاصة ، أصبح لكل علم حدوده وموضوعاته ومناهجه ، ومـــا إن حل القرن الرابع حتى استقرت مصطلحات هذه العلوم بمعانيها المتفق عليها بيـــن أهلـــها ، وأصبحت حقائق عرفية يتداولها أرباب العلوم والصناعـــات ، فـــى هـــذه الأثنـــاء وضـــع الخوارزمى كتابه الرائد (مفاتيح العلوم) لكى يكون – كما يقول – : جامعا لمفـــاتيح العلـــوم وأوائل الصناعات ، مُضَمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحـــات " (١٣)

وقد تحرى الخوارزمى فيما جمعه : الإيجاز والاختصـــار ، ملغيـــا ذكـــر المشـــهور والمتعارف بين الجمهور وما هو غامض غريب .

وقد أوضح الخوارزمى فى مقدمة كتابه بعض مبادئ المصطلحية ، فقد بين مثلا كيـــف يختلف مدلول المصطلح باختلاف مجال استعماله : " فالرجعة عند أصحـــاب اللغـــة المـــرة الواحدة من الرجوع ، وعند الفقهاء : الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن ، وعند المتكلميـــن : مايزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، وعند الكتاب : حساب يرفعه المعطى فى العسكر لطمع واحد ، وعند المنجمين : سير الكواكب الخمسة المتحـــيرة علـــى خلاف نضد البروج " (١٤)

وبيَّن كذلك طريق العربية الذى سلكته فى الاصطلاح : الاختراع أو التعريب ، " إذ كان أكثر هذه الأوضاع أسامى وألقابا اخترعت وألفاظا من كلام العرب أعربت "

يقوم تصنيف المصطلحات على أساس موضوعى ، إذ جعل كتابه مقالتين أولاهما عن علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والثانية لعلوم العجم وغيرهم من الأمم . وتضم كل مقالة عدة أبواب جامعة لعلومها ، ولكل باب عدة فصول ، يتوارد فى كل فصل مصطلحاته كيفما اتفق دون ترتيب واضح.

وهذا الكتاب من غير شك من أنفس ما عرفته خزائن العربية من مصادر أصيلة موثقة وافية فى موضوعها يقول عنه الدكتور مدكور : وللكتاب شأن خاص فى توضيح تطور المصطلح العلمى العربى"(١٥)

وكان الخوارزمى يعرف الفارسية ، ومن المحتمل أنه كان يعرف شيئا عن اليونانية والسريانية والسنسكريتية ، يشهد بذلك تفسيراته الدقيقة لأغلب ما عربته العرب من هذه اللغات .

وتبلغ مصطلحاته – وفقا لما ورد منها فى نشرة (فلوتن ، ليدن ١٨٩٥م) ألفين وثلاثمائة واثنين وثمانين .

وهذا مخطط يوضح أبواب الكتاب وفصوله وعنوانات مابها من مصطلحات .

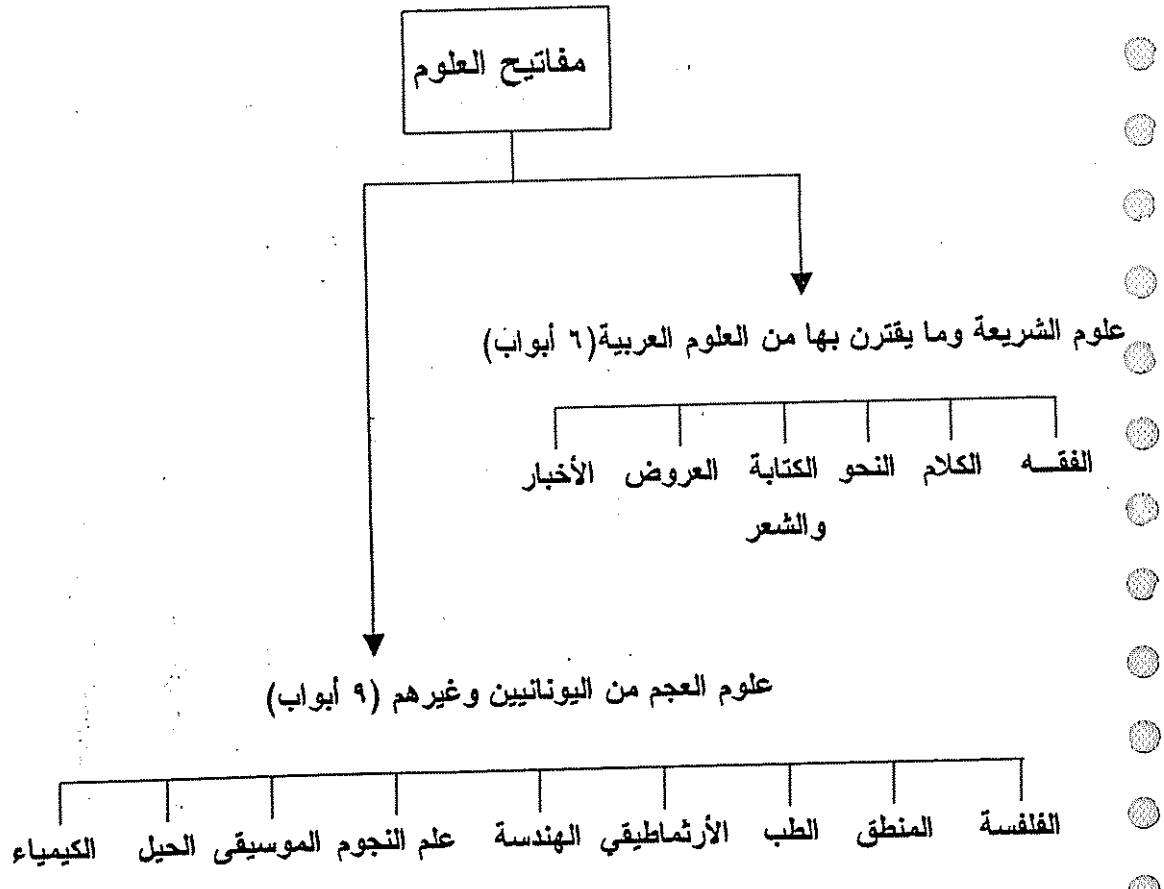

علوم الشريعة وما يقترن بها

الباب الأول : الفقه ويضم الفصول الآتية (١١ فصلاً) :

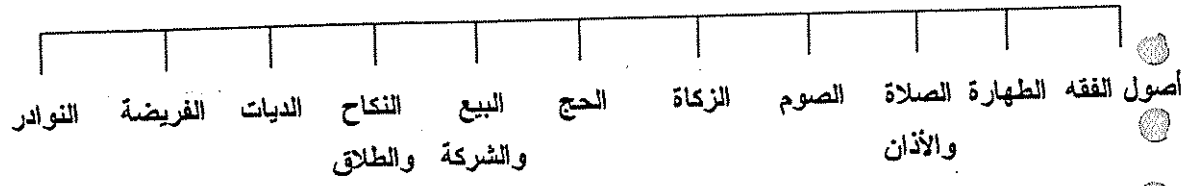

الباب الثاني : الكلام ويضم الفصول الآتية (٧ فصول) :

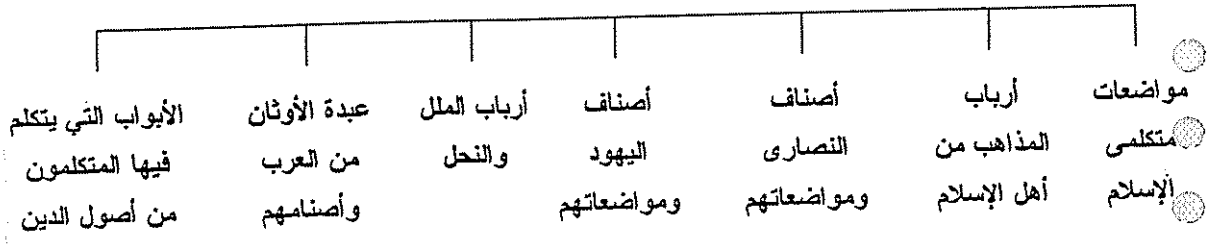

الباب الثالث : النحو ، ويضم الفصول الآتية (١٢ فصلاً) :

- مبادئ النحو ووجوه الإعراب على مذهب النحويين عامة
- مبادئ النحو ووجوه الإعراب على ما يحكى عن الخليل
- مبادئ النحو ووجوه الإعراب على مذاهب فلاسفة اليونان
- فن تنزيل الأسماء
- الوجوه التي ترفع بها الأسماء
- الوجوه التي تنصب بها الأسماء
- الوجوه التي تخفض بها الأسماء
- الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله
- فن تنزيل الأفعال
- الحروف التي تنصب الأفعال
- الحروف التي تجزم الأفعال
- النوادر

الباب الرابع : الكتابة ، ويضم الفصول الآتية (٨ فصول) :

- مواضعات كتاب ديوان الخراج
- ... ديوان الخزن
- ... ديوان البريد
- ... ديوان الجيش
- ... ديوان الضياع والنفقات
- ... ديوان الماء
- ... ديوان الرسائل

الباب الخامس : العروض والشعر ، ويضم الفصول الآتية (٤ فصول) :

- جوامع هذا العلم وأسماء أجناس العروض
- ألقاب العلل والزحافات
- اشتقاقات ألقاب العلل والزحافات
- نقد الشعر ومواضعات نقاده

الباب السادس : الأخبار، ويضم الفصول الآتية (٩ فصول) :

- الفرس وألقابهم
- الخلفاء وملوك الإسلام
- ملوك اليمن فى الجاهلية وألقابهم
- من ملك معد من ملوك اليمن
- ملوك الروم واليونان
- ألفاظ جارية فى أخبار الفرس
- ألفاظ جارية فى الفتوح والمغازى
- ألفاظ جارية فى أخبار ملوك الجاهلية
- ألفاظ جارية فى أخبار ملوك الروم

علوم العجم واليونانيين وغيرهم

الباب الأول : الفلسفة ويضم الفصول الآتية (٣ فصول):

- أقسام الفلسفة وأصنافها
  - النظـــرى
    - العلوم الآلهية
    - العلوم الطبيعية
      - الآثار العلوية
      - النبات
      - الحيوان
      - المعادن
      - طبيعة ما تحت ملك القمر
      - الكيمياء
    - الأرثماطيقي علم العدد
    - جومطريا الهندسة
    - اسطرونوميا علم النجوم
    - الموسيقى اللحون
  - العملـــى
    - الأخلاق
    - تدبير المنزل
    - تدبير العامة والخاصة
  - علوم آخرى
    - المنطق
    - الحيل
- جمل ونكت من العلم الإلهي وما يتصل به
- ألفاظ جارية في الفلسفة وكتبها

الباب الثاني : المنطق ، ويضم الفصول الآتية (٩ فصول) :

- إيساغوجي المدخل
- قاطغورياس المقولات
- بارىأرمنياس التفسير
- أنولوطيقا العكس
- أفوديقطيقي الإيضاح
- طوبيقي الجدل
- سوفسطيقي التحكم
- ريطوريقي الخطابة
- بيوطيقي الشعر

الباب الثالث : الطب ، ويضم الفصول الآتية (٨ فصول) :

- التشريح
- الأمراض والأدواء
- الأغذية
- الأدوية المفردة
- الأدوية المركبة
- أدوية مشتبهة الأسماء
- أوزان الأطباء ومكاييلهم
- النوادر

الباب الرابع : الأرثماطيقي (علم العدد) ويضم الفصول الآتية (٥ فصول) :

- الكمية المفردة
- الكمية المضافة
- الأعداد المسطحة والمجسمة
- العيارات
- حساب الهند وحساب الجمل والجبر والمقابلة

الباب الخامس : الهندسة ، ويضم الفصول الآتية (٤ فصول) :

- مقدمات الهندسة
- الخطوط
- البسائط
- المجسمات

الباب السادس : علم النجوم ، ويضم الفصول الآتية (٤ فصول) :

- أسماء النجوم السيارة والثابتة وصورها
- تركيب الأفلاك وهيئة الأرض وما يتبعها
- مبادئ الأحكام ومواضعات أصحابها
- آلات المنجمين

الباب السابع : الموسيقى ، ويضم الفصول الآتية (٣ فصول) :

- أسماء آلات الصناعة وما يتبعها
- جوامع الموسيقى في كتب الحكماء
- الإيقاعات المستعملة

الباب الثامن : الحيل ، ويضم الفصلين الآتيين :

- جر الأثقال بالقوة اليسيرة وآلاته
- آلات الحركات وصنعة الأواني العجيبة

الباب التاسع : الكيمياء ، ويضم الفصول الآتية (٣ فصول) :

- آلات صناعة الكيمياء
- في العقاقير والأدوية من الجواهر والأحجار
- تدبير الجواهر والأحجار ومعالجتها

التعريفـــــات

ربما كان كتاب (التعريفات) للجرجانى ، أبى الحسن على بن محمد بن على المتوفـى فى سنة ٨١٦هـ من أقل كتب المصطلح المختصة بعلوم العربية والشريعة حجما ، ولكنـه - مع ذلك - من أوثقها مادة وأدقها تعريفا ومن ثم أكثرها تداولا بين الباحثين .

والكتاب معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والبلاغيين والمتصوفة .. وغيرهم من علماء العربية والشريعة . وعدد مصطلحاته أو مداخله ١٩٤٩ .

يقول عن كتابه " وبعد ، فهذه تعريفات جمعتها واصطلاحات أخذتها من كتب القـوم ، ورتبتها على حروف الهجاء من الألف والباء تسهيلا تناولها للطـالبين وتيسـيرا تعاطيـها للراغبين " (١٦)

هذا ، وقد وضع الجرجانى المصطلحات فى مداخل مرتبة - كما يقول - على حـروف الهجاء دون تجريدها إلى الثلاثى كما تفعل المعاجم اللغوية ، وقد راعى فى ترتيبها الحـرف الثانى غالبا . ومن أهم مزاياه :

- أنه يذكر - فى عديد من المداخل - المعنى اللغوى والاصطلاحى للفظ .
- أنه يذكر المعانى المتعددة للمصطلح إذا ما تعدد مجاله الموضوعى ، وينص غالبا على المجال فيقول : فى اصطلاح النحاة ، أو فى الشرع ، أو فى اصطلاح أهل الحقيقـة .. الخ
- أنه قد يخصص للمصطلح الواحد غير مدخل إذا ما تعدد مدلوله الاصطلاحى

  انظر مثلا : الإجماع أو الاجتهاد أو الإدراك
- أنه قد يعرض لمصطلح ما ولما يتعلق به . انظر مصطلح الاستعارة .
- أنه يهتم أحيانا بإيراد بعض المعلومات الصرفية المتعلقة بالمصطلح ، انظر : ولـى ، كما يهتم ببيان أصول المصطلح المعرب انظر : هيولى أو أسطقس .

هذا والكتاب صورة لما بلغته العلوم العربية والشرعية من تنوع وتطور إلـى عـهده ولما بلغه صاحبه فى معالجة المصطلحات من تدقيق فى إيراد المعانى الخفية والفروق الدقيقة ، ومن أمانة فى النقل وتحر فى العبارة .

التوقيف على مهمات التعاريف

مؤلفه : عبد الرءوف بن على نور الدين المناوى ، ولد بالقاهرة سنة ٩٥٢هـ وتوفى بها ١٠٣١هـ .

وكتابه (التوقيف) معجم فى الألفاظ المتداولة فى العلوم الشرعية والعربية جمع فيه قرابة ثلاثة آلاف مصطلح مقرونة بتعريفاتها أو حدودها لغة واصطلاحا . وهذا المجموع هو ما تيسر له مما كان شائعا على ألسنة الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والنحاة والصوفية .. وغيرهم ، وإن كان عمدته فى ذلك (تعريفات الجرجانى) وتعاريف الكتاب مختصرة موثقة معزوة إلى مصادرها .

يقول : وقفت على كتاب لبعض المتقدمين ملقب بـ (الذريعة إلى معرفة ما أصلت عليه الشريعة) ذكر فيه تعاريف الألفاظ المتداولة على ألسنة حملة الشريعة... وقد رأيت .. الجرجانى قد انتقى من ذلك الكتاب تعريفات واصطلاحات ولم يستوعبه... وألفيت الإمام الراغب ألف كتابا فى تحقيق مفردات ألفاظ القرآن أتى فيه بما يدهش الناظر .. فجمعت زبد هذه الكتب الثلاثة ، ووشحتها بفوائد استخرجتها من بطون الدفاتر المعتبرة " (١٧)

وقد كان المناوى – مع عنياته بالتعريف العلمى – معنيا بضبط بنية المصطلح وبيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ المترادفة ، وتحقيق الأصل فيما هو معرب أو أعجمى أو أصيل .

وقد رتب المناوى كتابه على أبواب بعدد حروف المعجم من الألف فالباء إلى الياء على حال الكلمة المصطلح عليها دون ردها إلى جذرها ، وقد راعى فى الباب الحرف الثانى وجعله فصلا.

الكليات

كتاب (الكليات) لأبى البقاء الكفوى ، أيوب بن موسى الحسينى المتوفى فى القدس سنة ١٠٩٤هـ – موسوعة مختصرة فى علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة .. الخ والشريعة من فقه وكلام وحديث .. الخ بل فى علوم الفلك والطب والرياضيات .. وغيرها من العلوم والفنون التى عرفها العرب حتى عصر المؤلف فى القرن الحادى عشر للهجرة .

جمع أبو البقاء فى (كلياته) ما تيسر له مما اصطلح عليه أهل هذه العلوم والفنون وقدمها منسوقة مشروحة ميسورة لكل من يطلبها .

رتب (الكليات) على حروف المعجم من الألف إلى الياء على شكل اللفظ دون رجوع إلى أصله ، ورتب فصل الألف فحسب مراعيا ثانى حروف اللفظ ، وقد أثقل أبو البقاء على طلابه حين لم يراع هذا النهج فى غير الألف من فصول الكتاب .

يذكر أبو البقاء معنى المصطلح فى اللغة وفى الاصطلاح فى أغلب الأحوال ، ويبين مقصوده عند أهل علم بعينه أو فن بعينه بل عند عالم بعينه أحيانا ، ويكثر من الاستشهاد على استعماله بالقرآن الكريم والحديث ، بل كان ينهى كل فصل من فصول الكتاب بالألفاظ القرآنية الشاهدة على المعانى التى يذكرها . كما كان يتمثل أحيانا بشواهد من الشعر ، على عناية زائدة بالقواعد والضوابط .

يقول : جمعت فيه مافى تصانيف الأسلاف من القواعد ، فتسارعت لضبط ما فيها من الفوائد منقولة بأقصر عبارة وأدقها ." (١٨)

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

ربما كان (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) الذى ألفه محمد بن على التهانوى (المتوفى بعد عام ١١٥٨هـ) أكبر مصنفات المصطلح حجما ، وأوفاها مادة ، ومن ثم كان أقرب الى الموسوعة منه الى المعجم العلمى المختص .

يضم الكتاب ما تيسر له جمعه من مصطلحات العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة .. وغيرها ، ومن مصطلحات العلوم الشرعية من فقه وكلام وتصوف .. الخ ومن مصطلحات العلوم الحقيقية كالمنطق والحكمة والهندسة والطب .. الخ

وقد استوفى التهانوى فى كشافه : بحث المواضعات العلمية متدرجا من الدلالة اللغوية إلى غيرها من الدلالات فى شتى العلوم من نقلية وعقلية ، وتوسع فى إيراد المسائل التى اقتضاها البحث معتمدا على الكتب المعتبرة في العلوم المختلفة ، وعلى آراء الثقات من العلماء والمؤلفين ، وذكر المظان التى نقل عنها يوردها فى ثنايا المادة أو فى آخرها ، بحيث أضحى الكتاب معلمة للثقافة فى الإسلام " (١٩)

وقد صدر التهانوى كتابه بمقدمة ضافية بسط فيها منهجه فى التأليف وأحصى فيها العلوم المدونة حتى عصره وما يتعلق بها ، وبين وجوه تقسيمها الى نظرية وعملية ، ووجوه

تفريع كل قسم منها ، وفى عقب ذلك تحدث عن أجزاء العلم أى موضوعه ومسائله ومبادئه ، وعن المعايير التى تضبط مادة العلم وتضمن سلامته .. الخ

ويضم الكتاب من مصطلحات العلوم العربية والشرعية والعقلية ثلاثة آلاف وخمسة وأربعين مصطلحا.

وقد وزع التهانوى هذه المصطلحات فى أبواب وفصول ، راعى فى الأبواب أول الكلمة وفى الفصول آخرها ، وهو ترتيب صعب مسلكه .

طبع الكتاب أول مرة بالهند ١٨٦٢م ، ثم فى الآستانة عام ١٣١٧هـ ثم فى مصر ١٩٦٣هـ حققه الدكتور لطفى عبد البديع وترجم نصوصه الفارسية الدكتور عبدالنعيم حسنين ، ولم تكتمل تلك النشرة إذ توقفت عند حرف الصاد .

وقد أعادت مكتبة لبنان نشره ١٩٩٦ كاملا ، حققه الدكتور على دحروج وترجم نصوصه الفارسية الدكتور عبد الله الخالدى (وضع الترجمة فى موضعها من المتن ووضع الأصل الفارسى فى الهامش) كما قدم الدكتور جورج زيناتى ترجمه انجليزية وفرنسية للمصطلح مقرونه بالمصطلح العربى عند كل مدخل من مداخل الكتاب .

وقد غير المحقق ترتيب مواده ، فاعتمد إيراد المصطلح أو اللفظ كما هو ، حيث تم إدراج كل هذه المصطلحات بالترتيب الألفبائى بحسب ورود الاسم من غير التفات إلى الجذر أو أى اعتبار آخر .

جامع العلوم فى اصطلاحات الفنون

ومؤلفه القاضى الفاضل عبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى الهندى وهو يقع – كما يقول الدكتور حسن الشافعى – وسطا بين كشاف التهانوى وكليات أبى البقاء ، إذ يضم إلى جانب التعريفات العامة بعض القواعد والمسائل الهامة فى مختلف العلوم " (٢٠)

وصفه مؤلفه بقوله : دستور العلماء ، جامع العلوم العقلية ، حاوى الفروع والأصول النقلية .. فى تحقيقات اصطلاحات العلوم المتناولة ، وتدقيقات الكتب المتداولة ، وتوضيحات مقدمات مستمرة مشكلة على المعلمين ، وتلويحات مسائل مبهمة مستسرة على المتعلمين .. "

نشرته فى أربع مجلدات دائره المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٩هـ بتحقيق قطب الدين بن غياث الدين على حيدر آبادى . وقد أعادت نشره مكتبةلبنان على نفس المنهج الذى اتبعته فى تحقيق الكشاف .

ب - المصادر الخاصة

المصادر الخاصة (فى الفقه)

هذه المصادر من حيث تصنيف مادتها نوعان : الأول وهو أسبقها ظهورا يقوم على ترتيب أبواب الفقه ، والثانى : يقوم على أساس حروف المعجم .

ومن الملحوظ أن العناية بالجانب الشكلى أو اللغوى كانت أظهر فى المصادر المتقدمة ، وقلما نجد فيها تعريفات محددة منطقيا ، على حين كانت العناية بالتعريف المنطقى أظهر فى المصادر المتأخرة ، وهذا وذاك أمر متوقع لأن العناية باستيفاء شروط التعريف المنطقى لم تتحقق بصورة جيده إلا فى القرن الرابع الهجرى تقريبا .

المصنفات المرتبة وفقا لأبواب الفقه

١ - الزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى

ألفه أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠هـ . وهو اللغوى المشهور صاحب (تهذيب اللغة) عكف على كتب الشافعى يدرسها دهرا طويلا ، ويستعين على تفهمها بما لديه من علم اللغة ، فوجد أن ألفاظ الإمام " عربية محضة ومن عجمة المولدين مصونة " فرغب فى تفسير ما استغرب منها ، ولكنه خشى إذا ما استقصاها أن يمل قارئه ، ووجد مختصر المزنى يفى بمراده لأن المتفقهة كانوا حريصين على الاستفادة منه ، لأنه من الكتب الجوامع فى أصول المذهب وفروعه . وقد وضع كتابه ليستفيد منه المبتدى والمنتهى ، يقول : جعلت لكل منهم فيما كشفته وبينته حظا وافيا وبيانا شافيا "(٢١)

وإذا كان المزنى - كما يقول حاجى خليفة - هو أول من صنف فى مذهب الشافعى ، وإذا كان مختصره هو أحد الكتب الخمس المتداولة بين الشافعية " وعلى منواله رتبوا ولكلامه فسروا " كما يقول ابن سريج ، فإن الأزهرى هو أول من صنف فى غريب الفقه ،

وعلى كتابه (الزاهر) اعتمد المصنفون من بعده ، ومنه اغترفوا وعلى نهجه نهجوا . ومما يؤكد مكانته أن تنظر فيما صنفه الشافعية فى موضوعه ، بل إنهم تباروا فى تلخيصه ونظمه.(٢٢)

وشرح الأزهرى مرتب على أبواب الفقه على النهج الذى وضعه المزنى ، يبدأ بباب الطهارات ... فباب الصلاة .. فباب الزكاة .. فباب الصوم .. فباب المناسك .. إلى آخر الأبواب وهو باب العتق . ويضم كل باب من تلك الأبواب أبوابا فرعية ، فباب الطهارات ينقسم مثلا إلى باب الآنية فباب السواك .. الخ، وقد أصبح هذا المنهج مرعيا فى معظم ما صنف فى غريب الفقه على اختلاف المذاهب الفقهية .

ويبرز فى شرحه لما اختاره من ألفاظ الشافعى معرفته الواسعة باللغة العربية معروفها وغريبها ، وبشواهدها من كلام العرب وشعرهم . فهو بكتابه (التهذيب) أشبه .

وطريقته فى الشرح أن يستخرج من مختصر المزنى ما يراه محتاجا إلى تفسير ثم يعلق عليه بما يراه وافيا بالغرض . وتعليقاته غنية وشاملة كما هو حاله فى ترجمة الجذور فى معجمه (التهذيب) . بعضها صرفى يتصل ببنية الكلمة ونوعها اسما أو فعلا أو وصفا ، وتصريفها واشتقاقها ، ومفردها أو جمعها أو مثناها ومذكرها أو مؤنثها ... وغير ذلك مما هو من موضوع الصرف (انظر : طهور ص ٢٩ إهاب ص ٣١) وبعضها نحوى يتصل بمواقع الكلمة فى الكلام وبإعرابها وبما يتصل بسياقها من ظواهر (انظر : ماعدا ص ٣٠ وسبحانك ص ٦٢) وبعضها دلالى يتصل بمعناها فى القول المختار وفى السياقات الأخرى إذا اقتضى الأمر . (انظر : إعواز ص ٤٣ والقرظ والشب ص ٤٤) بيد أنه لم يكتف بهذه الجوانب اللغوية التى تشكل تعريفا لغويا للكلمة ، ففى كثير من المواضع تجد تعريفا فقهيا منضبطا (انظر : النية ص ٣٣ ، والقراض ص ١٦٤) والمخابرة ص ١٦٧) .. وقد يستهويه الكلام فيعرض لتطور الكلمة من المجال اللغوى أو الأصل إلى المجال الشرعى أو الاصطلاحى (انظر النوافل ص ٧٣ . الحج ص ١١٥) .

والمعلومات اللغوية التى يذكرها موثقة غالبا بالشواهد الفصيحة من شعر العرب المستشهد به وبالقرآن وبأئمه اللغة . الكتاب – كما قلنا – أشبه بكتاب التهذيب فهو مثله معجم لغوى ولكنه معجم خاص بفقه الشافعى .

٢ ـ تفسير غريب الموطأ

ألفه أبو عبد الله أحمد بن عمران بن سلامة الألهانى ، المعروف بالنحوى وبالأخفش وهو أحد الأخافش الأحد عشر ، توفى عام ٢٥٠هـ .

والكتاب يفسر غريب الموطأ وفقا لأبواب الفقه المصنفة فيه ، ولكنه تصرف قليلا فى ترتيب مالك وفى عنوانات الأبواب أو الكتب ، فهى كما يلى . كتاب وقوت الصلاة ، كتاب الجامع ، كتاب الحج ، كتاب القراض والمساقاة ، كتاب الجهاد ، كتاب الحدود ، كتاب الضحايا ، كتاب الجنائز .. الخ

وفى التفسير لانجد ترتيبا مرعيا ، فقد يتناول جزءا من حديث أو مصطلحا ليشرحه من أحد الأبواب ثم يقحم عليه شرحا لغريب آخر من باب آخر . وهو يشرح اللفظ الغريب شرحا مستوفى يحدد معناه ويستشهد له بما يتوفر لديه من القرآن والحديث وأشعار العرب .

والكتاب – فيما بلغنا حتى اليوم – مازال مخطوطا ، ومعتمدنا هنا على ماكتبه عنه الأستاذ محسن التميمى . (٢٣)

٣ ـ طلبة الطلبة

ألفه نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفى المتوفى ٣٧٠هـ وهو من أئمة الحنفية ، وكتابه – كما يقول محققه الشيخ خالد العك : أول كتاب لغوى فقهى جمع فيه مؤلفه رحمه الله معانى الألفاظ والكلمات التى استعملها الفقهاء الأحناف " (٢٤)

رتب الألفاظ المفسرة وفقا لأبواب الفقه ، بدأ بأبواب الطهارة فأبواب الصلاة فالزكاة فالصوم فالحج ، ثم أبواب النكاح فالرضاع فالطلاق .. إلى آخر الأبواب الفقهية على الترتيب المعتمد عند الأحناف .

والنسفى مهتم جدا بانتقال معنى اللفظ من المجال اللغوى إلى المجال الشرعى (الاصطلاحى) والاستشهاد على ذلك بشعر العرب فى جاهليتها وبالقرآن والحديث .

كما أنه معنى بإيراد الألفاظ الفارسية التى تكافئ المصطلحات العربية . انظر مثلا حديثه عن : الدياسة، والتنقية والتذرية والكراب ، وهى من مصطلحات المزارعة ثم انظر فيما يقابلها من ألفاظ فارسية (ص ٣٠٩ ، ٣١٠) .

ومع عنايته البالغة ببيان المعنى اللغوى والاصطلاحى يهتم بضبط بنية اللفظ وبيان تصريفه واشتقاقه معتمدا فى ذلك على المعجمات المشهورة كالمجمل لابن فارس وديوان الأدب للفارابى والعين للخليل بن أحمد وغيرها .

٤ - حلية الفقهاء

ألفه ابن فارس أبو الحسين أحمد المتوفى ٣٩٥هـ ، وهو شرح لألفاظ الإمام الشافعى التى وردت فى مختصر المزنى ، وابن فارس لغوى ومعجمى ، له معجمان مشهوران : المقاييس والمجمل . وقد اهتم فى هذا الكتاب بالمعنى اللغوى الذى يفسر به مراد الشافعى ، بيد أنه فى كثير من الأحيان يحد اللفظ حدا فقهيا كالمعهود فى المصنفات الفقهية .

وكتابه هذا مرتب على أبواب الفقه على النهج الذى انتهجه المزنى . كما أنه ينهج نهج الأزهرى فى تفسير الألفاظ والاستشهاد عليها ، وإن كان دونه مادة ، ويتميز الكتاب بأنه فسر فى مستهله عددا من الألفاظ الشائعة فى أصول الفقه ، فقد فسر المقصود بالكتاب والسنة والإجماع والقياس والعلم والفقه والنظر والحجة والعلة ، والناسخ والمنسوخ والحظر والإباحة والخصوص والعموم . (٢٥)

٥ - المبسوط

ألفه أبو بكر محمد بن أبى سهل السرخسى المتوفى سنة ٤٨٢هـ ، وكتابه هو شرح للمختصر الذى وضعه الحاكم الشهيد أبو الفضل محمد بن أحمد المروزى (ت ٣٣٤هـ) على المبسوط الذى وضعه صاحب أبى حنيفة محمد بن الحسن الشيبانى .

ويجرى الشرح وفقا لأبواب الفقه وترتيبها المتداول بين فقهاء الحنفية .

ويبدأ الباب بتقرير موجز يتضمن التعريف بموضوعه وحكمه ، ثم يبين المعنى اللغوى والشرعى لعنوان الباب ، ويستشهد عليه من فصيح العربية فى الجاهلية والإسلام ، وكيف ينتقل مدلول اللفظ من المعنى اللغوى إلى الشرعى .

ومثال ذلك : والصلاة فى اللغة عبارة عن الدعاء والثناء ، قال الله تعالى (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) ثم يستشهد بقول الشاعر :

وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم

أى دعا وأثنى على دنها ، وفى الشريعة عبارة عن أركان مخصوصة – كان فيها الدعاء أو لم يكن – فالاسم شرعى ليس فيه معنى اللغة (المبسوط ١/٤،٥)

٦ ـ مقدمات ابن رشد

ألفه أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠هـ لبيان ما اقتضته المدونة من أحكام .

والمدونة الكبرى للإمام مالك رواها عنه سحنون ت ٢٤٠هـ عن عبدالرحمن بن قاسم وهى أول الأمهات الأربعة فيما صنفه المالكية .

وهو يعقد مقدماته على ماجرت عليه المدونة من كتب وأبواب ، يشرح ويدلل ويستكمل ما فات سحنون من أحكام .. ويذكر أقوال الفقهاء أصحاب المذاهب كالشافعى وأبى حنيفة ما اقتضى الأمر ذلك .

ومن مقدمات ابن رشد تلك المقدمة اللغوية التى يستهل بها كل كتاب ، يبين فيها اشتقاق الكلمة المعنون بها وبعض المعلومات اللغوية الأخرى ، ثم يحدد المعنى اللغوى وكيف انتقل إلى المعنى الشرعى أو الاصطلاحى ، ثم يعرف الكلمة الفقهية تعريفا علميا منضبطا على ما يقتضيه مذهبه . ولنأخذ مثالا لذلك : " الصيام فى اللغة هو الإمساك والكف والترك .. قال الله تعالى (إنى نذرت للرحمن صوما) وهو الإمساك عن الكلام والكف عنه قال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ومنه قول امرئ القيس :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ... ذمول إذا صام النهار وهجرا

معناه إذا انتصف النهار وقام قائم الظهيرة .. فكأنها واقفة غير متحركة لإبطاء مشيها ، والعرب قد تسمى الشئ باسم ما قرب منه .

والصيام فى الشرع هو أيضا إمساك على ماهو عليه فى اللغة غير منقول عنه إلى اسم غير لغوى إلا أنه فى الشرع إمساك عن أشياء مخصوصة فى أزمان معلومة على وجوه مخصوصة ، فهو إمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع اقتران النيات به .. " (٢٦)

٧ - النظم المستعذب فى شرح غريب المهذب

ألفه محمد بن أحمد بن سليمان بن بطال الركبى المتوفى سنة بضع وثلاثين وستمائة . فقيه ونحوى ومحدث يمنى .

وكتابه من أوفى ما كتب فى غريب الفقه ، وأحفلها بالمطالب اللغوية والتعريفات الفقهية ، يقول فى خطبته : إنى لما رأيت ألفاظا غريبة فى كتاب (المهذب) يحتاج إلى بيانها والتفتيش عليها فى مظانها .. وقفت على مختصرات وضعها بعض الفضلاء ، فرأيت بعضهم طول وعلى أكثر جملها ما عول ، وبعضهم توسط إلا أنه أخذ بعضا من المقصود وفرط ، وبعضهم قصر وما بصر .. " ثم يقول : دعت الحاجة إلى تتبع هذه الألفاظ من كتب اللسان وغريب الحديث وتفسير القرآن ... واستكين إليها عند الطلب والتفتيش مع تحرى الإيجاز والاختصار وحذف التطويل والإكثار " (٢٧)

ويجرى الكتاب فى شرحه على أبواب الفقه ، كما رتبها صاحب (المهذب) وقد استمد ابن بطال شرحه من مصادر متعددة ، رجع إلى العين والتهذيب والصحاح .. الخ كما رجع إلى الغريبين للهروى والفائق للزمخشرى والنهاية لابن الأثير .. الخ

وكان ابن بطال معنيا بضبط الألفاظ وبيان تصريفها واشتقاقها والاستشهاد على ذلك كله بالشعر الفصيح جاهليه وإسلامية وبالقرآن الكريم والحديث الشريف ، كما كان معنيا بالألفاظ المعربة يبين معانيها وينسبها الى لغتها التى منها عربت .

٨ - غرر المقالة فى شرح غريب الرسالة

ألفه أبو عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوى ، (عاش فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى) لغوى ومحدث وفقيه مالكى

وكتاب (الرسالة) من أشهر مدونات الفقه المالكى ، ألفها أبو محمد عبد الله ابن أبى زيد المتوفى سنة ٣٨٦هـ لتكون أول ما يبتدئ به طالب الفقه ، وقد صدرها بفاتحة موجزة فى بعض المسائل العقدية فى باب بعنوان (باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات) ثم اعقبها بأبواب الفقه على ماجرى عليه المالكية من أبواب ، على طريقة المسائل والأحكام .

وكتاب الغرر شرح لغوى يفسر ما جاء فى الرسالة من غريب يحتاج الى البيان والشرح هكذا :

* (ولا يجوز فى البيوع التدليس ولا الغش ولا الخلابة ولا الخديعة ، ولا كتمان العيوب ولا خلط دنئ بجيد ، ولا أن يكتم من أمر سلعته ما إذا ذكره كرهه المبتاع أو كان ذكره أبخس له فى الثمن) (٢٨)

قوله : الغش أصله من الغشش وهو الماء الكدر ، قاله الأنبارى فى زاهره .

قوله : الخلابة يعنى الخداع يقال منه : خلبه يخلبه خلبا وخلوبا ومنه الحديث (إذا بعت فقل لا خلابة).

قوله : الخديعة : الخدع الفساد ، يقال : خدع الريق إذا فسد قال الشاعر

أبيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق إذا الريق خدع

* (وينهى عن الصلاة فى معاطن الإبل ومحجة الطريق وظهر بيت الله الحرام والحمام حيث لا يوقن منه بطهارة ، والمزبلة والمجزرة ومقبرة المشركين وكنائسهم)

قوله : معاطن الإبل ، يعنى أماكنها على الماء واحدها معطن ، ويقال أيضا عطن وقد يكون أيضا على غير الماء ، ذكره يعقوب فى الألفاظ [تهذيب الألفاظ] ولا يسمى العطن حتى يكون على الماء .

قوله : المزبلة ، يقال مزبلة ومزبلة بضم الباء وفتحها

قوله : وكنائسهم يعنى موضع تعبدهم ، واحدها كنيسة بفتح الكاف وكسر النون ، قال الشاعر :

إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء

يعنى صغار الظباء .. " (٢٩)

وفى المثالين كفاية عن الحديث عن منهجه فى التفسير والاستشهاد .

٩ - تحرير التنبيـــه

ألفه محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى ٦٧٦هـ ويعرف حينا بلغات التنبيه وحينا بتحرير ألفاظ التنبيه .

وهو معجم لغوى فقهى مؤلف على أبواب الفقه بحسب ورودها فى كتـــاب (التنبيـــه) للفقيه الشافعى جمال الدين أبى إسحق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروزابـــادى الشـــيرازى المتوفى سنة ٤٧٦هـ .

وقد جرى النووى على ترتيب أبواب الفقه على النحو الذى جرى عليه الشـــافعى فـــى (الأم) والمزنى فى (المختصر) مع اختلافات يسيرة فى الأبواب الفرعية .

يبدأ بكتاب الطهارة ثم الصلاة فالزكاة فالصيام فالحج أى العبادات ثم يثنى بأبواب كتـاب المعاملات .. فالفرائض .. الخ ويضم كل كتاب عددا من الأبـــواب تختلـف فـــى عددهـــا وعنواناتها بين فقيه وآخر .

وفى منهجه فى علاج ألفاظ التنبيه يقول : أذكر فى هذا الكتاب جميع ما يتعلق بألفـــاظ التنبيه ، فأميز فيه – إن شاء الله – اللغات العربية والمعربة والألفاظ المولـــدة والمقصـــورة والممدودة وما يجوزان فيه ، والمذكر والمؤنث وما يجوزان فيه ، والمجمـــوع والمفـــرد ، والمشتق وعدد لغات اللفظة ، وأسماء المسمى الواحد المترادفة وتصريـــف الكلمـــة وبيـــان الألفاظ المشتركة ومعانيها والفروق بينها كالإحصان ، وما اختلف فى أنه حقيقـــه أو مجـــاز كلفظة النكاح " (٣٠) .. وغير ذلك من معارف مما يتصل بتصريـــف الكلمـــة واشـــتقاقها .. وغير ذلك مما هو من موضوع علم الصرف ، وما يتصل بمعنى الكلمة أو معانيها وانتقالـــها من معنى إلى آخر .. وغير ذلك مما هو من موضوع علم الدلالة .

ولم يكتف النووى بعلاج الموضوعات الصرفية والمعجمية والدلالية فحسب بل أضـــاف إلى ذلك ما يتعلق باللفظ من لغات ومرتبته من حيث الصواب والخطأ ومن حيث الفصاحـــة ومرتبتها – مع عناية خاصة بتعريف المصطلح تعريفا فقهيا يقول : " وأذكر فيه جملا مـــن الحدود الفقهية المهمة كحد المثلى وحد الغصب .. ونحوهما والفرق بين المتشابهات كالهبـــة والهدية وصدقة التطوع وكالرشوة والهدية "

وقد رجع النووى فى تفسير الألفاظ إلى جملة من أشهر اللغويين وصناع المعجمات ومؤلفى الغريب واللحن ومن هؤلاء : الخليل والأصمعى والأزهرى والجوهرى وابن فارس وابن مكى الصقلى .. الخ (٣١)

١٠- المطلع على أبواب المقنع

ألفه أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الحنبلى المتوفى ٧٠٩هـ . وهو فقيه ومحدث نحوى من تلاميذ ابن مالك النحوى

وكتابه – كما عرفه – : مختصر يشتمل على شرح ألفاظ (المقنع) فى الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل تأليف الإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسى

وقد التزم فى شرحه ترتيب الأبواب كما جاءت فى (المقنع) .. وفى آخر الكتاب ترجم للأعلام الواردة فيه ، بدأ بذكر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بذكر إمامه أحمد بن حنبل ثم بذكر صاحب المقنع ابن قدامة المقدسى ، ثم بباقى الأسماء مرتبة على حروف المعجم .

وتجئ الكتب على النحو الآتى : كتاب الطهارة ، فكتاب الصلاة ، فكتاب الجنائز ، فكتاب الزكاة فكتاب الصيام ، فكتاب الاعتكاف .. الخ ولكل كتاب عدد من الأبواب وفى كل باب المسائل والأحكام الفقهية التى تتعلق به .

وغالبا ما يبدأ البعلى شرحه بمقدمة يفسر فيها عنوان الكتاب أو الباب ، ثم يثنى بتفسير ما يراه غريبا فى عباره ابن قدامة . انظر مثلا مقدمة كتاب الصلاة ، بدأه ببيان معنى الصلاة لغة واصطلاحا مبينا العلاقة بينهما .. الخ

يقول : الصلاة فى اللغة الدعاء ، قال تعالى (وصل عليهم) أى ادع لهم ، وقال الأعشى :

وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم

أى : دعا وكبر .. الخ وهى فى الشرع : الأفعال المعلومة من القيام والقعود والركوع والسجود والقراءة والذكر وغير ذلك ، وسميت بذلك لاشتمالها على الدعاء .. الخ(٣٢)

وهكذا يفعل فى مطالع الكتب والأبواب ، وهى مقدمات هامة جدا لطالبى المصطلح الفقهى وتعريفه ، وانظر ما كتبه عن : الفرض والواجب فى مقدمه باب (فرض الوضوء وصفته) (٣٣)

١١- كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب

ألفه إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى المدنى المتوفى سنة ٧٩٩هـ وهو فقيه مالكى ، من أهم آثاره غير هذا الكتاب (تسهيل المهمات فى شرح جامع الأمهات) .

والمقصود بابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبى بكر المتوفى سنة ٦٤٦هـ النحوى والفقيه الشهير صاحب الكافية والشافية .. وله فى الفقه المالكى (جامع الأمهات) وهو مختصر فقهى ألفه فى فروع الفقه المالكى ، ويعرف بالمختصر الفرعى ، سار فيه على نهج الوجيز للإمام الغزالى فى الفقه الشافعى . وهو عمدة الفقهاء المتأخرين وطريقهم إلى فهم (المدونة) وغيرها من جوامع الفقه المالكى .

وكتاب (كشف النقاب) ضرورى لمن يقرأ كتاب ابن الحاجب لأنه فسر فيه مصطلحاته ولغته تفسيرا كافيا . والكتاب من تسعة عشر فصلا ، قد يضم الفصل مصطلحا واحد كالفصل الأول الذى خصصه للكلام عن (المشهور) والثانى الذى خصصه للكلام عن (الأشهر) .. الخ وقد يضم الفصل مصطلحين فأكثر كالفصل التاسع الذى خصصه للكلام عن (الإجماع) و (الاتفاق) وكالفصل الخامس الذى خصصه للكلام عن (الظاهر) و (الواضح) و (الأظهر) .. الخ وهى كلها عبارات تتوارد فى كتاب ابن الحاجب (٣٤)

١٢- شرح حدود ابن عرفة

ألفه أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصارى المتوفى سنة ٨٩٤هـ وهو من فقهاء المالكية المشهورين فى العهد الحفصى بتونس .

أما صاحب (الحدود) فهو محمد بن عرفة الورغمى التونسى المتوفى سنة ٨٠٣هـ ويعرف كتابه بالمختصر الفقهى وفيه يقول محققا الشرح : توسع ابن عرفة فى هذا الكتاب فى عرض المسائل الفقهية وتوجيهها ، وساير فى تنظيم أبوابه ترتيب (المدونة) وتنظيمها حتى يساعد على الرجوع إليها " . (٣٥)

ويقول الشيخ الفاضل بن عاشور فى عنايته بالمصطلح : اهتم بماهيات الحقائق الفقهية الكلية ، والتزم فى ذلك بصورة مطردة فى كل باب من أبواب الفقه التى اشتمل عليها مختصره " . (٣٦)

وقد استخدم ابن عرفة وتابعه ابن الرصاع المصطلحات المنطقية باعتبارها أداة عاصمة للذهن من الذلل ، وهو يرى الاستعانه بالمنطق للتدقيق فى الحد العرفى ولفهم المسائل الفقهية ولتسديد الاستنتاج .

وقد بدأ ابن الرصاع كتابه بالثناء على شيخه ابن عرفة ومختصره الفقهى وترجم له ، ثم بين ما يعنيه بالحدود وما اشتمل عليه مختصره من تعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية .

ويفصل ابن الرصاع القول فى الحد وأنواعه الحقيقى والرسمى واللفظى ، ثم يعرف الماهية وأنواعها اللغوية والعرفية والشرعية ، ثم يقرر أنه يقصد الحقيقة الشرعية .

وهى حقيقة شرعية لما عرض لها من نقل من أصل اللغة ، كالصلاة فهى فى اللغة الدعاء ، ثم نقلت إلى عبادة مخصوصة . (٣٧)

وبعد أن ينتهى من هاتين المقدمتين يفصل القول فى الحدود وفقا لورودها فى المختصر على الترتيب المختار ، الذى يبدأ بكتاب الطهارة فالصلاة فالصيام .. الخ ثم إنه يفسر عنوان الكتاب ثم يفسر عناوين الأبواب الفرعية الداخلة فيه ، وعلى سبيل المثال بدأ بتفسير حد الطهارة ومنه انتقل إلى الحدود المتعلقة به مثل حد النجاسة وحد الطهورية وحد التطهير وحد الماء الطهور .. الخ وهكذا يفعل فى كل الكتب وأبوابها الفرعية .

١٣- الحدود والأحكام

ألفه على بن مجد الدين بن محمد بن مسعود الشاهرودى المشهور بمصنفك والمتوفى سنة ٨٧٥هـ وهو نحوى وفقيه حنفى

يقول عن كتابه إنه جمع فيه الحدود الشرعية للألفاظ الفقهية ، وشرح الألقاب التى لقبت بها الكتب الدينية ، وغير ذلك مما يحتاج البيان والشرح طبقا لمعاقد العلم ، ليسهل على الكافة ضبطها وإتقانها وحفظها وإمعانها (٣٨)

ويقول محققا الكتاب : يقدم الشاهرودى إلى الفقه الإسلامى والمذهب الحنفى خاصة كتابا شاملا جامعا للتعريفات الفقهية مرتبا على الأبواب الفقهية ، فيقدم التعريف من حيث اللغة ،

ثم يتبعه بالاصطلاح، ويعرض للتعريف مناقشا له وعارضا لكلام بعض أهل العلم ، ثم يعقب على ذلك فى كثير من الأحيان مبينا وجه الصواب " .

وقد سلك المؤلف فى تصنيف مصطلحاته الترتيب الفقهى لكتب الأحناف المبوبة ، وعند كل باب يبين مدلول اللفظ فى اللغة ثم فى الشرع أو الاصطلاح ، ثم يحدد فى تعريفه النقاط الآتية : الركن والشرط والسبب والحكم ، ويقول عن هذا المنهج فى مستهل باب التيمم : كل لفظ من الألفاظ التى هى ألقاب الكتب له معنى مخصوص ، وله معنى معلوم فى الشريعة ، ولمعناه الشرعى ركن وله شرط وله سبب وله حكم فى الشريعة ، وهذا هو المقصود الأصلى .. ولابد للشارع فى هذا الكتاب من معرفة هذه الأمور "

ثم يقدم مثالا لذلك : إذا عرفت هذه القاعدة الكلية فاعلم أن التيمم فى اللغة القصد ، قال الله تعالى (ولا تيمموا الخبيث منه) أى لا تقصدوا ، وفى الشريعة عبارة عن القصد إلى استعمال الصعيد الطاهر للتطهر ، قال الله تعالى (فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا)... والسبب فى نزول الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة المريسيع ، وهى غزوة بنى المصطلق ، فنزل فى بعض الطريق فسقطت من عائشة رضى الله عنها قلادة لأسماء رضى الله عنها . فلما ارتحلوا ذكرت ذلك للنبى فبعث رجلين فى طلبها وأقام ينتظرهما فعدم الناس الماء وحضرت صلاة الفجر ، فأغلظ أبو بكر رضى الله عنه على عائشة وقال : حبست المسلمين فنزلت الآية ... وأما ركنه فهو ضربتان ، ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين ، وأما شرطه فعدم القدرة على الماء ، وأما حكمه فهو إباحة الصلاة " (٣٩)

١٤- أنيس الفقهاء فى تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء

ألفه قاسم بن عبدالله بن خير الدين القونوى الرومى المتوفى سنة ٩٧٨هـ

سلك القونوى فى الكتاب مسلك الفقهاء الأحناف فرتبه على أبواب الفقه كما فعل النسفى فى (طلبة الطلبة) .. وتابع فقهاء مذهبه فى العرض والتمثيل .

والكتاب – كما هو واضح من عنوانه – خاص بالمصطلحات الفقهية وتعريفاتها ، لايفسر ألفاظ كتاب فقهى أو كتب بل يفسر ألفاظ المذهب .

وهو فى أغلب الأحيان يبين معنى المصطلح فى اللغة أولا ثم فى الشرع أو الاصطلاح ثانيا ، وقد يفعل العكس أحيانا . وقد يستشهد على المعانى والاستعمالات بالشعر والقرآن والحديث ، ولكنه كان يوجه عنايته الكبرى إلى تعريف المصطلح ، يبدأ بمصطلح البلب أولا ثم يتناول المصطلحات الأخرى التى تتفرع عنه ، وفى أثناء ذلك قد يعرض لآراء المذهب عرضا مجردا دون ترجيح ، وهو أقرب إلى الجرجانى فى تعريفاته وطريقة عرضه ، وإن اقتصر على المصطلحات الفقهية ، وعمدة القونوى هو النقل عن الأئمة السالفين متقدمين ومتأخرين . (٤٠) وانظر فى منهجه : ما ذكره فى (كتاب الرهن) و (باب الربا) .

المصنفات المرتبة وفقا لحروف المعجم

١ - المغرب

ألفه أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد المطرزى المتوفى سنة ٦١٠هـ وهو فقيه حنفى مشهور ومحدث حافظ وإمام فى اللغة ، وكان يعرف بخليفة الزمخشرى .

وللمطرزى مصنف لغوى كبير هو (المعرب فى اللغة) ألفه أولا ثم اختصره وهذبه ورتبه على حروف المعجم فى كتاب (المغرب) مضيفا إليه فوائد وزوائد .

أما (المغرب) فهو معجم لغوى فقهى ، عنى فيه المطرزى بشرح غريب الألفاظ المتداولة فى كتب الفقه الحنفى على غرار ما فعله الأزهرى فى (الزاهر) من شرح غريب ألفاظ الشافعى . على أن المطرزى خطا خطوة بعد الأزهرى بترتيب تلك الألفاظ على حروف المعجم لا على أبواب الفقه كما فعل الأزهرى ، كما أنه حشا معجمه بغرائب اللغة وأعلام البلدان والرجال مع الاستشهاد بالقرآن والحديث وأقوال أئمة اللغة ، فغدا كتابه أشبه بموسوعة لغوية فقهية موجزة .

وقد أقام المطرزى كتابه على ما جمعه من ألفاظ الفقهاء الأحناف من كتبهم المشهورة المعتمدة مثل : الجامع الصغير للشيبانى ت ١٨٧هـ بشرح الرازى ت ٣٧٠هـ والزيادات للشيبانى بشرح الحلوائى ت ٤٤٨هـ ومختصر الكرخى ت ٣٤٠هـ بتفسير أبى الحسين القدورى ت ٤٢٨هـ والمنتقى للحاكم الشهيد ت ٣٣٤هـ وجمع التفاريق لشيخه محمد البقالى الخوارزمى ت ٥٨٦هـ وغير ذلك من مصنفات فقهاء الأمصار ومؤلفات الأخبار والآثار .(٤١)

وقد رتب المطرزى الألفاظ التى جمعها على حروف المعجم (أ ب ت ث .. الـى ى) مع تجريد اللفظ من زوائده وارجاعه الى الثلاثى ، مع اعتبار الحرف الثانى .

أما ما زاد على الثلاثى من الأصول فلم يراع فيه بعد الحرفيـن الأوليـن إلا الحـرف الأخير فنجد (دخرص) مثلا بين (دخس) و (دخل) (٤٢)

وقد أنهى المطرزى معجمه بذيل ضم فيه كثيرا من ضوابط اللغة والنحـو والصـرف وحروف المعانى ، وما إلى ذلك مما يحتاج إليه اللغوى والفقيه .

وقد كان لهذا المعجم أثر واضح فيمن جاء بعده ، فتابعه الفيومى فى (المصباح المنير)

٢ - تهذيب الأسماء والصفات

ألفه محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ت ٦٧٦هـ ، وهو معجـم لغـوى فقهى أوسع مادة من كتابه (تحرير التنبيه) لأنه فسر فيه الألفاظ الموجودة فى الكتب السـتة المشهورة عند الشافعية فى عصره ، وهى : مختصـر المزنـى ، ومـهذب الشـيرازى ت ٤٧٦هـ ، والتنبيه له أيضا ، والوسيط والوجيز للغزالى ٥٠٥هـ والروضة وهـو كتـاب للنووى اختصره من شرح الوجيز للرافعى ت ٦٢٣هـ .

وفى هذه الكتب يقول : فإن هذه الكتب الستة تجمع ما يحتاج إليه من اللغات ، وأضـم إلى ما فيها جملا مما يحتاج إليه مما ليس فيها ليعم الانتفاع به - إن شاء الله - من اللغـات العربية والعجمية والمعربة والاصطلاحات الشرعية والألفاظ الفقهية " (٤٣)

وقد ضم إلى الكتاب أيضا ما فى الكتب الستة من أسماء الرجـال والنسـاء والملائكـة والجن وغيرهم مما له ذكر فى هذه الكتب ، ومن ثم ففى الكتاب قسم للأسـماء أو الأعـلام وقسم للألفاظ الفقهية أو الشرعية .

وقد رتب الأعلام الواردة فى الكتب الستة على حروف المعجم ، لكنه بدأ بمـن اسـمه محمد - كما فعل البخارى والعلماء بعده لشرف اسم النبى صلى الله عليه وسلم - بدأ بالهمزة فالتاء فالثاء .. الخ

أما الألفاظ واللغات فرتبها أيضا على حروف المعجم أ ب ت ث الى ى مـع مراعـاة الحرف الأول فالثانى وما بعدهما .. مع تجريد اللفظ من زوائده

وقد اعتمد فى ضبط أسماء الأشخاص والمواضع على كتب الأئمة المشهورين المعتمدين مثل كتاب البخارى .. وكتب الطبقات .. وغيرها من الكتب المعنية بالضبط مثل المؤتلف والمختلف للدارقطنى .. وكتب الأنساب .. وغيرها .

أما اللغات فأخذ معظمها من تهذيب اللغة وشرح ألفاظ مختصر المزنى وكلاهما للأزهرى ، ومن المحكم لابن سيده ، والجمهرة لابن دريد .. وغيرها من كتب اللغة .

وفى التعريف الفقهى أو الشرعى لم يكتف بالكتب الستة ، بل رجع إلى كتب أخرى فى الفقه وأصوله وفى الكلام كما فعل مثلا عند تفسيره للألفاظ : العقل ، النبى ، المعجزة ، الكرامة ، السحر ، الرزق .. الخ فكأنه معجم عام للعلوم الإسلامية .

وقد كان – رحمه الله – معنيا بضبط التعريف الفقهى عناية بالغة ، يقول : واضبط فيه – إن شاء الله – من حدود الألفاظ الفقهية ومجامعها ما يصعب تحقيقه إلا على النادر من أهل العنايات"(٤٤) .

٣ – المصباح المنير

ألفه أحمد بن محمد بن على الفيومى المتوفى سنة ٧٧٠هـ

كان الفيومى قد وضع كتابا مطولا فى غريب شرح الوجيز للإمام الرافعى ، لكنه توسع فيه فوعرت مسالكه وخشى أن يمله قصاده ، فاختصره ورتبه على حروف المعجم ، ليسهل تناوله ويقصر تطاوله بنظم منتثره "

والمصباح – على وجازته – من أفضل المعجمات وأحكمها فى ضبط الكلمة وتصريفها، مع عنايته بتدقيق المعانى الشرعية للألفاظ المتداولة بين الفقهاء والتى اختارها من الشرح الكبير .

وانظر للاستيثاق من ذلك ما ذكره عن : الرجعة ، والركن والوصاية والمزارعة والمرابحة والمخابرة .. الخ .

المصادر الخاصة (فى علم الكلام)

عرف البحث فى الأحكام الاعتقادية من الشريعة الإسلامية أو الأصول الدينية الكلية للإسلام باسم (علم الكلام) أو (أصول الدين) أو (الفقه الأكبر)

وكان الإمام أبو حنيفة – فيما نقل عنه – يفرق بين الفقه المختص بفروع الأحكام والفقه المختص بمعرفة الاعتقاديات ، وهو ما أسماه (الفقه الأكبر) (٤٥)

وقد تحدثنا من قبل عن الفرق بين الفقه وأصول الفقه الذى يعنى النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام .

ويقارن الجرجانى بين الفقه والكلام والفلسفة فيقول : الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .. والكلام وهو علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام .. والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهى للفلاسفة "

وقد جمع المصنفون الذين توفقنا إلى الرجوع إلى مصنفاتهم بين مصطلحات الكلام وأصول الفقه بل والفلسفة أحيانا .

١ – الحدود فى الأصول

ألفه ابن فورك الأصفهانى أبو بكر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٠٦هـ فقيه شافعى ومتكلم أشعرى ومحدث .

وكتابه هو أول كتاب فى المصطلح الكلامى لمؤلف سنى .. وإن كان يضم إليه مصطلحات أصول الفقه ، لما بين العلمين فى ذلك العهد من استمداد متبادل وتضافر فى المنهج والمصطلح . وقد أوجز ابن فورك غرضه من تأليفه ومنهجه فيه فقال إنه إجابة لرغبة سائليه ، فقد أملى عليهم حدودا ومواضعات ومعانى عبارات دائرة بين العلماء بأصول الدين وفروعه مما ارتضاه شيوخه وقام الدليل عنده بصحته ، وأنه أوجز القول فيها ليقرب تناولها ويسهل حفظها " (٤٦)

وقد حقق الكتاب ودرسه وترجم لصاحبه الدكتور محمد عبد الحليم ونشر فى Bulletin of School of Orintal And African Studies Vol. LIV. Part 1. 1991 .

ويعكس الكتاب فكر الأشعرية فيما اختلفوا فيه عن المعتزلة انظر مثلا مصطلح (العالم) كما أن تعريفاته تؤكد موقف أهل السنة بعامة انظر مثلا مصطلح (الإيمـــان) ومصطلـــح (التقية).

والكتاب يضم (١٣٣) مصطلحا مشفوعة بتعريفاتها دون ترتيـــب معيـــن ، وأغلـــب المصطلحات من أصول الدين مثل : المحال ، والحلول والتوحيد والإيمان والكفـــر .. الـــخ ومن مصطلحات أصول الفقه التى ذكرها وعرفها : الأمر ، والنهى والإيجـــاب والواجـــب والندب والمندوب إليه والإباحة والمباح ، وأصول الفقه ، والفقه ، والإجماع والقياس والنص وفحوى الخطاب ودليل الخطاب والعموم والخصوص والظاهر والمقيد والمطلق .. الخ

٢ – الحدود فى الأصول

ألفه أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجى الأندلسى المتوفى سنة ٤٧٤هـــ قال عنه القاضى عياض : كان أبو الوليد رحمه الله فقيها نظّارا محققا ، راويـــة محدثـــا .. متكلمـــا أصوليا "

يضم الكتاب ما يقرب من ثمانين مصطلحا فى أصول الفقه والدين ، مقرونة بتعريفاتها، وقد يقرن المعنى اللغوى للمصطلح بالمعنى الاصطلاحى ، وتجئ بعض تعريفاته مختصـــرة وبعضها مفصلة ، وكثيرا ما يذكر الحد عند أحد شيوخه أو أصحابه ثم يناقشه ويرجـــح مـــا يراه صوابا .

وتتوالى المصطلحات وحدودها دون ترتيب لفظى أو موضوعى ، وقد بدأه بمصطلـــح (الحد) على النحو الآتى :

" الحد : اللفظ الجامع المانع ، معنى الحد ما يتميز به المحدود ويشتمل على جميعـــه ، وذلك يقتضى أنه يمنع مشاركته غيره فى الخروج عن الحد ومشاركة غيره له فى تناول الحد له ، وأصل الحد فى كلام العرب المنع ، قال الله تبارك وتعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) ومنه سمى السجان حدادا لمنعه من يسجن من الخروج والتصرف .. الخ " (٤٧)

٣ – المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين

ألفه سيف الدين على بن أبى على بن محمد ، ولد بآمد فى شمال العراق ٥٥١هـ وتوفى سنة ٦٣١هـ. صاحب مؤلفات جليلة غير (المبين) منها : الإحكام فى أصول الأحكام ، ومنتهى السول فى علم الأصول ، وأبكار الأفكار فى علم الكلام .

وكتابه (المبين) هو أول كتاب لمتكلم سنى يضم المصطلحات الكلامية والفلسفية لا المنطقية فقط. (٤٨) فهو يعبر عما يعرف بالكلام الجديد أو كلام المتأخرين الذى يمزج إلى حد كبير بين الكلام والفلسفة ، ويتخذ المنطق الصورى أداة ومنهجا للبحث ويقترب من النزعة الاعتزالية فيما يتعلق بالعلاقة بين الدليلين العقلى والنقلى . (٤٩)

ينبه المؤلف مثلا إلى التفاوت فى الموقف الفكرى ، ومن ثم مدلول المصطلح الواحد ، لدى المتكلمين من ناحية والفلاسفة من ناحية أخرى . فهو يعرف الجوهر ويقول فى مطلعه على أصول الحكماء ... ثم يعرفه على أصول المتكلمين .. (٥٠)

ومن المصطلحات المنطقية التى اهتم بتعريفها المقولات العشر : الجوهر والكم والكيف .. الخ والكليات الخمس : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض .. الخ

ومن المصطلحات الفلسفية التى اهتم بتعريفها العلة وأنواعها : فاعلية ، مادية ، صورية، غائية .. الخ وتتوارد المصطلحات التى بلغت (٢٢٣) دون ترتيب واضح .

٤ – الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة

ألفه زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ فقيه شافعى وأصولى ونحوى

جمع فى كتابه مايقرب من مائتى مصطلح من المصطلحات المتداولة فى أصول الفقه والدين ، ولم يلتزم فى ذكرها ترتيبا معينا ، فهو تتوارد دون نظام شكلى أو موضوعى

وتعريفاته قصيرة تبدأ حينا بالمعنى اللغوى ثم الاصطلاحى ، يقول مثلا الفرض لغة التقدير ، يقال فرض القاضى النفقة أى قدرها واصطلاحا : ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ، ويرادفه الواجب واللازم عندنا ، وربما اكتفى بالتعريف الاصطلاحى ، يقول : الأصل مايبنى عليه غيره ، والفرع : مايبنى على غيره (٥١)

المصادر الخاصة (فى النحو)

الحـــدود النحويـــة

الحد بمعنى التعريف كان متداولا بين المترجمين والعلماء ابتداء من النصف الثانى مـــن القرن الثانى الهجرى ، فقد تحدث عنه ابن المقفع فى ترجمته لأجـــزاء مـــن الأورجـــانون والمنشورة بعنوان (منطق ابن المقفع) بالمفهوم الأرسطى .

ويذكر المؤرخون أن الفراء ، يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧هـــ والذى قيل عنه إنـــه يتفلسف فى تأليفاته وتصنيفاته حتى يسلك فى ألفاظه كلام الفلاسفة (٥٢) صنـــف كتابـــا فـــى حدود النحو بأمر من المأمون ، وأنه ذكر فيه ستا وأربعين حدا فى الإعراب (٥٣) وقد ذكرها النديم فى فهرسته وهذه هى : حد الإعراب فى أصول العربية ، حد النصـــب المتولـــد مـــن الفعل، حد المعرفة والنكرة ، حد من ورب ، حد العدد ، حد منذ ومذ وهل ، حد العماد ، حد الفعل الواقع ، حد إن وأخواتها ، حد كى وكيلا ، حد حتى ، حد الإغراء ، حد الدعاء ، حـــد النونين الشديدة والخفيفة ، حد الاستفهام ، حد الجزاء ، حد الجواب ، حد الذى ومن ومـــا ، حد رب وكم ، حد القسم ، حد التبرئة والتمنى ، حد النداء ، حد الندبة، حد الترخيم ، حـــد أن المفتوحة ، حد إذ وإذا وإذا ، حد ما لم يتم فاعله ، حد لو تركت ورأيك ، حد الحكاية ، حـــد التصغير ، حد النسبة ، حد الهجاء ، حد راجع الذكر ، حد الفعل الربـــاعى ، حـــد الفعـــل الثلاثى، حد المعرب من مكانين ، حد الإدغام ، حد الهمز ، حد الأبنية ، حد الجمـــع ، حـــد المقصور والممدود ، حد المذكر والمؤنث ، حد فعل وأفعل ، حـــد النـــهى ، حـــد الابتـــداء والقطع، حد مايجرى وما لايجرى . (٥٤)

ومن الواضح أن هذه الحدود لا تخص الإعراب وحده ، بل تتناول موضوعات النحـــو بالمعنى الشامل أى بما يشمل الصرف والأصوات ، وأن بعضها ربما كان أشبه بـــالقواعد أو الضوابط منها بالتعريفات ، وأنها كانت حدودا مختصرة مما يلائم الناشئة ، وقد قـــال عنـــها ثعلب : وابتدأت بالنظر فى حدود الفراء وسنى ثمانى عشرة سنة . (٥٥)

ويذكر المؤرخون أيضا أن لثعلب أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١هـــ كتابا هـــو حـــد النحو ، وله كتاب آخر هو (المصون فى النحو) جعله حدودا كما يقول النديم . (٥٦)

هذا ولم نعلم عن كتاب الفراء وثعلب غير ما ذكرنا ، ومما نعلمه من مصنفات الحدود النحوية :

١ – الحدود فى النحو

ألفه على بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤هـ وهو نحوى مشهور ، له شرح على كتاب سيبويه ، وكتب أخرى فى النحو والكلام ، وشهر بأنه كان يمزج كلامه فى النحو بالمنطق ، ويذكر المؤرخون أنه صنف كتاب الحدود الأكبر وكتاب الحدود الأصغر (٥٧)

وهو يضم اثنين وتسعين حدا تقع تحت ما أسماه الأسماء التى يحتاج إليها فى النحو ، وكثير منها غير شائع بين النحاة ، وهى أقرب إلى مصطلحات المنطق منها إلى النحو . مثل: القياس والبرهان والبيان والحكم والعلة والدلالة .. والمادة والصورة والمناسبة والخاصة .. الخ ويذكر بعدها بعض الضوابط النحوية ، مثل قوله : الاستثناء الذى يصلح فيه تفريغ العامل هو الاستثناء من منفى كقولك : ما فى الدار إلا زيد ، وما سار إلا عمرو (٥٨).

٢ – الحدود فى علم النحو

ألفه تاج الدين أبو القاسم أحمد بن هبة الله الجبرانى المتوفى سنة ٦٦٨هـ قال فى خطبته إنه حرر فيه جملة من الحدود التى يحتاج إليها فى علم النحو على مذهب النحويين ، وأنه اختصره ليقرب تناوله على الحافظين .

وفى محتواه يقول محققه (جيرار تروبو) : يحدد المصنف فى هذا الكتيب تسعين مصطلحا نحويا تتعلق بجميع أجزاء النحو والتصريف ، .. ويلاحظ أن الجبرانى يورد المصطلحات بدون ترتيب ظاهر، وأنه يحد مرارا بعدة تحديدات لمصطلح واحد ، فإنه يحد بتحديد واحد لثمانية وأربعين مصطلحا ، وبتحديدين لستة وعشرين مصطلحا وبثلاثة تحديدات لستة عشر مصطلحا " (٥٩)

ومن أمثلة حدوده : حد الاسم : كل كلمة دلت على معنى فى نفسها غير مقرون بزمان محصل . وقيل ما استحق الإعراب بأول الوضع ، وقيل كل كلمة تدل على مجرد ذات المسمى دلالة تصريح .. وحد الفعل : ما دل على حدث وزمان محصل وقيل ما اسند إلى .. ولم يسند إليه شئ ... وحد الحرف : ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وقيل ما أبان عن

معنى فى غيره ، ولم يكن أحد جزأى الجملة ، وقيل : ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وقيل ما أبان عن معنى فى غيره ، ولم يكن أحد جزأى الجملة ، وقيل : ما جاء لمعنى فى غيره .. (٦٠)

٣ – شرح الحدود النحوية

ألفه جمال الدين عبدالله بن أحمد الفاكهى المتوفى سنة ٩٧٢هـ ، وله كتاب (الحدود النحوية) وهو متن هذا الكتاب اقتصر فيه المؤلف على ذكر حدود المصطلحات النحوية فحسب دون شرح أو شواهد أو أمثلة ، وفى خطبة الشرح يقول الفاكهى : فقد كنت ألفت حدودا فى النحو جمعتها من كتبه ، ثم سنح لى أن أضع لها شرحا ممتزجا بكلماتها يناسبها فى الاختصار والإتقان كافلا بحل مبانيها وتوضيح معانيها فوضعت هذه العجالة ملتقطا من نثارهم " (٦١)

والفاكهى – كبعض الشراح المتأخرين لمتون العلوم – يبدأ كتابه بتفسير البسملة ثم بتفسير خطبة المتن وما فيهما من ألفاظ وحدود فقهية وأصولية انظر مثلا ما ذكره عن حد الرسول وحد النبى وحد جوامع الكلم وحد الصلاة .. الخ (٦٢) ثم ينتقل الى حدود النحو وما ينضم إليه مما هو تابع له وهو من غيره كالمصغر والوقف والإمالة ، ويبين ابتداء المقصود بالحد عند النحاة والفقهاء والأصوليين بأنه مايميز الشئ عما عداه ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان جامعا مانعا ، ثم يحترز ويقول : وخرج بعرف النحاة وما بعده عرف المنطقيين فإن المعرف بالمعنى المذكور أعم من الحد لشموله له ولغيره ، ثم يستطرد فيبين أنواع الحد التام والناقص ، والرسم التام والناقص . (٦٣) وبعد هذه المقدمة المنطقية يبدأ فى شرح الحدود النحوية بادئا بحد النحو ، فيبين تعريفة لغة ثم اصطلاحا ، والنحو – كما عرفه – علم بأصول تعرف بها أحوال الكلام إعرابا وبناء ، ثم يشرح كل كلمة وردت فى التعريف ويبين اختلاف النحاة فى تفسيرها ، ثم بحد الكلام والجملة .. ثم يفصل فى حد الجملة ويبين أقسامها من حيث التسمية : اسمية وفعلية وظرفية .. ومن حيث الوصفية : صغرى وكبرى .. الخ (٦٤)

ويبدو من شرح الفاكهى للحدود عنايته بالتدقيق فى بيان الحد وما يحترز به عليه ، وبتفسير الكلمات الواردة فيه بل وإعرابها أحيانا والاستشهاد عليها وبيان اختلاف النحاة فى الحد .

والنزعة المنطقية واضحة فى تقسيماته وهو يستخدم مصطلحات المناطقه وينحو نحوهم الجدلى ، ولا غرابة فى هذا فالكتاب جماع ما انتهى اليه نحو المتأخرين من شراح الألفية وغيرها من متون النحو المشهورة وشروحها .

المصادر الخاصة (فى التصوف)

تتضمن الكتب الآتية فصولا عن الاصطلاح الصوفى ، ماعدا الكتاب السادس والتاسع والعاشر والحادى عشر فهى مفردة للاصطلاحات ، والكتاب التاسع والحادى عشر معجمان الأول منهما على حروف (أبجد) والثانى على حروف المعجم (ألف باء) .

١ – اللمع

ألفه أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى المتوفى سنة ٣٧٨هـ وهو أكبر مؤلفى الصوفية وأستاذهم جميعا ، اقتفى أثره الهجويرى فى (كشف المحجوب) وتتلمذ عليه أبو عبد الرحمن السلمى صاحب (طبقات الصوفية) .

وفى هذا الكتاب يقول الدكتور عبد الحليم محمود : هو الكتاب الأم فى تاريخ التصوف الإسلامى ... فهو أقدم مرجع صوفى إسلامى ، كما أنه أكبرها وأغزرها مادة وأنقاها جوهرا ولفظا ، ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده جرت الأقلام التى قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله " (٦٥)

وفى موضوع هذا الكتاب يقول فى مقدمته : .. جمعت فيه أبوابا على معنى ما ذهب إليه أهل التصوف ، وتكلم مشايخهم المتقدمون فى معانى علومهم ، وعمدة أصولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة والألفاظ المشكلة الصحيحة على أصولهم وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم " (٦٦)

وقد نثر هذه الموضوعات فى ثلاثة عشر كتابا ، اختص الباب الثانى عشر لشرح الألفاظ المشكلة الجارية فى كلام الصوفية .

وقد كان الطوسى واعيا بالعلاقات التى تنعقد بين المصطلحات الصوفية والتى قد تكون التضاد ، كالذى بين (الحقوق) و (الحظوظ) ، فالحق هو الله عز وجل (وأن الله هو

الحق المبين) والحقوق معناه الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات والعبادات .. ومعنى الحظوظ حظوظ النفس ، والبشرية لا تجتمع مع الحقوق لأنهما ضدان لايجتمعان(٦٧).

وقد تكون الترادف كما بين (المكاشفة) و (المشاهدة) ، تتقاربان فى المعنى إلا أن الكشف أتم فى المعنى ... وكذلك (الصحو) و (السكر) معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور .. (٦٨)

وقد يكون بينهما فرق ، يقول : والفرق بين (السكر) و (الغشية) ، أن السكر ليس نشأته من الطبع ، لا يتغير عند وروده الطبع والحواس ، والغشية نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس ... والغشية لا تدوم والسكر يدوم ، ويقول : والفرق بين الحضور والصحو أن الصحو حادث والحضور على الدوام .. " (٦٩)

وقد يكون الفرق مرحليا بمعنى أن الحالة الأولى أسبق من الثانية كما فى (البادى) وهو الذى يبدو على القلب فى الحين من حيث هو حال العبد ... و (الوارد) : وهو مايرد على القلوب بعد البادى فيستغرقها ، والوارد له فعل وليس للبادى فعل ؛ لأن البوادى بدايات الواردات.. (٧٠)

وقد يكون المصطلح معبرا عن حال يختلف باختلاف الأشخاص ، (فالقادح) قريب من (الخاطر) إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة والقادح لأهل الغفلة .. (٧١)

وقد يكون الفرق من حيث المرتبة التى يحتلها أهل الطريق . (الخصوص) أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات و (خصوص الخصوص) هم أهل التفريد وتجريد التوحيد ، ومن عبر الأحوال والمقامات وسلكها وقطع مفاوزها ، قال الله تعالى (ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالمقتصد خصوص والسابق خصوص الخصوص .. (٧٢)

هذا وعناصر الاتفاق والافتراق بين المصطلحات الثنائية والثلاثية إنما ترجع إلى المدى الذى وصل إليه الصوفى فى تجربته ، يقول الطوسى : و (التجريد) و (التفريد) و (التوحيد) ألفاظ مختلفة لمعان متفقة ، وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم..(٧٣)

والطوسى مدرك تماما لذاتية التجربة وخصوصية العبارة عنها " فكل واحد منهم ينطق بحقيقة ما وجد ويصدق عن حاله ، ويصف ما ورد على سره بنطقه ومقاله " ومن ثم فليس لأحد أن يقيس بفهمه ورأيه مايسمع من ألفاظهم وما يشكل على فهمه من كلامهم " ثم يبين السر فى ذلك : " لأنهم فى أوقاتهم متفاوتون وفى أحوالهم متفاضلون ومتشاكلون ومتجانسون بعضهم لبعض ، ولهم أشكال ونظراء معروفون، فمن بان شرفه وفضله على أشكاله بفضل علمه وسعة معرفته فله أن يتكلم فى عللهم وإصابتهم ونقصانهم وزيادتهم ، ومن لم يسلك سبلهم ولم ينح نحوهم ، ولا يقصد مقاصدهم فالسلامة له فى رفع الإنكار عنهم وأن يكل أمورهم إلى الله " (٧٤)

ولم يكتف الطوسى بتفسير مصطلحاتهم المفردة بل اهتم كذلك بعباراتهم السائرة انظر تفسير أقوالهم: الحق بالحق للحق ، أنا بلا أنا ، هو بلا هو ، وأنت أنت . الخ يقول عن (بحرى بلا شاطئ) .. وهذه لفظة قد حكيت عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه قال يوما فى مجلسه فى عقيب كلام جرى له – أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتى ليس له طرفان ، وبحرى بلا شاطئ ، يعنى بذلك أن الحال الذى خصنى الله تعالى به من التعظيم لله وخالص الذكر له والانقطاع إليه لا نهاية لها ولا انقطاع ، والشئ إذا لم تكن له نهاية ولا غاية فلا يعبر عنه بأكثر من ذلك ، قال الله عز وجل (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) لم يجعل لها غاية لأن الموصوف بها ليس له نهاية.."(٧٥)

٢ – التعرف لمذهب أهل التصوف

ألفه تاج الدين محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠هـ رسم فيه كما يقول : وصف طريقة الصوفية وبيان نحلتهم وسيرتهم ... " وقد صنفه : ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركه من لم يدرك عباراتهم ، وينتفى عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقته مفتقرا إلى الله تعالى فى بلوغ تحقيقه " (٧٦)

وعلى الرغم من أنه كتاب مختصر فقد اعتنى به المشايخ وقالوا فيه : لولا التعرف لما عرف التصوف" واجتمع على شرحه جماعة من كبارهم (٧٧)

صنف الكلاباذى معارف الصوفية وسيرتهم فى أبواب بلغت خمسة وسبعين بابا ، منها أربعة وثلاثون بابا فى التعريف بالصوفية وبعلومهم ورجالهم وفى تفسير أقوالهم فى التوحيد

والصفات وفى القدر والجبر والأصلح والوعد والوعيد ... وغير ذلك من مسائل العقيدة أو موضوعات الكلام ، ومنها خمسة وعشرون بابا فى الكشف عن مقامات الصوفية .. دون ترتيب معين ، تجئ هكذا : قولهم فى التوبة ، قولهم فى الزهد، قولهم فى الصبر قولهم فى الفقر ، قولهم فى التواضع .. الخ أما بقية الأبواب فموضوعاتها متفرقة لا يكاد يجمعها جامع.

هذا وعنوان كل باب من الأبواب الخمسة والعشرين هو اصطلاح من اصطلاحاتهم يذكر فى ترجمته أقوال المتصوفة فى العبارة عنه ، وفى أغلب الأحوال يفسر ما أشكل من تلك الأقوال ، وهو حريص على الاستمداد من القرآن والسنة وعلى الاحتجاج بهما على مايعنيه الصوفية بأقوالهم .

يقول فى باب الفقر : قال أبو محمد الجريرى : الفقر ألا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود ، ومعناه : ألا تطلب الأرزاق إلا عند خوف العجز عن القيام بالغرض ، قال ابن الجلاء : الفقر ألا يكون لك ، فإذا كان لك لايكون لك ، على معنى قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)..(٧٨)

ويقول فى باب الذكر : حقيقة الذكر : أن تنسى ما سوى المذكور فى الذكر ، لقوله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) ، يعنى إذا نسيت ما دون الله فقد ذكرت الله . وقال النبى صلى الله عليه وسلم (سبق المفردون) ، قيل ومن هم المفردون يا رسول الله ؟ قال (الذاكرون كثيرا والذاكرات) والمفرد الذى ليس معه غيره .(٧٩)

وفى نهاية الباب الحادى والخمسين (قولهم فى المحبة) يستشعر كأنه مقدم على أبواب يعسر فهم مابها ، ويشكل على قارئها اصطلاحاتها فيقول : إن للقوم عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم ، نخبر ببعض ما يحضر ، ونكشف معانيها بقول وجيز ، وإنما نقصد فى ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة ، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلا عن الكشف ، وأما كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهى لأربابها مشهورة " (٨٠) ثم يأخذ فى كشف معانى عباراتهم واصطلاحاتهم فى أبواب هكذا : قولهم فى التجريد والتفريد ، قولهم فى الوجد ، قولهم فى الغلبة ، قولهم فى السكر ، قولهم فى الغيبة والشهود ، قولهم فى الجمع والتفرقة ، قولهم فى التجلى والاستتار ، قولهم فى الفناء والبقاء.

وفى بعض الأبواب السابقة مقابلة بين اصطلاحين من اصطلاحاتهم يفسر كل واحد منهما الآخر ، يقول مثلا فى (الفناء والبقاء) الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له فى شئ من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء كلها شغلا بما فنى به ، كما قال عامر بن عبد الله : ما أبالى : امرأة رأيت أم حائطا .. والبقاء الذى يعقبه أن يفنى له عما له ويبقى بما لله . (٨١)

٣ – الرسالة

ألفها أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٤٦٥هـ قيل عنه إنه أشعرى فى العقيدة شافعى فى الفقه ، غلب عليه التصوف .

وجه القشيرى رسالته إلى الذين عادوا التصوف دون معرفتهم بأصوله .. وإلى أهل التصوف يبين لهم حقيقة الطريق وما دخل عليه من انحراف وأباطيل . فهى إذن دفاع عن التصوف ودعوة إلى سلوك طريقتهم ، يقول : وجهت هذه الرسالة إليكم .. وذكرت فيها سير شيوخ هذه الطريقة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم ، وما أشاروا إليه من مواجيدهم وكيفية ترقيهم من بداياتهم إلى نهاياتهم ، لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة ، ومنكم لى بتصحيحها شهادة ، ولى فى نشر هذه الشكوى سلوة ، ومن الله الكريم فضلا ومثوبة".(٨٢)

وتتألف الرسالة من أقسام خمسة :

القسم الأول : منها مقدمة يشرح فيها الباعث على تأليفها والغاية التى قصد إليها من تأليفها . ثم يورد بيانا بأصول العقائد الإيمانية التى دان بها أوائل الصوفية وبنوا قواعد أمرهم فى الطريق عليها ، ويخص بالذكر قاعدة (التوحيد) التى هى أصل العقائد كلها ، ويورد القشيرى فى هذا الباب طائفة من التعريفات التى وضعها كبار الصوفية للتوحيد ومعرفة الله موجها لها وجهة سنية أشعرية ، ورابطا معانى التوحيد الكلامية ومغازيها الصوفية ، وما ذكره فى هذا الخصوص – كما قال الدكتور أبو العلا عفيفى . من أثمن ما أودعه فى رسالته " (٨٣)

القسم الثانى : يترجم فيه لطائفة من الصوفية مبتدئا بإبراهيم بن أدهم (ت ١٦١هـ) ومنتهيا بأحمد بن عطاء الروذبادى (ت ٣٦٩هـ) هذا ولم يترجم القشيرى لأحد من معاصريه .

القسم الثالث : وهو لتفسير ألفاظ تدور بين الصوفية وبيان ما يشكل منها ، وقد ذكر القشيرى فى هذا الجزء معظم المصطلحات الصوفية الدالة على المقامات والأحوال .. وأورد التعريفات المختلفة التى وضعت الى عهده لهذه المصطلحات ، متوخيا اختيار ما يطابق منها المفاهيم الدينية وملتمسا لكل منها سندا من نصوص القرآن والسنة .

وطريقته فى معالجة (الأحوال) أنه يوردها مثنى مثنى ، الحال وما يقابلها : القبض والبسط ، الجمع والفرق ، الغيبة والحضور .. ثم يشرح كل زوج منها شرحا صوفيا على نحو ما فعله الطوسى فى (اللمع)

وفى شرحه وتفسيره وتحليله لاصطلاحات القوم ثروة علمية وسيكلوجية وصوفية لاتقدر، ومنها – كما يقول الدكتور أبو العلا : يخرج القارئ بصورة واضحة عن حقيقة الحياة الصوفية فى الإسلام " (٨٤)

القسم الرابع : فى أدب الطريق وما يعرض للسالك من عقبات فى سفره إلى الله ، وهو مزيج من مسائل التصوف العملية والنظرية التى لاتظهر بينها روابط محددة .

القسم الخامس : خاتمة بها وصية للمريدين ، وفيها يذكر القشيرى ما يجب أن يكون عليه المريد فى موقفه من شيخه ومن أقرانه ومن الدنيا وأهلها بوجه عام .

هذا وعلى الرسالة شروح كثيرة من أهمها شرح الشيخ زكريا الأنصارى المتوفى سنة ٩١٦هـ

والقشيرى كالطوسى واع بخصائص اللغة الصوفية وذاتية التجربة التى ترمز إليها ، وواع بمصادرها وبأغراضها يقول :

اعلم أن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها ، وقد انفردوا بها عمن سواهم ، كما تواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها ، من تقريب الفهم على المتخاطبين بها ، أو للوقوف على معانيها بإطلاقها ، وهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم ، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب ، غيرة

منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع من التكلف ، أو مجلوبة بضرب من التصرف ، بل هى معان أودعها الله تعالى فى قلوب قوم ، واستخلص لحقائقها أسرار قوم ؛ ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طريقتهم ، ومتبعى سننهم . (٨٥)

٤ – كشف المحجوب

ألفه على بن عثمان بن على الهجويرى المتوفى سنة ٤٦٥هـ المنسوب إلى (هجوير) وهى قرية من قرى (غزنة) .

وكشف المحجوب كما تقول مترجمته الدكتورة إسعاد عبد الهادى : يعتبر أقدم مؤلف فى التصوف باللغة الفارسية ، وأول كتاب منظم فى الأصول النظرية والعملية للتصوف " وقد سبق أن ترجمه نيكلسون .

وهذا الكتاب – عند الدكتور أبو العلا أشبه كتب التصوف برسالة القشيرى ، وعند الدكتور إسعاد أشبه بلمع الطوسى " ولا تعارض فقد استمد الهجويرى من المصدرين . وقد اعتمد المؤلفون الفرس على كتاب الهجويرى اعتمادا كبيرا وهذا واضح فى (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار و (نفحة الأنس) لنور الدين الجشتى . (٨٦)

وعن منهج الكشف تقول الدكتورة إسعاد : يجمع بين الأصول الصوفية وتراجم الشيوخ .. وأبرز ما فيه كما يقول نيكلسون : الباب الرابع عشر من القسم الأول الذى يتعلق بالمذاهب التى تتبعها مختلف المذاهب والفرق الصوفية والتى عدها المؤلف باثنتى عشرة مدرسة صوفية ، وبقدر علمى فهو أول كاتب فعل ذلك . (٨٧)

وقد خصص الهجويرى الباب العاشر من القسم الثانى لبيان منطقهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم.

وبعد مقدمة موجزة بين فيها اختصاص أهل كل صناعة بألفاظ وعبارات يتداولونها بينهم كالنحاة والفقهاء والمتكلمين يذكر أن أهل الطريق لهم أيضا ألفاظ موضوعة ليتصرفوا بها فى طريقتهم ، يظهرونها لمن يريدون ويخفونها عمن يريدون ، ثم يأخذ فى بيانها وفى التفريق بينها ويضعها فى أنواع كالآتى :

١ – ألفاظ تعبر عن أحوال القوم ، وتجئ فى الغالب مثنى مثنى مثـــل : الحـــال والوقـــت ، والمقام والتمكن، والمحاضرة والمكاشفة .. وقد تجئ ثلاث مثل : علم اليقين وعين اليقيـــن وحق اليقين . يقول فى الشريعة والحقيقة والفرق بينهما : هاتان عبارتان لـــهؤلاء القـــوم يعبرون بإحداها عن صحة حال الظاهر وبالثانية عن إقامة حال الباطن .. فإقامة الشريعة دون وجود الحقيقة محال ، وإقامة الحقيقة دون حفظ الشريعة محال .. "

٢ – عبارات تقبل الاستعارة فى كلامهم مثل : الحق ، مرادهم من الحق (الله) لأن هذا اسم من أسماء الله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق) .. والحقيقة : مرادها : إقامة العبد فى محل وصل الله ووقوف سره على محل التنزية .. الخ (٨٩)

٣ – عبارات تستعمل فى توحيد الله وفى بيان اعتقادهم فى الحقائق بدون استعارة :

مثل : المحدث : المتأخر فى الوجود أى الذى لم يكن وكان بعد ذلك .

القديـــم : السابق فى الوجود ، وهو دائم ، وكان وجـــوده ســـابقا علـــى كـــل الموجودات ، وهذا لا يكون إلا الله تعالى . (٩٠)

٤ – عبارات متداولة بين الصوفية لا يراد بها ما هو معلوم لأهل اللسان من ظاهر اللفـــظ مثل : الخاطر ، والاختيار والامتحان والبلاء والتحلى والتجلى .. الخ

يقول عن التحلى : هو الانتساب إلى قوم محمودين فى القول والعمل ، قوله عليه السلام (ليس الإيمان بالتحلى والتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل) .. . والتجلى هـــو تأثير أنوار الحق بحكم الإقبال على قلوب المقبلين الجديرين بأن يروا الحـــق بقلوبـــهم .. الخ...(٩١)

٥ – منازل السائرين إلى رب العالمين

ألفه أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن على الأنصارى الهروى المتوفى سنة ٤٨١هـــ

وهذا الكتاب هو السجل الوافى المتكامل لمذهبه الصوفى السلفى .. وهو فـــى الوقـــت نفسه سجل للصيغ والمصطلحات النهائية لتعاليمه الصوفية (٩٢)

وقد بين الهروى فى مستهل كتابه أن الطريق إلى الحق يمر بمنازل رتبها بمـــا يشـــير إلى علاقة كل منزلة بالمنزلة التى تسبقها وبما يتفرع عليها .

والكتاب – بالاعتبار السابق – يتألف من عشرة أقسام يشتمل كل قسم منها على عشر مقامات يتدرج كل منها صاعدا فى مراتب ثلاث : مرتبة العامة ثم مرتبة السالك ثم مرتبة المحقق ، يقول عن التوبه مثلا : توبة العامة لاستكثار الطاعة .. وتوبة الأوساط من استقلال المعصية .. وتوبة الخاصة من تضييع الوقت .. الخ (٩٣)

والأقسام أو الأصول العشرة هى : ١ – البدايات ٢ – الأبواب ٣ – المعاملات ٤ – الأخلاق ٥ – الأصول ٦ – الأودية ٧ – الأحوال ٨ – الولايات ٩ – الحقائق ١٠– النهايات .

أما هى مع مقاماتها فكالآتى :

أولا : البدايات ومقاماتها فهى : اليقظة والتوبة والمحاسبة والإنابة والتفكر والتذكر والاعتصام والفرار والرياضة والسماع .

ثانيا : الأبواب وطرائقها . بعد أن يستوفى المريد البدايات ويبدأ فى سلوك الطريق لن يتمكن من مبتغاه إلا بعد عبور هذه الأبواب : الحزن والخوف والإشفاق والخشوع والإخبات والزهد والورع والتبتل والرجاء والرغبة .

ثالثا : المعاملات وهى الخطط التى يسلكها المريد فى أعماله وتصرفاته عبر الطريق وهى : الرعاية والمراقبة والحرمة والإخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم .

رابعا : الأخلاق ، ومؤداها أن سلوك المتصوف مع ربه ينتهى به إلى اكتساب الأخلاق الفاضلة ، ومقاماتها : الصبر والرضا والشكر والحياء والصدق والإيثار والخلق والتواضع ، والفتوة والانبساط.

خامسا : الأصول . ومجملها أن اكتساب الأخلاق الفاضلة يمنح الصوفى الرغبة فى الاتصال بربه ، وعليه لأجل ذلك أن يختار أحد تلك المبادئ العشرة : القصد والعزم والإرادة والأدب واليقين والأنس والذكر والفقر والغنى والمراد .

سادسا : الأودية وهى المتاهات أو العقبات التى تعترض السالك حيث ينجو فيسلكها إن صدق طريقه .. وأهمها السكينة ، وهى : الإحسان والعلم والحكمة والبصيرة والفراسة والتعظيم والإلهام والسكينة والطمأنينة والهمة .

سابعا : الأحوال ، إذا اجتاز السالك أودية منازل السائرين تابع سيره فى ثقة ، وحينـــذاك تتجاذبه الأحوال فيضطرب ويتقلب بين مقامات : المحبة والغيرة والشـــوق والقلـــق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق .

ثامنا : الولايات وإذا كانت الأحوال تحول الصوفى عن نفسه وتذهله عنها فـــإن الولايـــات تهيئه لأن يفيض الله عليه ولايته فيشعر بالغربة عن كل ما يحيط به ، وأهم دعائمـــها السر ، وهى اللحظ والوقت والصفاء والسرور والسر والنفـــس والغربـــة والغـــرق والغيبة والتمكن .

تاسعا : الحقائق ، عندما ينسى الصوفى نفسه ولا ينشغل إلا بربه تتكشف أمامه الحقـــائق فيعاينها ، ومقاماتها : المكاشفة والمشاهدة والمعاينـــة والحيـــاة والقبـــض والبســـط والصحو والاتصال والانفصال.

عاشرا : النهايات وعندها ينتهى الطريق وقمتها التوحيد ، ومقاماتـــها : المعرفـــة والفنـــاء والبقاء والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد . (٩٤)

وعند كل مقام من هذه المقامات المائة يفسر الهروى المقصود بالمصطلح الذى يرمـــز إلى المقام ويستشهد عليه بالقرآن والحديث . ووفقا للمراتـــب الثلاثـــة : العامـــة والســـالك والمحقق . كالمثال الذى ذكرناه قبلا وهكذا يوفر لنا الهروى مائة مصطلح صوفـــى عـــن منازل الطريق ومسالكه إلى الله ، وقد انتشرت هذه المصطلحات وتعريفاتها عند من جـــاء بعده من المتصوفة كابن عربى وجمعها القاشانى وأفرغها فى المصنفات التـــى ألفـــها فـــى الاصطلاحات الصوفية .

٦ – الإملاء فى إشكالات الإحياء

ألفه حجة الإسلام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة٥٠٥هـــ يجيب فيه عن بعض ما أشكل على الجهال فى كتابه (إحياء علوم الدين) حتى طعن عليه بعضهم ونـــهوا النـــاس عـــن قراءته وأفتى بعضهم بزيغ صاحبه عن الشريعة .

والكتاب من مقدمة وقاعدة ووصية ، والمقدمة هى صلب هذا الكتاب وبغيتنا فى البحث وعنها يقول : الغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تغمض معانيها على أهـل القصور فنذكر منها ما يغمض ونذكر المقصود بها عندهم " (٩٥)

ومن تلك العبارات : السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع والذهاب والنفس والسر والوصل والفصل .. وغير ذلك مما اختاره من اصطلاحاتهم . وهو يفسر المقصود باختصار ودون استشهاد . هكذا غالبا

الوصل : إدراك الفائت والفصل فوت ماترجوه من محبوبك .

والتحلى : التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال وإظهار الأعمال .

والتخلى : اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق .

والتجلى : هو ماينشكف للقلوب من أنوار الغيوب " (٩٦)

٧ – عوارف المعارف

ألفه أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردى المتوفى سنة ٥٦٣هـ

يقول السهروردى عن أبواب كتابه وهى نيف وستون بابا : تحررت هذه الأبواب– بعون الله تعالى – مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ، ودقيق إشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم (٩٧)"

ويقول عن علوم الصوفية : وعلومهم كلها إنباء عن وجدان ، واعتزاء إلى عرفان ، وذوق تحقق بصدق الحال ، ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال ، لأنها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصمت بكنهها على الإشارة وطفحت على العبارة " (٩٨)

ويضم الكتاب ثلاثة أبواب شرح فيها اصطلاحات الصوفية بالتفصيل على النحو الذى صنعه الطوسى والقشيرى ، الباب الستون فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات .. والباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها والباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال فى اصطلاح الصوفية .

٨ – الفتوحات المكية

موسوعة تمثل مذهب ابن عربى الفلسفى وتجربته الروحية ، بل موسوعة الفكر الصوفى منذ بدأ حتى انتهى إلى ابن عربى ، وقد تحدثنا عنها بما يحقق الهدف .

وفى هذه الموسوعة معجم صوفى صنعه ابن عربى على نحو فريد ، وفيها عرض موجز لمفهوم الاصطلاح وغرضه عند الصوفية .

يتحدث ابن عربى فى الباب الرابع والخمسين عن معرفة الإشارات ، ويبين أن أهل الله أو الطريق أهل إشارة لا علماء رسوم ، وأن الله قد اختصهم بمعرفته ومعرفة كتابه وخطابه ، وأنهم ما اصطلحوا على ما جاءوا به فى شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ إلا بتعليم إلهى جهله علماء الرسوم. " ولما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة استعملوها فيما بينهم ، ولكنهم بينوا معناها ومحلها ووقتها فلا يستعملونها إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم أو لأمر يقوم فى نفوسهم ، واصطلح أهل الله على ألفاظ لايعرفها سواهم إلا منهم وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم ، كما سلكت العرب فى كلامها من التشبيهات والاستعارات ، ليفهم بعضهم عن بعض ، فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح ، وإذا حضر معهم من ليس معهم تكلموا بينهم بالألفاظ التى اصطلحوا عليها " (٩٩)

والاصطلاح عندهم مختلف عن الاصطلاح عند علماء النحو والفقه والهندسة .. وغيرهم من علماء الرسوم من حيث إن المريد الصادق الذى لم يسبق له معرفة بما اصطلح عليه أهل الله إذا قعد معهم وتكلموا بمصطلحهم فهم جميع مايتكلمون به كأنه الواضع لهذا الاصطلاح ولا يدرى كيف حصل هذا ! أما الدخيل على الطائفة فلا يفهم المراد إلا إذا أوقفه أحدهم عليه . وهذا – كما يقول : معنى الإشارة عند القوم " (١٠٠)

أما المعجم فيضم مائة وثمانين مصطلحا ، أفردها برسالة ذكر فى مقدمتها أنه صنفها إجابة لمن سأله أن يضع رسالة فى اصطلاحات الصوفية تشرح لغير السالكين طريقهم ما يجرى بينهم من ألفاظ ، والرسالة مستخرجة من الفتوحات وموجزة ، وعلى غير ترتيبها فيها ، وقد نشرت غير مرة فى ذيل كتاب (التعريفات) للجرجانى .

وقد ذكر ابن عربى المصطلحات تحت عنوان طريف هو (مساق المسلسل فى لغة العرب : شرح ألفاظ اصطلاح القوم) وقد اهتدينا إلى ما يعنيه بالمسلسل وكيف استعمله ليكشف عن طبيعة العلاقات التى يراها بين المصطلحات .

فالمسلسل أو المداخل أو المشجر كما يقول محقق كتاب (شجر الدر) لأبى الطيب اللغوى: كان التدبير فى تصنيفها أن يبدأ الواحد أبوابها بكلمة أولى تكون مفتاحا ، ثم يفسر

معناها بكلمة ثانية ثم يفسر معنى الثانية بثالثة ثم يفسر الثالثة برابعة وهلم جرا إلى أن يغلق الباب بكلمة آخرة تكون خاتمة له ، ثم يستأنف الأمر فى الباب الذى يليه على ذلك النمط إلى آخر الأبواب فى الكتاب ..

ومن أمثلة ذلك : الأدب الرجع ، والرجع المطر ، والمطر : الغيث ، والغيث الكلأ ، والكلأ العشب ، والعشب العقار ، والعقار الدواء ، والدواء ما يكون به الشفاء ، والشفاء البرء من العلة ، والعلة السبب والسبب الحبل ، والحبل الرباط . ويسير الأمر على هذا الشاكلة ، وعلى تسلسل الكلم سيرا مع المعانى التى تتأتى فيها عن طريق الاشتراك أو الترادف أو التضاد .(١٠١)

غير أن ابن عربى جعل المصطلحات جميعا بابا واحدا ، بدأه بكلمة التصوف التى تعقبها وتتعلق بها كلمة اليقظة ، التى تعقبها وتتعلق بها كلمة الانتباه التى تعقبها كلمة العبودة ثم كلمة مقام السوا ثم كلمة الفهوانية ثم كلمة الهو ثم اللسن فكلمة الحضرة فكلمة الرؤية ، فالنعت فالصفة فالحد فالعيد فالقدم .. الى آخر الباب . حيث يقول ابن عربى : فهذا قد بينا لك ارتباط المقامات والمراتب بضرب من التناسب وتعلق بعضها ببعض .. وبان منها شرح ألفاظ اصطلاح القوم ، فحصل من ذلك منها فائدتان : الواحدة معرفة ما اصطلحوا عليه ، والثانى معرفة المناسبات التى بينها .

والحق أننا قد لا نتبين المناسبة بين كل لفظ وما يتعلق به فى بعض الأمثال ، ولكنها علاقة حاضرة فى ذهن ابن عربى ، ومرتبطة بما يتلبس فى خياله من معان متداعية .

هذا ويحدد ابن عربى مدلول المصطلح عند الصوفية بعامة إذا كان المصطلح عاما أو عند صوفى بعينه إذا كان منسوبا إليه ، أو عنده هو إذا كان خاصا به (انظر : الحال ٢٢٨/١٣ ، والتجلى والتمكين ٢٠٠/١٣ وأرين ١٧٢/١٣) .

كما يحدد المعانى المتعددة للمصطلح ، كما فعل مثلا فى (الغربة ١٩٧/١٣ والرياضة ٢٠٨/١٣)(١٠٢)

وقد استثمر ابن عربى معرفته بعلوم عصرة من لغة وفلسفة وفقه وكلام .. فاستخدم مصطلحاتها وأضفى عليها صبغته الروحية الخاصة – كما تحدثنا من قبل .

وابن عربى مبتدع لكثير من المصطلحات أو صاحب معنى من معانيها ، ولكنه أيضا صاحب استعمالات لغوية خاصة واشتقاقات فريدة فقد ابتدع مصطلح (الفهوانية) وهو يعنى عنده : خطاب الحق مكافحة فى عالم المثال (١٦٤/١٣) ومن الطريف أن له كتابا بعنوان (منزل المنازل الفهوانية) والفهوانية فى اللغة من (فهو) ولا مصدر لها ولهذا عده ابن منظور مقلوب (هفا) ويقال : فها إذا فصح بعد عجمة ، ولست أدرى علاقته بمدلول المادة .

٩ – اصطلاحات الصوفية

ألفه كمال الدين أبو الغنايم عبد الرازق الكاشانى المتوفى سنة ٨٣٥هـ أو ٨٣٦ فى مدينة شيراز ، مؤلف مشهور فى التصوف ، شرح منازل السائرين للهروى وفصوص الحكم لابن عربى ، وله فى المصطلحات الصوفية كتابان آخران غير اصطلاحات الصوفية، هما (رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال) و (لطائف الإلهام فى إشارات أهل الإلهام)

والاصطلاحات – فيما نعلم – أول معجم مختص بالمصطلحات الصوفية مرتب وفق حروف (أ ب ج د هـ . الخ) ربما سبقته كتب لكنها لم تصل الينا بعد .

يقول الكاشانى فى مقدمة الكتاب : وبعد فإنى لما فرغت من تسويد كتاب (منازل السائرين) وكان الكلام فيه وفي شرح (فصوص الحكم) و (تأويلات القرآن الحكيم) مبينا عن اصطلاحات الصوفية ، ولم يتعارفها أكثر أهل العلوم المنقولة والمعقولة ، ولم تشتهر بينهم سألونى أن أشرحها لهم ، وقد أشرت فى ذلك الشرح إلى أن الأصول المذكورة فى الكتاب من مقامات القوم تتفرع إلى ألف مقام ، ولوحت إلى كيفية تفريعها وما بينت تفاريعها بتنويعها ، ولم أفصل فروعها ودرجاتها ولم أصرح بصنوفها وتفريعاتها ، فتصديت للإسعاف بسؤلهم وزدت على ذلك ترويحا لقبولهم بيان ما أجمل من ذلك ، وتفصيل ما أهمل هنالك ، فكسرت هذه الرسالة على قسمين :

قسم فى بيان المصطلحات ماعدا المقامات ، فإنها مذكورة فى متن الكتاب مشروحة فى جميع الأبواب.

وقسم فى بيان التفاريع المذكورة بأسرها والإشارة الى ترتيبها وحصرها "

وقد بوب الكاشانى القسم الأول على ترتيب حروف (أبى جاد) تسهيلا لمن يتفحص عنها ويتطلب واحدا واحدا منها .

وبوب القسم الثانى على ترتيب الكتاب [يعنى منازل السائرين] مبينا فى كل قسم تفاريع كل باب.(١٠٣)

١٠- رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال

ألفه الكاشانى السابق ذكره ، وهو - كما قال محققه سعيد عبد الفتاح - : لايختلف كثيرا من ناحية المنهج عن كتابه (اصطلاحات الصوفية) غير أنه توسع فى عرض وشرح بعض المصطلحات " (١٠٤)

وترد المصطلحات فى هذا الكتاب دون ترتيب لفظى أو موضوعى مطرد ، وأغلب مصطلحاته وتعريفاته للهروى وابن عربى .

١١- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام

ألفه الكاشانى صاحب (اصطلاحات الصوفية) و (رشح الزلال) لأهل الرسوم ليستعينوا به على ما استعصى فهمه عليهم من أسرار أهل الإشارة من أكابر الصوفية ، ومن ثم فقد جمع فيه أهم مصطلحاتهم وما تواطأوا عليه من ألفاظ وألقاب يتداولونها فيما بينهم من علومهم الإلهية ، ويتفاهمون بها فى مخاطباتهم كما جرت عليه عادة أهل كل فن . (١٠٥)

رتب الكاشانى المصطلحات على حروف المعجم (أ ب ت ث ج إلى الياء) مع مراعاة الحرف الثانى .

وقد نبه فى نهاية مقدمته - بعد أن أحصى مصطلحات القوم وألقابهم التى تبلغ ألفا وستمائة وثمانية وخمسين - على أن يتأمل قارئه معانيها ويتدبر ما بينها من علاقات : راعيت نسبة الكلام بعضه إلى بعضه ، وألحقت آخر الكلام بأوله وعطفت أوله على آخره : فإن قدر ذلك فسوف يتحقق له مراده من فهم مرامى القوم وما أودعوه فى كلامهم من نكت وأسرار (١٠٦)

وهذا المعجم – فى تقديره محققه – أهم وأكبر عمل قدم لخدمة المصطلح الصوفى حتى اليوم " لا سيما إذا وضعنا فى الاعتبار أن المصطلح قد استوى عنده ونضج بعد فترة من الخبرة بشرح كتب كبار القوم كالهروى وابن عربى . (١٠٧)

وعند مراجعتى للنص ومقابلته على ما ذكره الهروى فى (منازل السائرين) وما ذكره ابن عربى فى الباب الذى خصصه للمصطلحات من كتابه (الفتوحات المكية) وجدته ينقل عنهما كثيرا ، ويصرح به فى غير موضع .

انظر مثلا (الاشفاق) ودرجاته و (الإخبات) ودرجاته ، عنده وعند الهروى .

وانظر أيضا (التمكين والتلوين والهواجم) عنده وعند ابن عربى ، والمصطلحات الثلاثة مترابطة عند ابن عربى وتجى عنده بعد (البواده) التى عالجها الكاشانى فى موضع آخر من الكتاب .. وهكذا يفعل مع المصطلحات الأخرى التى تجئ متوالية وفقا لعلاقات معتبرة عند ابن عربى ، فيوزعها الكاشانى على حروف المعجم فيفقدها ترابطها فى أغلب الأحوال ، وإن كان يشير فى بعض الأحوال الى العلاقة ويحيل إلى المصطلح الآخر فى موضعه .

المصادر الخاصة (فى الفلسفة)

من أهم ما وجدناه فى هذا المجال :

١ ـ الحدود

ألف هذه الرسالة جابر بن حيان المتوفى سنة ٢٠٠هـ ، وهى رسالة فى المصطلحات الفلسفية وفى حدودها أو تعريفاتها . وثمة شكوك فى نسبتها إليه ، ولكن الدكتور عبد الأمير الأعسم يقرر صحة نسبتها إليه ، وفى ضوئها يرى أن انتساب جابر إلى الفلاسفة كانتسابه إلى العلماء تؤيده النصوص الفلسفية التى وصلتنا ، ويدعمه ما يقوله المؤرخون عنه . (١٠٨)

وتتألف الرسالة من أربعة أقسام رئيسة : توطئة فى الحد ، وتقسيم العلوم ، وحدود العلوم ، وحدود الأشياء .

ومجموع حدودها ٩٢ تتوارد فى الأقسام الأربعة دون ترتيب معين ، ولكن تلمح فى علاجه لثلاثة واربعين حدا منها ثنائية واضحة مثل : الدين والدنيا ، الشرع والعقل ، الحرارة والبرودة ، الظاهر والباطن .. الخ

وتعريفاته تؤكد معرفته الموثقة بالمفاهيم الفلسفية اليونانية ، بيد أنه يطبعها أحيانا بطابع إسلامى يقربها من جوهر العقيدة الإسلامية . (١٠٩)

ومن أمثلتها : حد الحرارة أنها غليان الهيولى ، وهى حركتها فى الجهات كلها ، وحد البرودة أنها حركة الهيولى من محيطها إلى مركزها .. الخ

" حد الطبيعة فإنها من حيث الفعل مبدأ حركة وسكون عن حركة ، وأما من حيث الطباع فإنها جوهر إلهى متصل بالاجسام متضع باتصاله بها غاية الاتضاع ، وأما حد الحركة فإنها تغير الهيولى إما فى المكان أو الكيفية .. " (١١٠)

٢ ـ رسالة فى حدود الأشياء ورسومها

ألف هذه الرسالة أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندى (ت ٢٥٢هـ) ولم يقطع الدكتور أبو ريدة الذى نشرها أول مرة بنسبتها إليه ، إذ لم يرد لها ذكر فى ترجمات

المؤرخين لصاحبها مثل النديم والقاضى صاعد وابن أبى اصيبعة . ومع ذلك فهو يقول عنها :

هذه الرسالة – على قصرها – وعلى قلة شمولها .. هى فيما أعتقد أول كتاب فى التعريفات الفلسفية عند العرب ، وأول قاموس للمصطلحات عندهم وصل إلينا " ويرى أن مقارنتها بما يناظرها فى كتب المصطلحات والتعريفات يكشف عن تنوع المصطلحات وتطورها ثم استقرارها

" أما مصدر هذه التعريفات فهو ظاهر ، فكثير منها يرجع إلى الفلسفة اليونانية خصوصا إلى إفلاطون وأرسطو ، ولا شك فى أنها تبين كيف ترجمت مصطلحات الفلسفة اليونانية ، وأن بعضها – على اختصاره – جامع ، وهو خير من تعريفات المتأخرين وأقرب للمعنى الفلسفى " (١١١)

وتضم رسالة الكندى ما يزيد على مائة مصطلح ، عرف بعضها غير مرة (انظر مصطلح فلسفة ١٢١/١ – ١٢٣) والتعريفات تعبر عن " أمور أو مفهومات منوعة مأخوذه من ميادين علوم شتى ، وهى تذكر دون مبدأ فى ترتيبها ودون مراعاة قاعدة معينة فى التصنيف ، وقد يكون فيها تكرار أو غموض ، مرجعه فى أغلب الظن إلى عدم الدقة من الناسخ أحيانا "

وإذا ما قورنت برسالة جابر تبين أن رسالة جابر تمثل مرحلة نشأة المصطلح الفلسفى وبداية التعامل به ، أما رسالة الكندى فقد تطورت بالمصطلح الفلسفى إلى مرحلة متقدمة من حيث دقة الحدود وتوسع مدلولاتها . (١١٢)

ومن أمثلتها : العلة الأولى : مبدعة فاعلة متممة الكل غير متحركة .. العقل : جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها .. الجرم : ماله ثلاثة أبعاد [طول وعرض وعمق] ... الهيولى : قوة مضاعفة لحمل الصور منفعلة .. الصورة : الشئ الذى به الشئ هو ما هو ." (رسائل الكندى ج١ ص ١١٣ ، ١١٤)

٣ – رسالة فى الحدود والرسوم

هى الرسالة الواحدة والأربعون من جملة الرسائل التى ألفها إخوان الصفاء الذين تحدثنا عنهم قبلا .

وهى تضم قرابة مائة وخمسين حدا ، أكثرها فلسفى ، ولا تخلو من التعريفات الكلامية، ومن ثم فهى أول مؤلف يجمع بين التعاريف الكلامية والفلسفية (١١٣)

ويبدو فى تفسيرهم للوجود بالأيس والليس تأثرهم بمصطلحات الكندى ، كما أن نزعتهم المذهبية الباطنية والتى حاولوا اخفاءها تطل فى بعض التعريفات (انظر مصطلح المعاد ج٣ ص ٣٢٣).

هذا ولم ترتب التعريفات بطريقة هجائية ولكنها عرضت فى خمسة فصول متعاقبة حسب تصنيف موضوعى غير دقيق

وتمتاز الرسالة بأسلوبها الموجز القريب من أسلوب الكندى وإن لم تتسم بدقته . جاء فى الرسالة : النبات : هو كل جسم يتغذى وينمو ، والحيوان كل جسم متحرك حساس ، والإنسان حى ناطق مائت.."(١١٤)

وجاء فيها : فإن قيل ما الجنس ؟ فيقال : صفة جماعة متفقة بالصورة يعمها معنى واحد ، فإن قيل ما الشخص ؟ فيقال : كل جملة يشار إليها دون غيرها مميزة من غيرها بالأفعال والصور . فإن قيل : ما الخاصة ؟ فيقال : صفة مخصوصة لما دون غيره بطيئة الزوال "(١١٥)

٤ ـ رسالة الحدود

ألفها أبو على الحسين بن عبد الله الشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ وتتألف من ٧٣ مصطلحا وتعريفاتها ، منها ٢ فى المنطق و ٦٨ فى الطبيعة و ٣ فيما بعد الطبيعة. وفيها يقول الدكتور ماجد فخرى : لابن سينا رسالة شبيهة برسالة الكندى فى حدود الأشياء، ومنسوجة مثلها على منوال مقالة أرسطو الخامسة (الدال) من كتاب ما بعد الطبيعة "

وترجع قيمة هذه الرسالة إلى أنها تشكل نظرية متكاملة فى الحدود ، فإنها تمتاز على رسالة الكندى بمقدمة بين فيها كيف تحصل الحدود والرسوم .

ونظرية ابن سينا فى التعريف أو الحد كما تكشف عنها تلك الرسالة هى نظرية ارسطو القائمة على أن تحقيق الحد إنما يتم بواسطة التعريف بالماهية وهذا هو الحد الحقيقى ، أما التعريف باللوازم واللواحق فلا يعطينا حدا حقيقيا بل هو الرسم فحسب ، وسوف يطور ابن سينا هذه النظرية فى (الحكمة المشرقية) حيث يتحقق الحد الحقيقى بالاستقراء لا بالتركيب.(١١٧)

٥ - الحدود

عرض أبو حيان التوحيدى على بن محمد العباس المتوفى سنة ٤١٤هـ للحدود فى المقابسة الحادية والتسعين من كتابه (المقابسات) وفى مقدمتها يذكر أنه حصلها من أفواه العلماء والتقطها من بطون الكتب ثم عرضها على من يوثق بصناعته ويرجع إليه فى الاختيار والنقد فاستحسنها .. وقد كان يرجو لو اتسع وقته ليشرحها ويستشهد لها ، ولكنه لم يجد بدا بالقناعة بالممكن الميسور .

وهى تضم ما يقرب من مائة وعشرين مصطلحا مع تعريفاتها ، وهى تعالج موضوعات فلسفية متعددة فى الطبيعيات والرياضيات والإلهيات وفى المنطق وفى الأخلاق.

وواضح فيها مدى انتفاعة بتعريفات الكندى فى رسالته (انظر تعريفه للعلة الأولى ص ٣٧٣ وللعقل ص ٣٧٢ والجرم والصورة ص ٣٦٤)

ومن أمثلتها : يقال ما اليقين ؟ الجواب : مطابقة العقل معقوله .

يقال ما العلم ؟ الجواب : وجدان النفس المنطقية الأشياء بحقائقها .

يقال ما الحكمه ؟ الجواب : هى حقيقة العلم بالأشياء الدائمة " (١١٨)

٦ – الحـــدود

عرض أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ) للحدود فى كتابه (معيار العلم) الذى قسمه إلى كتب أربعة هى : كتاب مقدمات القياس وكتاب القياس ، وكتاب الحدود وكتاب الوجـــود وأحكامه . ويمثل الكتاب الثالث الخاص بالحدود مرحلة هامة فى تاريخ المصطلح الفلسفى ، فعنده استقر المصطلح الفلسفى وأصبح ممثلا لروح عصره .

" وكتاب الحد يحصره فنان :

الفن الأول : فى قوانين الحدود ، وهو سبعة فصول : ١ – فى بيان الحاجة إلى الحـــد ٢ – فى مادة الحد وصورته ٣ – فى ترتيب مادة الحد ٤ – فى أقسام الحد ٥ – فـــى أن الحد لايقتفى بالبرهان

٦ – مثارات الغلط فى الحدود ٧ – فى استعصاء الحد .

الفن الثانى : وهو فى مقدمة وثلاثة أقسام هى :

١ – الحدود المستعملة فى الإلهيات وعددها ١٥ حدا ٢ – الحدود المستعملة فى الطبيعيـــات وعددها ٥٥ حدا ٣ – الحدود المستعملة فى الرياضيات وعددها ٦ حدود ومجموع الرســـالة ٧٦ حدا (١١٩)

وحدود الغزالى معتمدة على رسالة ابن سينا ، وقد استعان كذلك بكتاب النجاة لابن سينا فى تنظيم مواد الفن الأول الخاص بقوانين الحدود

وتقسيم الغزالى للحدود يعتمد على المنهج التقليدى بحسب الأبواب المشهورة فى دراسة الفلسفة : الإلهيات والطبيعيات والرياضيات (١٢٠)

المصادر الخاصة (فى الطب)

بعض هذه المصادر يجمع مصطلحات الطب والصيدلة وبعضها يختص بأحدهما ، وهذه أهمها :

١ - الحاوى

جمع الرازى بين مصطلحات الطب والصيدلة أو المفردات فى كتابه ، ففيه الأسماء المجهولة الواقعة فى كتب الطب ، ذكر فيها أسماء الأدوية والأدواء والأعراض والأوزان والمكاييل والصور التى ترسم بها بعض المقادير ، وعرف بها تعريفا مختصراً.

رأى الرازى أن الدواء أو الداء أو العرض .. قد يذكر باسم غير اسمه المعروف فى اللغة التى نقل منها ، فأراد أن يجمعها جميعا فى كتاب ، وقد اعترضته عقبتان ، الأولى : نقصان حروف العربية بالوفاء بما تفى به حروف اليونانية والفارسية والسريانية والهندية ، فبعض حروف هذه اللغات ليس يمكن أن تكتب بالعربية محققة ، والثانية : أن النقلة والمصنفين لم يتحروا أن يكتبوا تلك الأسماء محققة على ماهى فى اللغة المنقول منها ، بل تهجوها بأنواع من الهجاء مختلفة ، حتى إن الاسم الواحد منها يوجد مكتوبا على وجوه كثيرة . (١٢١)

وقد وجد حلا لذلك ، وضع جداول جمع فيها كل اختلافات الاسم الواحد مما وقع له فى الكتب المصنفة بحيث لايكاد يفوت الناظر فى الكتاب استخراج اسم من أجل اختلاف هجائه، فى العمود الأول (أو فى البيت الأول كما يسميه) يذكر الاسم المجهول بهجائه أو بأهجيته المتشابهة ، ثم يرمز له برمز يشير إلى اللغة التى ينتسب إليها الاسم هكذا : ى لليونانى و ف للفارسى و هـ للهندى و س للسريانى ، ونجد العلامة ؟ حين لانجد رمزا للغته ، وفى العمود الثانى يأتى بمكافئه المعلوم أو بترجمته أو بالتعريف به تعريفا قصيرا . انظر مثلا :

	العمود الأول		العمود الثانى
	باريطوفا	س	
	بارطيوفن	؟	الصفاق المغشّى على الأحشاء
	باريطوما	؟	
٢	بالوسيس	ى	الفالج، فيلغريوس [مؤلف يونانى]
٣	دهوب	هـ	الزعفران

وقد يذكر فى العمود الثانى المصدر الذى أخذ منه الاسم كالمثال الثانى ، وفى مواضع كثيرة يقول : عثرت به فى الأدوية المفردة لحنين أو فى كُنَّاش جورجيس .. أو بما أشبه ذلك من العبارات . ومن ثم فإنه يوجب على من لايجد الاسم المجهول فى بابه (حرفه) أن يطلبه فى سائر الأبواب الشبيهة الصورة ، مثال ذلك . إذا طلب اسما أوله ب فى باب الباء فلم يجده فى ب ت ث ن فليطلبه فى باب الفاء .. وهكذا لأنه قد يقع فى ذلك اختلاف آخر ليس من جنس التصحيف لكن من اللغة نفسها مثال ذلك أن (الميعة) توجد فى كتب كثيرة مكتوبة (اسطفطا) بالألف ، وربما وجدت (سطفطا) بغير ألف ، وقد تبدل حروف مكان حروف مثال ذلك إن الجيم تبدل بالغين فيقال : جالينوس وغالينوس ... الخ.

وقد كان الرازى مبتكرا لهذا التصنيف ، فقد كان المعروف حتى عهده أن توضع تلك الأسماء فى ثلاثة أسطر ، سطر لليونانى وسطر للسريانى وسطر للعربى بل فى خمسة عند بعضهم بإضافة سطر للفارسى وآخر للهندى . وهى طريقة – كما يزعم – تفوت الغرض ، لأن الاسم المجهول فى أكثر الأمر ليس يرد علينا باللغة العربية ، وإنما نفع هذا الكتاب استخراج الأسماء المجهولة ، فإذا ورد الاسم بالعربية استغنى عن هذا الكتاب إلا فى الندرة، وإن ورد بلغة غيرها رجعت البيوت (الأعمدة) على اللغة العربية باطلا ، وأجبرنا الناظر إلى القياس فى جميع الأبواب فى جميع ما نريده "

وفى علاج الأسماء المترادفة يقول : ومتى كان للدواء أسماء مترادفة لم أزل أقابل بعضها ببعض فى سطر فى المعلوم (العمود الثانى) والمجهول (العمود الأول) حتى يأتى عليها أجمع " وبهذا المنهج الفريد : يمكن أن يكون كتابنا أقرب إلى الكتب الصناعية القانونية " (١٢٢)

ويبدو فى النسخة المنشورة بعض التداخل فى الأبواب ، لأنه فيما يبدو لنا أراد أن يصنع مجموعتين مستقلتين من الجداول ، إحداهما لأسماء الأمراض والأعراض والثانية لأسماء الأدوية والأغذية . فإنك تجد بعض أبواب المجموعة الأولى فى ثنايا أبواب المجموعة الثانية ، وثمة أبواب ناقصة لعلها سقطت من النساخ .

ولم نجد أحدا – فيما وصلنا من مصنفات – ارتضى طريقة الرازى بل ساروا على نهج من سبقه أو على مناهج مبتدعة .

وفيه أيضا مقالة كبيرة أشبه بكتاب خصصها الرازى للأدوية المفردة نباتية أو حيوانية أو معدنية ، حصر فيها أسماءها فى مداخل رتبها على حروف المعجم (أ ب ت ث ... إلى الياء) دون مراعاة الحرف الثانى أو الثالث ، مع اعتبار لفظ الكلمة المستعمل بافتراض أن كل حروفها أصلية . (١٢٣)

وهذه المقالة – فيما نعلم – أول معجم للأدوية المفردة مؤلف بالعربية وهو يضم (٩١١ مفردة) . يذكر المفردة أو المدخل ثم يعدد خصائصها العلاجية نقلا عن مصادره التى يشير إليها مباشره بعنوانها أو باسم مؤلفيها أو باستخدام الرمز هكذا (د لديسقوريدس ، ج جالينوس .. الخ) وقد يحدد أحيانا صفاتها أو ماهياتها . وهو يهتم كذلك بنسبة المفردة إلى لغتها . فإذا ما كانت المفردة أو المدخل عربية ذكر فى أغلب الأحوال ما يكافئها من الأسماء اليونانية أو الفارسية أو السريانية . فهو يقول فى (جعفيل) ويسمى باليونانية (أوناقج) وتفسيره : خانق الكرسنة ، ويقول فى (جشيش) ويسمى باليونانية (قرسيون) وبالفارسية (دورسيون) وفى بعض الأحوال إذا ماكان المدخل أعجميا يذكر مكافئه العربى أو يفسر معناه ، يقول فى (ديفروجس) تفسيره المضاعف الإحراق والتشييط ، وفى

أماغورس أو ماخورس) أصبت تفسير هذا فى ثبت الأسماء لحنين أنه عقار يسمى بالعربية الذبح ويسمى الذبحة .

٢ - كتاب الاعتماد فى الأدوية المفردة

ألفه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزار المتوفى سنة ٣٦٩هـ ويعد كتابه - كما يقول الدكتور إبراهيم بن مراد : أقدم المصادر المعروفة فى باب الأدوية المفردة فى الثقافة العربية ... وابن الجزار من أوائل الذين فصلوا الأدوية المفردة عن الطب .. على أن مادة كتابه قليلة .. فإن عدد الأدوية التى تضمنها الكتاب ٢٧٨ " ومادة الكتاب موزعة فى أربع مقالات وفقا لقوى الأدوية : الحارة والباردة واليبسة والرطبة(١٢٤)

٣ - كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية

ألفه أبو منصور الحسن بن نوح القمرى من أهالى بخارى ، توفى ٣٩٠هـ على أرجح الأقوال ، كما تقول محققة الكتاب وفاء تقى الدين (١٢٥)

والقمرى - كما يقول د. نشأت حمارنة : صاحب أول معجم عربى خاص بالاصطلاحات الطبية " نستثنى من ذلك بالطبع معاجم الأدوية المفردة فهى تسبقها . (١٢٦)

قسم القمرى مواد معجمه وعددها يقارب الأربعمائة على عشرة أبواب ، الأول فى أسماء العلل الحادثة من الفرق إلى القدم والثانى فى أسماء العلل الحادثة فى سطح البدن ، والثالث فى أسماء الحميات وتوابعها ، والرابع فى أسامى الطبائع وما فى معناها من الألفاظ والحوادث فى بدن الإنسان، والسادس فى أسماء الأشياء التى تستعمل فى العلاجات ، والسابع فى أسامى الأطعمة والأشربة والثامن فى أسامى القراباذينات والتاسع فى أسامى الأوزان والأكيال والعاشر فى اتخاذ الأشياء التى لابد منها فى كل يوم . ومن ثم فالكتاب كأنه معجم موضوعى يختص بالموضوعات الطبية من تشريح وأمراض وأدوية .. الخ عرف بأهم مصطلحاتها تعريفا موجزا ، ولم يراع فى إيرادها ترتيبا واضحا .

٤ ـ القانون فى الطب

ألفه ابن سينا، وهو يضم خمسة كتب ، الثانى منها فى الأدوية المفردة ، وهو معجم أحصى فيه أسماء الأدوية المفردة : نباتية أو حيوانية أو معدنية ووضعها فى ثمانية وعشرين فصلا مرتبة وفق حروف (أبجد هوز..) وقد سبق الحديث عنه فى المبحث الأول فى الجزء المخصص للمصطلح الطبى .

٥ ـ كتاب تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس

ألفه أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت ٣٨٤هـ) طبيب أندلسى عاش فى أيام هشام المؤيد بالله ، وهذا الكتاب من أهم ما ألفه ، يقول عنه ابن أبى أصيبعة : وقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربى وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها " وكان أصطفن بن بسيل قد ترجم كتاب ديسقوريدس وتصفحه حنين بن إسحق وصححه وأجازه ، بيد أن أصطفن كان ترك كثيرا من أسمائه اليونانية على حالها اتكالا على أن يجئ من بعده من يسميها بأسماء عربية ، وقد وصل الكتاب الى الأندلس وانتفع به الناس ، وفى عهد الملك الناصر اجتمع على إصلاحه جماعة من المترجمين والأطباء مع الراهب نقولا ، وأتموا عملهم على خير حال ، وقد أدرك ابن جلجل هذه الجماعة وصحبهم فى أيام المستنصر بالله وأخذ عنهم . (١٢٧)

والكتاب مخطوط ، وقد حقق قطعا منه الدكتور إبراهيم بن مراد من نسخة المكتبة الوطنية بمدريد. وهو- كما يقول محققه : معجم فى الأدوية المفردة ينتمى إلى صنف المعاجم الثنائية اللغة .. يذكر المصطلح اليونانى المدخل الوارد فى كتاب (المقالات الخمس لديسقوريدس) ثم يورد ترجمته بما يقابله فى العربية ، فإذا استعصت عليه العربية ولم تسعفه بالمقابل استمده من إحدى اللغات الإسلامية التى كانت شائعة الاستعمال فى بلاد المغرب أو فى المشرق وخاصة البربرية واللاتينية والفارسية " (١٢٨)

٦ - كتاب الصيدنة فى الطب

ألفه أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى (ت ٤٤٠هـ) حققه وترجمه إلى الانجليزية محمد سعيد ورنا إحسان إلهى فى باكستان ١٩٧٣

وفى هذا الكتاب يقول الدكتور إبراهيم بن مراد : والكتاب جامع لمختلف معارف العصر والعصور السابقة حول الأدوية المفردة ، فقد تضمن فى نصه الذى وصلنا ... حوالى ألف ومائة دواء مفرد من المواليد الثلاثة : النبات والحيوان والمعادن ... وأثبت فيه كثيرا من المعلومات الجديدة سواء فى تسميات الأدوية أو فى ذكر خصائصها أو أنواعها وضروبها التى لم تكن معروفة قبله " (١٢٩)

وأسماء الأدوية مرتبة وفق حروف المعجم (أ ب ت ث ... الى ى) دون تجريدها من الزوائد ، وقد راعى فى الترتيب الحرف الأول والثانى فحسب فلم يلق بالا للثالث والرابع والخامس .

٧ - شرح أسماء العقار

ألفه الشيخ الرئيس أبو عمران موسى بن عبد الله الإسرائيلى القرطبى (ت ٦٠١هـ) حققه ماكس مايرهوف ، ونشر بالقاهرة ١٩٤٠ .

والكتاب فى شرح المصطلحات المستعملة فى المواليد الثلاثة : النبات والحيوان والمعادن مما ورد مشكلا فى بعض المصادر الأندلسية مثل كتاب ابن جلجل (ت ٣٨٤هـ) : تفسير أسماء الأدوية المفردة.

٨ – تفسير كتاب دياسقوريدس

ألفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار (ت ٦٤٦هـ) قال عنه ابن أصيبعة : وأتقن دراية كتاب ديسقوريدس اتقانا بلغ فيه إلى أن لايكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه .. " وقد حقق الكتاب الدكتور ابراهيم بن مراد .

وقد تضمن الكتاب ٥٥٣ مدخلا أو مصطلحا ، أوجد لمعظمها أسماء عربية تعرفها ، ولم يستعص عليه من جملة تلك المصطلحات اليونانية المداخل إلا سبعة عشر مصطلحا " وقد رتب المصطلحات وفقا للمداخل اليونانية ، فهو معجم ثنائى اللغة ، كما يقول محققه (١٣٠)

٩ – الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

ألفه ابن البيطار ، وهو أشهر كتبه جمع فيه مفردات الأدوية والأغذية نباتية وحيوانية ومعدنية ، ورتبها فى معجم على حروف (أ ب ت ث)

وقد سبق الحديث عنه فى المبحث الأول فى الجزء المخصص للمصطلح الطبى .

١٠– مفيد العلوم ومبيد الهموم

ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد بن الحشاء المتوفى فى سنة ٦٤٧هـ تقريبا والكتاب فى تفسير المصطلحات الطبية الواردة فى كتاب الرازى (المنصورى) والمصطلحات المفسرة ذات منزع علمى لغوى ، منها ماهو فى الأدوية المفردة ، ومنها ماهو فى الاصطلاحات الطبية العامة . (١٣١)

١١- بحر الجواهر فى تحقيق المصطلحات الطبية

ألفه محمد بن يوسف الهروى من علماء القرن العاشر الهجرى ، نشره الحكيم عبد المجيد فى كالكوتا عام ١٨٣٠م

وقد رتب المؤلف معجمه على حروف الهجاء ، وعالج موضوعه بأسلوب جديد مضيفا إلى التعبيرات التشريحية والمصطلحات المرضية وأسماء العقاقير بعض أسماء مشاهير الأطباء . (١٣١)

هوامش المبحث الثانى

١ - انظر : عبدالعزيز (د. محمد حسن) : مصادر البحث اللغوى الباب الخامس ونصار (د. حسين): المعجم العربى .

٢ - السابق .

٣ - ابن سيده : المخصص ج١ ص

٤ - السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص ١١٣ - ١١٩

٥ - السابق : ج١ ص ١١٣

٦ - ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ج١ ص ٨ ، ٩ .

٧ - انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوى ونصار (د. حسين نصار) المعجم العربى ، إقبال (أحمد الشرقاوى) : معجم المعاجم .

٨ - ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ج١ ص ٥ .

٩ - نصار (د. حسين) المعجم العربى ج١ ص ٥٣ .

١٠ - ابن الأثير : النهاية ج١ ص ٨ .

١١ - السابق : ج١ ص ٩ .

١٢ - انظر : عبدالعزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوى ، و نصار (د. حسين) المعجم العربى وإقبال (أحمد الشرقاوى) : معجم المعاجم .

١٣ - الخوارزمى (أبو عبد الله) : مفاتيح العلوم (نشرة فلوتن) ص ٢ .

١٤ - السابق : ص ٣ .

١٥ - مدكور (د. إبراهيم) المعجمات العربية المتخصصة ، البحوث والمحاضرات دورة ٣٤ ص ١٨.

١٦ - الجرجانى (أبو الحسن على) التعريفات ص ٧ .

١٧ - المناوى (عبد الرءوف) : التوقيف على مهمات التعريف ص ٣٣ ، ٣٤ .

١٨ - الكفوى (أبو البقاء) : الكليات ص ١٧ ، ١٨ .

١٩ - التهانوى (محمد بن على) : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مقدمه المحقق الدكتور لطفى عبدالبديع ص د .

٢٠ - الشافعى (د. حسن) المدخل إلى علم الكلام ص ٢٣٦ .

٢١ - الأزهرى (أبو منصور محمد) : الزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى ص ٢٨ .

٢٢ - حاجى خليفة : كشف الظنون ص ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ .

٢٣ - التميمى (محسن) تفسير غريب الموطأ ، ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية جامعة سيدى محمد بن عبد الله ج٢ ص ٦٣٣ - ٦٤٩ .

٢٤ - النسفى (أبو حفص عمر) طلبة الطلبة ص ٦١ .

٢٥ - ابن فارس (أبو الحسين) حلية الفقهاء ص ٢٠ - ٢٨ .

٢٦ - ابن رشد (أبو الوليد) : مقدمات ابن رشد ج١ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

٢٧ - ابن بطال (محمد بن أحمد) : النظم المستعذب فى شرح غريب المهذب ص ٥.

٢٨ - ابن حمامة المغراوى (أبو عبدالله محمد) : غرر المقالة ص ٢١٢ .

٢٩ - السابق : ص ٨٩ .

٣٠ - النووى (محيى الدين) تحرير التنبية ص ٢٨ .

٣١ - السابق : ص ٢٨ .

٣٢ – البعلى (أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح) : المطلع على أبواب المقنع . ص ٦١ .

٣٣ – السابق : ص ١٨ .

٣٤ – ابن فرحون (إبراهيم بن على) : كشف النقاب الحاجب ص

٣٥ – الرصاع (أبو عبد الله محمد) : شرح حدود ابن عرفة ص ٣٩ .

٣٦ – السابق : ص ٤١ .

٣٧ – السابق : ص ٨٥ .

٣٨ – الشاهرودى (على بن مجد الدين) الحدود والأحكام ص ٨ .

٣٩ – السابق : ص ١٧ .

٤٠ – القونوى (قاسم بن عبد الله) أنيس الفقهاء ص ٣٣ ، ٤٠ .

٤١ – المطرزى (أبو الفتح ناصر الدين) المغرب ص ٢٠ .

٤٢ – السابق : ص ١٠ .

٤٣ – النووى (محيى الدين) تهذيب الأسماء والصفات ج١ ص ٣ .

٤٤ – السابق : ص ٦ ، ٧ ، ٨ .

٤٥ – انظر : الشافعى (د. حسن) : المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ١٤ ، ١٥ .

٤٦ – ابن فورك (أبو بكر محمد بن الحسن) الحدود فى الأصول ص ١٨ .

٤٧ – الباجى (أبو الوليد سليمان بن خلف) : الحدود فى الأصول ص ٢٣ .

٤٨ – الشافعى (د. حسن) المدخل إلى دراسة علم الكلام ص ٢٥٠ .

٤٩ – الآمدى (سيف الدين) المبين فى شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص ٤٦ .

٥٠ – السابق : ص ١٠٩ .

٥١ – الأنصارى (زكريا بن محمد) : الحدود الأنيقة ص ٥ ، ٦٦ .

٥٢ – النديم : الفهرست ص ١٠٥ .

٥٣ – حاجى خليفة : كشف الظنون ص٦٣٥ .

٥٤ – النديم : الفهرست ص ١٠٦ .

٥٥ – السابق : ص ١١٧ و (الحموى) ياقوت : معجم الأدباء ج٥ ص ١١٩ .

٥٦ – النديم : الفهرست ص ١١٨ .

٥٧ – الحموى (ياقوت) : معجم الأدباء ج١٤ ص ٧٥ .

٥٨ – الرمانى (على بن عيسى) الحدود فى النحو ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ .

٥٩ – الجبرانى (أحمد بن هبة الله) : الحدود فى علم النحو ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٤ مجلد ٧٠ ص ٦٢٥ .

٦٠ – السابق : ص ٦٢٨ .

٦١ – الفاكهى (جمال الدين عبد الله) شرح الحدود النحوية ص ٣١ .

٦٢ – السابق : ص ٣٧ .

٦٣ – السابق : ص ٤٢ ، ٤٣ .

٦٤ – السابق : ص ٥٥ ـ ٥٨ .

٦٥ – الطوسى (أبو نصر عبد الله بن على) اللمع ص ١٠ .

٦٦ – السابق : ص ٨٥ .

٦٧ – السابق : ص ٤١٣ .

٦٨ - السابق : ص ٤١٦ .

٦٩ - السابق : ص ٤١٧ .

٧٠ - السابق : ص ٤١٨ .

٧١ - السابق : ص ٤١٩ .

٧٢ - السابق : ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

٧٣ - السابق : ص ٤٢٥ .

٧٤ - السابق : ص ٤٥٤ .

٧٥ - السابق : ص ٢٤٢ .

٧٦ - الكلاباذى (تاج الدين محمد بن إبراهيم) ص ٢٦ .

٧٧ - حاجى خليفة : كشف الظنون ص ٤١٩ .

٧٨ - الكلاباذى (تاج الدين محمد بن إبراهيم : التعرف ص ١١٢ .

٧٩ - السابق : ص ١٢١ .

٨٠ - السابق : ص ١٣٠ .

٨١ - السابق : ص ١٤٥ .

٨٢ - القشيرى (أبو القاسم عبد الكريم) الرسالة ص ٣٨ .

٨٣ - عفيفى (د. أبو العلا) الرسالة القشيرية ، مجلة تراث الإنسانية مجلـــد ١ ص ٤٦٥ .

٨٤ - السابق : ص ٤٦٨ .

٨٥ - القشيرى (أبو القاسم عبد الكريم) الرسالة ص ٥٣ .

٨٦ - الهجويرى (على بن عثمان) كشف المحجوب ص ٨ ، ٥ ، ١٥١ .

٨٧ - السابق : ص ٨٣ .

٨٨ - السابق : ص ٦٢٧ .

٨٩ - السابق : ص ٦٢٨ .

٩٠ - السابق : ص ٦٣٠ .

٩١ - السابق : ص ٦٣٣ .

٩٢ - محمود (د. عبدالقادر) دراسات فى الفلسفة الدينية والصوفية ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

٩٣ - الهروى (أبو إسماعيل عبد الله) منازل السائرين ص ١٥ .

٩٤ - انظر : محمود (د. عبد القادر) دراسات ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .

٩٥ - الغزالى (حجة الإسلام أبو حامد) الإملاء فى إشكالات الإحياء ص ١٥ .

٩٦ - السابق : ص ١٦ .

٩٧ - السهروردى (أبو النجيب) ص ٤٣ .

٩٨ - السابق : ص ٤٤ .

٩٩ - ابن عربى (محى الدين) الفتوحات المكية ، طبعة بولاق ج١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

١٠٠- السابق : ج١ ص ٢٨١ .

١٠١- أبو الطيب (عبد الواحد) شجر الدر ، مقدمة المحقق ص ١٧ - ٢٢ .

١٠٢- ابن عربى : الفتوحات المكية ج١٣ نشرة الهيئة المصرية العامة للكتاب تحقيق د.عثمان أمين.

١٠٣-الكاشانى (كمال الدين أبو الغنايم) اصطلاحات الصوفية ص ٤٦ ، ٤٧ .

١٠٤- الكاشانى (كمال الدين أبو الغنايم) رشح الزلال ص ٢٣ .

١٠٥- الكاشانى (كمال الدين أبو الغنايم) لطائف الإعلام ج١ ص ١٠٥ .

١٠٦- السابق : ج١ ص ١٥٢ .

١٠٧- السابق : ج١ ص ٩ .

١٠٨- انظر : الأعسم (د. عبد الأمير) : المصطلح الفلسفى عند العرب ص ١٨ ، ١٧ .

١٠٩- السابق : ص ٢٢ .

١١٠- السابق : ص ١٧٨ ، ١٨٤ .

١١١- أبو ريدة (د. محمد عبد الهادى) رسائل الكندى الفلسفية ج١ ص ١٦٤ .

١١٢- الأعسم : المصطلح الفلسفى ص ٣٨ – ٤٠ .

١١٣- الشافعى (د. حسن) المدخل إلى علم الكلام ٢٤٣ .

١١٤- إخوان الصفاء : ج٣ ص ٣٢٧ .

١١٥- السابق : ج٣ ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

١١٦- فخرى (د. ماجد) تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٨٢ .

١١٧- الأعسم (د. عبد الأمير) المصطلح الفلسفى ص ٦٧ – ٦٩ .

١١٨- التوحيدى (أبو حيان) : ص ٣٦٢ .

١١٩- انظر : الغزالى (أبو حامد) معيار العلم (كتاب الحد) .

١٢٠- الأعسم : المصطلح الفلسفى ص ٨٤ .

١٢١- الرازى (محمد بن زكريا) الحاوى فى الطب ص ٢٢ ص ٦٢ .

١٢٢- السابق : ج٢٢ ص ٦٤ – ٦٧ .

١٢٣- السابق : ج ٢٠ ، ٢١ .

١٢٤- ابن مراد (د. ابراهيم) المعجم العلمى العربى المختص ص ٤٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

١٢٥- القمرى (أبو منصور الحسن بن نوح) كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية ، نشره مجمع اللغة بدمشق مجلد ٦٥ ، ٦٦ .

١٢٦- حمارنة (د. نشأت) المعجمات الطبية ، مجلة مجمع اللغة بدمشق مجلد ٦٠ ص ١١٥ .

١٢٧- ابن مراد (د. إبراهيم) المعجم العلمى العربى المختص ص ٥٦ ، ٥٧ .

١٢٨- السابق : ص ٥٧ .

١٢٩- السابق : ص ٤٧ ، ٤٨ .

١٣٠- ابن أبى أصبيعة : عيون الأنباء ص ٦٠١ وابن مراد (د. إبراهيم) دراسات فى المعجم العربى ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

١٣١- انظر : ابن مراد (د. ابراهيم) المعجم العلمى العربى المختص ص ٦٤ ، ٦٥ .

١٣٢- حمارنة (د. نشأت) المعجمات الطبية ، مجلة مجمع اللغة بدمشق مجلد ٦٢ ص ٤٧١ .

المبحث الثالث

المصطلحية : النظرية والتطبيق

أولا : المصطلح والتعريف

توطئـــــة

(المصطلح) فى اللغة مصدر ميمى من الفعل (اصطلح) بمعنى اتفق . وبهذا المعنـى يتردد فى فصيح الكلام (اصطلح القوم على كذا ..) أى اتفقوا ، وأقدم من استخدم هذا الفعل فى المجال العلمى بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) فى صحيفته الشهيرة التى رواها برمتـها الجاحظ فى (البيان والتبيين) قال : اصطلحوا على تسمية مالم يكن له فى لغة العرب اسم). و (الاصطلاح) هو المصدر القياسى للفعل السابق ، وهو أسبق فى الاستعمال العلمى مـــن (المصطلح) الذى لم يتردد إلا فى كتب المتأخرين . فقد كان يقال فـــى كتـــب المتقدميـــن : اصطلاح النحويين وفى اصطلاح الفقهاء .. أو اصطلاحا أو فى الاصطلاح دون تعييـــن . وسبق (المصطلح والاصطلاح) وجرى معه فى الاستعمال كلمات أخرى مرادفـــة مثـل : أسماء وألفاظ وألقاب وأوضاع ومواضعات وكلمات . وقد ترددت هذه الكلمات فى عنـــاوين الكتب أو الرسائل أو فى ثناياهما فيما أشرنا إليه فى المبحثين السابقين عن نشأة المصطلـــح وتطوره ومصادره ، غير أن أقدمها استعمالا ورد فى ترجمة ابن المقفـــع (ت ١٣٩هـــ) لمنطق أرسطو حيث قال : .. ومن متاع صناعة المنطق أسماء على أمور مجهولـــة عنـد العامة " (١)

أما المصطلح Term عند أهل الاختصاص فهو : رمز لغوى يتألف من الشكل الخارجى و المفهوم ، وهو معنى من المعانى يتميز عن المعانى الأخرى داخل نظام من التصورات أو المفاهيم . إنه بأوجز عبارة : رمز يعبر عن مفهوم خاص فى مجال محدد (٢)

ويعرف الجرجانى الاصطلاح بقوله : عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشئ باسم مـــا ينقل عن موضعه".. إنه بعبارة موجزه : لفظ معين بين قوم معينين " .

ويحرص علماء المصطلحية على أن ينبهوا إلى وجوب أن يكون للمصطلح معنى محدد لا يلتبس بمعنى أى مصطلح آخر فى حقله ، ولهذا أعطوا أهمية خاصة للتعريف Definition

ويقصدون به : الوصف اللفظى لتصور ما ، يسمح بالتفريق بينه وبين تصورات أخرى داخل منظومة تصورات (٣).

وليس الاصطلاح مجرد اتفاق بين أهل العلم أو الصناعة على مدلول خاص فحسب ، بل إنه قائم على معايير . إن أى محاولة للتصنيف فى أقسام ينبغى أن تقوم على وجوه شبه أو خلاف فى كل ما يدخل فى القسم المفترض وتميزه عما عداه ، ولهذا لجأ أهل الاصطلاح إلى التعريف لكى يحدوا به المعرف بحيث يكون جامعا مانعا .

والتعريف – كما يقول التهانوى – هو الطريق الموصل إلى المطلوب التصورى ويسمى معرفا بكسر الراء المشددة ، وقولا شارحا أيضا ، ويسمى حدا أيضا عند الأصوليين وأهل العربية .

ومن جملة ما تحصل من مصنفات المناطقة والفقهاء واللغويون يقال فى حد التعريف إنه: مجموع الصفات التى تكون مفهوم الشئ وتميزه عما عداه .

والتعريف إذا عين ماهية الشئ سمى حدا ، وإذا ميزه عن غيره سمى رسما ، ويسمى حدا أيضا .

والتعريف قسمان : تعريف حقيقى ، ويقصد به تحصيل ما ليس بحاصل من التصورات، سواء أكانت المفهومات معلومة الوجود فى الخارج ويسمى تعريفا بحسب الحقيقة أم غير معلومة ، ويسمى تعريفا بحسب الاسم .

وتعريف لفظى ويقصد به أن اللفظ المذكور موضوع بإزاء الصورة المشار إليها ، فمعنى قولنا الغضنفر: الأسد هو أن ما وضع له الغضنفر هو ما وضع له الأسد ، فالمستفاد منه تعيين ما وضع له لفظ الغضنفر من بين سائر المعانى. والعلم بوصفه له .

ومن حق التعريف اللفظى أن يكون بألفاظ مفردة مرادفة ، فإن لم توجد ذكر مركب يقصد به تعيين المعنى لا تفصيله ، ويجرى فى الحروف والأفعال أيضا .

ويحترز فى التعريف – بعامة – عن الألفاظ الغريبة الوحشية ، وعن المشترك والمجاز بلا قرينة ، وبالجملة فعن كل لفظ غير ظاهر الدلالة على المقصود .

وثمة نوع من التعريف شائع فى خطاب المتعلمين ، وهو التعريف بالمثال سواء كان جزئيا للمعرف نحو الاسم كزيد والفعل كضرب أو لا يكون مثل : العلم كالنور والجهل

كالظلمة ، وهو فى الحقيقة تعريف بالمشابهة التى بين المعرف والمثال ، فإن كانت تلك المشابهة مفيدة للتمييز فهى خاصة لذلك المعرف ، فيكون التعريف بها رسما ناقصا داخلا فى أقسام المعرف الحقيقى وإلا لم يصح التعريف به ، وعلى أية حال فليس التعريف بالمثال قسما على حدة (٤).

وفى الموضوع تفصيل وتحقيق فيما يجئ من فقرات :

التعريف (الحد) عند الفلاسفة

عرف العرب أرسطو المنطقى قبل أن يعرف أرسطو الميتافيزيقى ، وترجم الأورجانون، قبل أن يترجم كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان ، وللأرجانون فى العالم العربى منزلة خاصة ، فكانت أجزاؤه الأولى الثلاثة أول ما ترجم من الكتب الفلسفية إلى العربية ، ترجمها عبد الله بن المقفع على أرجح الأقوال ، ثم ألحقت بها الأجزاء الأخرى وشرحت واختصرت كما أوضحنا فى المبحث الأول .

وقد كان الحديث عن الحد فى مطالع كتب المنطق ضروريا ، فمعرفة حقيقة الأشياء هى معرفة حدودها ورسومها ، " وذلك أن الأشياء كلها نوعان : مركبات وبسائط ، فأما المركبات فتعرف حقائقها إذا عرفت الأشياء التى هى مركبة منها ، والبسائط تعرف حقائقها إذا عرفت الصفات التى تخصها"(٥)

وقد استخدم منطق أرسطو بداية من النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى فى بعض العلوم العربية والإسلامية ، وغيرها بالضرورة ، وشاعت مصطلحاته فى بعض دوائر العلم، مما أثار بعض الدوائر المحافظة ، فقد هاجمه كثيرون ومنهم لغوى مشهور هو ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ورأى أن من يطالعها لا ينال منها بطائل ، بل إنه يعدها هذيانا (٦) .

وعلى أية حال فقد عد بعض المصنفين هذا المنطق آلة العلوم ، ووجدوا من الضرورى أن يفيدوا منه ، ولهذا الاعتبار ألفت كتب عنواناتها : حدود المنطق ، حدود النحو حدود الفقه .. الخ وروعيت مبادئه فى أقسامها وتعريفاتها ما أمكن ذلك . ولنأخذ فى بيان الطريق الذى سلكه الفلاسفة وغيرهم ممن تكلموا فى التعريف أو الحد من حيث مفهومه وما يتألف منه ، وغرضه ، ومواضع الزلل فيه .. الخ

ونبدأ بعبد الله بن المقفع (ت ١٣٩هـ) الذى يقرر فى مفتتح ترجمته لمنطق أرسطو أن لكل صناعة متاعا [يقصد موضوعا] وأن للأمتعة أسماء يعرفها أهل تلك الصناعة ويجهلها من سواهم .. ولا يمكن أن نعرف الصناعة إلا بمعرفة موضوعاتها وآلاتها ، والطريق إلى ذلك يكون بالقسمة [يقصد بالتحليل إلى مكونات] وبالحد .

ثم يعرف الحد بقوله : هو الكلام الجامع الوجيز المحيط ، كقول القائل فى حد الإنس ، حى ناطق مائت .

والحد عنده جامع لموضوعاته وحاجز بينه وبين غيره مثل حدود الأرضين ، والدور ، ومن صفته : أن الزيادة فيه نقصان والنقصان فيه زيادة ، وذلك أننا إذا قلنا فى حد الإنسان : إنه حى ناطق ميت ، فلو زدنا فى هذا الحد فقلنا : حى ناطق كاتب ، لكنا نقصنا من الحد ، فلم يحط إلا كل كاتب من الناس ، ولو نقصنا من الحد فقلنا : حى ميت لزدنا ذلك فى الحد ، حتى يجاوز الناس إلى البهائم والطير وسائر الحيوان ، فكلها حى ميت (٧)

ويعرف ابن بهريز (ت ٨٦٠م) الحد بأنه مقال وجيز دال على ذات الشئ المحدود ، وهو يعنى تقريبا الحد عند أرسطو حيث قال : الحد القول الدال على ماهية الشئ ، وقوام الحد من أربعة أشياء :

أحدها : من الجنس والفصول المنشئة للصور كالإنسان حى ، وهو جنس يعم الناطق وغير الناطق والمائت وغير المائت .

والثانى : من عنصر الشئ كقولنا فى الطب إنه معافاة أجساد الإنس

والثالث : من غايته كقولنا فى الطب إنه إفادة الأجساد الصحة .

والرابع : العنصر والتمام (يقصد الغاية) وهو كامل : كقولنا فيه أيضا إنه معافاة أجساد الإنس ليفيدها الصحة"(٨)

أما الكندى (ت ٢٥٥هـ) فيقرر أن العلم بالشئ لا يكون إلا بحده ، ويعرفه بأنه : قول مركب من جنس يكون منه الشئ المحدود ومن فصل به يتميز عن كل شئ " (٩) ومن ثم فإن الحد عنده يساوى التعريف بالحد والرسم كما سنتبين فيما بعد .

والحد عند الفارابى (ت ٣٣٩هـ) يدل على جوهر الشئ ، وعلى كل مابه قوامه " وهو يتركب من جنس وفصل مثل قولنا : زيد حيوان ناطق أو من جنس وخاصة مثل قولنا :

زيد حيوان ضحاك ، وكل منهما يسمى حدا ، وقد يتركب من جنس وعرض مثل : زيد حيوان أبيض أو من عرضين نحو : زيد طبيب حاذق ، وكل منهما يسمى رسما (١٠)

وقد جرى ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) فى تعريفه للحد على ما ذكره الحكيم أرسطو فى كتابه طوبيقا من أنه : القول الدال على ماهية الشئ أى على كمال وجوده الذاتى ، وهو ما يتحصل له من جنسه القريب وفصله ، وعرف الرسم التام بأنه قول مؤلف من جنس شئ وأعراضه اللازمة له حتى يساويه ، وعرف الرسم مطلقا بأنه قول مؤلف من جنس شئ وأعراضه اللازمة له حتى يساويه ، وعرف الرسم مطلقا بأنه قول يعرف الشئ تعريفا غير ذاتى ولكنه خاص ، أو بأنه قول مميز للشئ عما سواه لا بالذات "

وقد أجرى ابن سينا تعديلا فى نظريته التى فصلها فى رسالة الحدود والتى نقلنا عنها التعريفين السابقين فى كتاب له آخر هو (منطق الشرقيين) إذ يعتمد على التعريف باللوازم واللواحق ، ذلك التعريف الذى لا يبلغ جوهر الشئ وذاته بل الأسباب الخارجة عنه .. ولا سبيل إلى هذا الضرب من التعريف إلا بالاستقراء مما يختلف عن التعريف الأرسطى الذى يعتمد القسمة والتركيب "

وقد اهتم ابن سينا كذلك بمواضع الزلل فى الحدود ، فتحدث عن الحدود والرسوم الناقصة ، وأسباب عجزنا وتقصيرنا فيها (١١)

وتبلغ نظرية الحد مرحلة النضج عند الغزالى (ت ٥٠٥هـ) فى كتابه (معيار العلم) الذى سبق الحديث عنه فى المبحث الثانى ، لقد أعاد الغزالى صياغة نظرية التعريف السينوية ، وأقر تعريفاته أيضا ولم يغير فيها إلا نادرا ، كما استعان فى تنظيم القسم الخاص بالحد فى كتابه السالف بكتاب (النجاة) لابن سينا . وبهذا العمل استقر المصطلح الفلسفى واستقرت حدوده إلى غاية بعيدة (١٢)

التعريف عند الأصوليين والنحاة

يعرف ابن فورك (ت ٤٠٦هـ) الحد فى كتابه (الحدود فى الأصول) بأنه القول المميز بين المحدود وبين ما ليس منه بسبيل " وهو يساوى الرسم عند المناطقة (١٣) ويقول إمام الحرمين أبو المعالى الجوينى (ت ٤٧٨هـ) : حد الشئ وحقيقته خاصيته التى بها

يتميز، وهو عند القاضى أبى بكر : القول المفسر لاسم المحدود وصفته على وجه يخصه ويحصره .. " (١٤)

ويعرفه الباجى (ت ٤٧٤هـ) بأنه اللفظ الجامع المانع ، ثم يفسره بقوله : معنى الحد ما يميز به المحدود ، ويشتمل على جميعه ، وذلك يقتضى أنه يمنع مشاركته لغيره فى الخروج عن الحد ، ومشاركة غيره فى تناول الحد له (١٥)

أما ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) فيخص الحد بالحد الحقيقى لا الرسمى ، ويقول فى تعريفه إنه لفظ وجيز يدل على طبيعة الشئ المخبر عنه كقولك : الجسم هو كل طويل عريض عميق ... فكانت هذه العبارة مخبرة عن طبيعة الجسم ، ومميزة له مما ليس بجسم .. ثم يعرف الرسم بأنه لفظ وجيز يميز المخبر عنه مما سواه فقط دون أن ينبئ عن طبيعة الشئ ، كقولك : الإنسان هو الضحاك ، فإنك ميزت الإنسان بهذا اللفظ تمييزا صحيحا مما سواه ، إلا أنك لم تخبر بطبيعته " (١٦)

وقد جرى النحاة على تعريف الحد عند الأصوليين ، فابن الحاجب وهو نحوى وأصولى مشهور (ت ٦٤٦هـ) يقول : الحد عند الأدباء : المعرف الجامع المانع . وفى حاشية الفوائد الضيائية فى شرح عبارة الكافية : ليس غرض الأدباء من الحد إلا التمييز التام ، أما التمييز بين الذاتيات والعرضيات فوظيفة الفلاسفة الباحثين عن أحوال الموجودات على ماهى عليه .(١٧)

ويقول الفاكهى فى شرح الحدود النحوية : الحد والمعرف فى عرف النحاة والفقهاء والأصوليين اسمان لمسمى واحد .. وهو مايميز الشئ عما عداه .. ولا يكون كذلك .. إلا إذا كان جامعا لأفراد المحدود مانعا من دخول غيرها .. ثم يعلق قائلا : وخرج بعرف النحاة والفقهاء والأصوليين عرف المنطقيين ، فإن المعرف بكسر الراء بالمعنى المذكور عندهم أعم من الحد لشموله له وغيره .. ثم يأخذ فى تعداد الحدود الأربعة عندهم : الحد التام والناقص والرسم التام والناقص (١٨)

وقد حكى ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فى كتابه (الرد على المنطقيين) قصة الخلاف بين المناطقة والمتكلمين ووجهه ، فرأى أن المحققين من النظار يعلمون أن الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره ، على حين يدعى أهل المنطق اليونانى أتباع أرسطو ومن حذا حذوهم من الإسلاميين أنه يصور المحدود ويعرف حقيقته .

ورأى أن سائر طوائف النظار من المعتزلة والأشعرية والكرامية والشيعة وغيرهم ممن صنف من أتباع الأئمة الأربعة أن الحدود تفيد التمييز بين المحدود وغيره .. ويذكر من كبار القائلين بهذا : أبا الحسن الأشعرى وأبا هاشم وعبد الجبار والقاضى أبا بكر وابن فورك والجوينى .. الخ (١٩)

وحكى ابن تيمية تفسير الغزالى اكتفاء المتكلمين بالتمييز فى الحد باستعصائه عليهم بالشروط التى شرطها المناطقة ، وأنكر جدواه مع هذه الشروط ، بل قرر بطلانه ، واحتج لذلك باحتجاجات كثيرة ليس هنا مجال ذكرها ، وذكر فى آخر كلامه أن طريقة المتكلمين أسد فى تحصيل المقصود الصحيح بالحدود (٢٠)

التعريف فى المجال التطبيقى

لن نتمكن على أية حال من الحديث عن الطريقة التى استخدمها العلماء فى تأليف التعريف أو الحد فى كل العلوم التى سبق الحديث عنها ، فهذا فوق طاقة هذا العمل ، ولهذا سوف نكتفى بالحديث عن علمين منها فحسب : الفقه والنحو ففيه غناء

أ – التعريف الفقهى

لقد رأينا عند الحديث عن مصادر المصطلح الفقهى أن أغلب المصنفين يرتب المصطلحات وفقا لأبوابه من العبادات والمعاملات .. الخ وأن المصنف حين يعرف بعنوان الباب أو الفصل يبدأ ببيان معناه فى اللغة ثم ببيان معناه فى الشريعة أو فى الاصطلاح ، وقد أصبح ذلك : قاعدة كلية نافعة جارية معتبرة فى جميع الكتب الفقهية " كما يقول على بن مجد الدين الشهير بمصنفك (٢١)

وقد رأينا أيضا أن الفقهاء يعنون غالبا بالتعريف أو بالحد : القول الجامع الذى به يتميز المعرف عما عداه ، وهم يجتهدون فى بيان ما ينبغى أن يتوفر فيه من خصائص أو قيود ليكون وافيا بالمقصود .

وبداية من القرن الخامس الهجرى برز الاهتمام بالخصائص التى ينبغى أن تتوفر فى التعريف أو الحد .

فالبزدوى (ت ٤٨٢هـ) مثلا وهو من أكابر فقهاء الحنفية يقول : اللفظ لا يصح إلا بمعناه " أى بمفهومه ، ثم يفسر معناه بقوله : " ومعناه لايكون إلا بركنه لأن حقيقته إنما هى

ركنه ، ولا يجود إلا عند تحقق شرطه ، إذ هو موقوف عليه لا وجود له إلا معه ، ولا يشرع إلا لحكمة ؛ إذ بذلك يخرج عن حد السفه والعبث ، وحكمته إنما هى حكمة المقصود منه " (٢٢)

والغزالى (ت ٥٠٥هـ) يعالج فى كتابه الشهير (الوجيز) أبواب الفقه على النحو السابق ، فيبدأ الباب بتعريف موجز بموضوعه وبمنهجه فى علاجه ، يقول فى بداية كتاب (الصوم) .. أما الصوم فالنظر فى سببه وركنه وشرطه وسننه .. " ثم يفصل القول : أما سببه فرؤية الهلال .. الخ وركن الصوم هو النية والإمساك ... " ثم يفصل فى شرائطه ويقول : وهى أربعة ثلاثة فى الصائم وهى النقاء من الحيض .. الخ ثم يتحدث عن سننه : وهى ثمانية تعجيل الإفطار وتأخير السحور .. الخ " (٢٣)

فبيان السبب والركن والشرط والحكم هى العناصر التى تحدد مفهوم الباب الفقهى . وقد أصبح ذلك قاعدة كلية جارية فى جميع الكتب الفقهية .

ب - التعريف النحوى

وقد جرى النحاة فى حدودهم على ما جرى عليه الأصوليون ، فاجتهدوا فى أن يكون الحد النحوى جامعا مانعا ، متضمنا العناصر التى تميزه عما عداه ، وقد تفاوتوا فى وضعها تفاوتا واضحا ، ومن ثم نجد بينهم خلافا طويلا - لأنهم - كما قلنا غير مرة - اعتمدوا على الصفات المميزة أو الفارقة ، فالأنبارى (ت ٥٧٧هـ) يذكر بعض حدود الاسم ، ثم يقول : وقد ذكر فيه النحويون حدودا كثيرة تنيف على سبعين حدا ، ومنهم من قال : لا حد له .. ثم يقول كلاما مشابها عن حد الفعل والحرف (٢٤)

ويقول ابن السراج (ت ٣١٦هـ) وهو من أوائل المعنيين بالتعريفات - فى حد الاسم: ما دل على معنى مفرد ... ثم يبين غرضه من هذا التحديد فيقول : وإنما قلت ما دل على معنى مفرد ، لأفرق بينه وبين الفعل ، إذ كان الفعل يدل على معنى وزمان .. ثم يعرف الفعل بقوله : ما دل على معنى وزمان .. ثم يقول : وقلنا وزمان لنفرق بينه وبين الاسم الذى يدل على معنى فقط .. " (٢٥)

وقد كان النحاة المتأخرون أطول باعا فى صياغة الحدود النحوية ، فالجامى (ت ٨٩٨هـ) يعرف الحرف والاسم والفعل مبينا المكونات الفارقة الحاصرة لكل فيقول :

علم بوجه الحصر أن الحرف كلمة لا تدل على معنى فى نفسها ، بل تحتاج إلى انضمام كلمة أخرى إليها ، والاسم كلمة تدل على معنى فى نفسها لكن غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ، والفعل كلمة تدل على معنى فى نفسها مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ، فالكلمة مشتركة بين الأقسام الثلاثة ، والحرف ممتاز عن أخويه بعدم الاستقلال فى الدلالة ، والفعل ممتاز عن الحرف بالاستقلال وعن الاسم بالاقتران ، والاسم ممتاز عن الحرف بالاستقلال وعن الفعل بعدم الاقتران ، فعلم لكل واحد منها معرف جامع لأفراده ، مانع عن دخول غيرها "

ثم يبين المراد بالحد بقوله : وليس المراد بالحد ههنا إلا المعرف الجامع المانع " (٢٦)

وهذا مثال آخر من باب آخر يوضح طريقتهم فى التعريف ، وبيان ما يدخل فيه وما يخرج.

يقول ابن مالك (ت ٦٧٣هـ) فى ألفيته :

الحال وصف فضلة منتصب ... مفهم فى حال كفردا أذهب

ويشرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) تعريفه ويقول : عرف الحال بأنه : الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة " ... وخرج بقوله (فضلة) الوصف الواقع عمدة ، نحو : زيد قائم ، وبقوله (للدلالة على الهيئة) التمييز المشتق نحو : لله دره فارسا ، فإنه تمييز لا حال على الصحيح ؛ إذ لم يقصد به الدلالة على الهيئة ، بل التعجب من فروسيته .. وكذلك رأيت رجلا راكبا ، فإن (راكب) لم يسق للدلالة على الهيئة بل لتخصيص الرجل .. وقول المصنف (مفهم فى حال) هو معنى قولنا (للدلالة على الهيئة) (٢٧)

وطريقة الإخراج والإدخال هى تحقيق للمبدأ الذى يقوم عليه التعريف بأن يكون جامعا مانعا.

غير أن بعض النحويين أجرى تعريف الحد الحقيقى على بعض المعرفات ، كابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) الذى يعلق على تعريف الزمخشرى للكلمة بأنها اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع " فيقول : اعلم أنهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة شئ وتمييزه من غيره تمييزا ذاتيا حدوه بحد يحصل لهم الغرض ، وقد حد صاحب الكتاب الكلمة بما ذكر ، وهذه طريقة الحدود ؛ أن يؤتى بالجنس القريب ثم يقرن به جميع الفصول ." ثم يأخذ فى إجراء الحد بالشرط السابق (٢٨)

معايير التعريف

رأينا الفقهاء يضعون قاعدة كلية لهذا التخصيص فيبينون ما ينبغى أن يتوفر فى المفهوم الفقهى من خصائص هى السبب والركن والشرط والحكمة ، وقد يضيفون إلى ذلك خصائص أخرى ، وباب الاجتهاد فى بيانها مفتوح .

وقد تعددت المعايير التى اعتمدها النحاة فى تعريف الأقسام أو الأبواب النحوية ، فقد اعتمد بعضهم المعنى وحدوا الاسم مثلا بأنه صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمن " واعترض بعضهم عليه ، " لأنه ليس من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم ، وإنما هو من كلام المنطقيين " كما يقول الزجاجى ، واعترض عليه آخرون باعتراضات أخرى (٢٩)

وفضل بعض النحويين معيار الوظيفة التى يقوم بها فى الكلام أو الباب الذى ينتسب إليه فى النظام النحوى ، حده الزجاجى بقوله : الاسم فى كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا به أو واقعا فى حيز الفاعل والمفعول به " (٣٠)

وقد لجأ بعضهم إلى ما سموه العلامات ، وهى معايير شكلية ، يميزون بها كل قسم من أقسام الكلام عن نظيره ، بل وفروع كل قسم أيضا ، وقد جمع الأنبارى أغلبها ، ومن بين ما ذكره من علامات الاسم : قبوله الألف واللام والتنوين وحروف الجر والتثنية والجمع والنداء والتصغير والنسب والوصف .. " (٣١)

ثانيا : من مبادئ العملية المصطلحية

المبدأ الأول : اللغة عرفية

لا أحد يجادل اليوم فى هذا المبدأ ، ومن ثم فيما يمكن أن ينبنى عليه من مبادئ لغوية أخرى ، مثل مبدأ التغير اللغوى . إن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية Arbitrary عرفية Conventional فليس ثمة علاقة ضرورية أو طبيعية بين الدال والمدلول ، ولهذا اختلفت اللغات ، واختلفت لهجات اللغة الواحدة ، وليس لدينا سبب جوهرى يبين لنا لماذا اختير دال بعينه لمدلول بعينه ، وفى كل لغة من اللغات الحية يمكن أن يستبدل بدال معين دالا آخر متى اجتمع أصحاب اللغة على ذلك .

وليس اجتماع أصحاب اللغة أو مايسمى الجماعة اللغوية مقصورا على استخدام الألفاظ فحسب ، بل يشمل كل أنظمة اللغة ، مثل بناء الكلمات وبناء الجمل . وليس هذا الاتفاق عملا صريحا واضحا فى الأحوال العامة ، فلم يجتمع الناس فى مؤتمر أو مجمع ليتفقوا على استخدام كلمة أو جملة ، وإن كان هذا يحدث أحيانا فى اللغات الخاصة بالعلوم والفنون والصناعات ، إنه فحسب اتفاق فى السلوك والعمل . إن المتكلمين فى مجتمع معين يستخدمون نفس الكلمات للإشارة إلى نفس الأشياء ، ويستخدمون أنواعا من التراكيب للتعامل بها فى مواقف متشابهة ، إنه العرف الضمنى الذى يكون الأنظمة اللغوية ويقرها ويحافظ عليها ، وكل منا يكتسب لغته من مجتمعه المعين ويتلقى بين أحضانه كل القواعد التى تنتظم لغته (٣٢)

العرفية عند الفلاسفة

بدأت مشكلة العلاقة بين الدال والمدلول تظهر فى التراث العربى حين عرف العرب منطق أرسطو الذى ترجم بداية من النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

ومن المعروف أن هذه العلاقة كانت من موضوعات المبحث الأول من مباحث المنطق الثلاثة ، وهو مبحث التصورات أو الألفاظ أو الحدود ، وأن أرسطو قد حدد طبيعة هذه العلاقة فى مطلع كتابه (العبارة) .

وقد جرى شراح أرسطو من الفلاسفة المسلمين على ما اختاره ، وقالوا : إنها علاقة قائمة على الاتفاق أو التواطئ ، وأنكروا – كما أنكر أرسطو – المناسبة الطبيعية بين الدال والمدلول .

فابن حزم (ت ٤٥٦هـ) يفسر ما يعنيه أرسطو بالاتفاق – عند تعريفه للاسم – بأنه اصطلاح أهل اللغة على اختصار المعانى الكثيرة فى لفظ محدد ، ويمثل له باتفاق العرب على تسمية الحيوان طويل العنق ، أحدب الظهر ، عالى القوائم .. الخ بعيرا ، واتفاق العجم على اسم آخر لنفس الحيوان (٣٣)

وابن رشد (ت ٥٩٥هـ) يعلق على التعريف نفسه ويقول : وإنما زيد فى حد الاسم (بتواطئ) من قبل أن الألفاظ التى ينطق بها الناس ليست دالة بالطبع مثل كثير من الأصوات التى تنطق بها الحيوانات التى لا تكتبْ ، فإن الأصوات التى ينغم بها كثير من الحيوان مؤلفة من المقاطع التى تؤلف منها الألفاظ التى ينطق بها الإنسان أو من مقاطع مؤلفة من حروف تقاربها فى المخرج ، وهى دالة على معان فى أنفسها عند الحيوان (٣٤)

ويفسر ابن حزم وجه الخلاف بين أصوات الحيوان بل أصوات الطبيعة وأصوات الإنسان المتواطئ عليها ، بأن الصوت الإنسانى يدل بالقصد أى بالاختيار النابع عن إرادة ، يقول : وأما الصوت الذى يدل بالقصد ، فهو الكلام الذى يتخاطب به الناس فيما بينهم ويتراسلون .. لإيصال ما استقر فى نفوسهم من عند بعضهم لبعضهم " (٣٥)

ويفسر الفارابى (ت ٣٣٨هـ) كيف وقع التواطؤ فيقول : يتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا أو لفظة فى الدلالة على شئ ما ، عندما يخاطب غيره ، فيحفظ السامع ذلك فيستعملها بعينها ... فيكونا قد اصطلحا وتواطآ على تلك اللفظة ، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن يشيع عند جماعة .. الخ " (٣٦)

وليس ما يقوله الفارابى ببعيد عما يقوله اللغويون المحدثون فى هذا الصدد (٣٧)

العرفية عند الأصوليين

انتقل الخلاف الفلسفى بين القائلين بالمناسبة الطبيعية والمنكرينها إلى حلقات المتكلمين والأصوليين .

يقول الآمدى (ت ٦٣٢هـ) ذهب أرباب التكسير وبعض المعتزلة إلى وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه ، لأنه لو لم يكن بين اللفظ ومعناه مناسبة طبيعية لما كان اختصاص ذلك المعنى بذلك اللفظ أولى من غيره " (٣٨)

وأنكر الجمهور هذه المقالة التى يعزوها السيوطى إلى عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة ، وقال : لو ثبت ما قاله لا هتدى كل إنسان إلى كل لغة " (٣٩)

ويقول الآمدى فى الرد على القائلين بالمناسبة الطبيعية : ولا وجه لهذا الرأى فإنا نعلم أن الواضع فى ابتداء الوضع ، لو وضع لفظ الوجود على العدم والعدم على الوجود ، واسم كل ضد على مقابله لما امتنع ..." ثم ينتقل إلى إثبات الوضع الاختيارى بقوله : وإذا بطلت المناسبة الطبيعية ، ظهر أن مستند تخصيص بعض الألفاظ ببعض المعانى هو الوضع الاختيارى " (٤٠)

بقيت مسألة جدلية شائكة هى : متى كان هذا الوضع وكيف كان ؟ وتجرنا هذه المسألة إلى الخلاف الشديد بين القائلين بأن اللغة توقيف من الله تعالى ، والقائلين بأنها اصطلاح وتواطؤ .. والقائلين بقدر يحصل به التنبه والحث على الاصطلاح يكون بالتوقيف وما بعده يكون بالاصطلاح . ويعجبنى هنا ما علق به الغزالى (ت ٥٠٥هـ) بقوله : والمختار أن النظر فى هذا إما أن يقع فى الجواز أو فى الوقوع ، أما الجواز العقلى فشامل للمذاهب الثلاثة ، والكل فى حيز الإمكان .. أما الواقع من هذه الأقسام فلا مطمع فى معرفته يقينا .. ومن ثم فالخوض فيه فضول لا أصل له . (٤١)

العرفية عند اللغويين

قد يبدو بين بعض الألفاظ ومدلولاتها مناسبة طبيعية من نوع ما ، كالألفاظ التى بينها ما يعرف بالمحاكاة الصوتية onomotopia (مثل قهقه فى العربية ، وهى محاكاة لصوت الضحك) .. بيد أن هذا النوع من المحاكاة – كما يقول سوسير – لا يمثل أبدا عناصر عضوية فى النظام اللغوى .. وهى كلمات قليلة لا تمثل ظاهرة لغوية تفسد القاعدة العامة"(٤٢)

لاحظ الخليل بن أحمد نوعا من المناسبة بين بعض الألفاظ (٤٣) ولاحظ سيبويه نوعا آخر فى بعض الأبنية (٤٤) . ولعل اعتداد اللغويين بهذا النوع من الألفاظ – على الرغم من

اتفاقهم على عرفية الألفاظ فى جملتها – هو الذى جعل السيوطى يقول : وأما أهل اللغة والعربية ، فقد كانوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعانى ، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهبه [يعنى مذهب عباد بن سليمان] أن عبادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم "(٤٥)

وقد التقط ابن جنى (ت ٣٩٣هـ) ما قاله الخليل وسيبويه وبنى عليه بابا فى (الخصائص) بعنوان (باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى) قال فيه : اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته، قال الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر ، وتوهموا فى صوت البازى تقطيعا فقالوا : صرصر . وقال سيبويه فى المصادر التى جاءت على الفعلان إنها تأتى للاضطراب والحركة نحو : النقزان والغليان والغثيان فقابلوا بتوالى حركات المثال حركات الأفعال ، ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ما مثلاه، وذلك أنك تجد المصادر المضعفة تأتى للتكرير نحو : الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة .. الخ(٤٦)

وقد كان ابن جنى واعيا بالعلاقة بين اللغة والجماعة التى تستخدمها وباختلاف اللغات لاختلاف الجماعات ، وهو صاحب أول تعريف للغة بمعناها العام ، إذ قال : إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

وقد وقف ابن جنى موقفا وسطا بين القائلين بالتوقيف والمواضعة ، ولم ينكر على هؤلاء أو هؤلاء ، بيد أن له رأيا طريفا فى الطريقة التى تمت عليها المواضعة ، يقول : كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات فيضعوا لكل واحد سمة ولفظا "(٤٧) والمواضعة فى اللغة العامة لا تتم على هذا النحو المقصود ولا تقتصر على الحكماء واللغويين بل تتم عن طريق اتفاق الجماعة المعينة ، بيد أن ما افترضه قد يتحقق على نحو أو آخر فى اللغة الخاصة لغة العلوم والفنون والصناعات ، كما قلنا من قبل .

المبدأ الثانى : التغير اللغوى

قلنا سابقا إن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية عرفية ، وينبنى على هذا أن اللغة ليست أسماء تقابل مفاهيم موجودة سلفا أو ثابتة لا تتغير فالتغير يلحق الدال كما يلحق المدلول ، وهذا أمر واقع لا يحتاج إلى تدليل .

والتغير اللغوى – كالتغير الاجتماعى – أمر لا محيد عنه ، وليس ثمة لغة فى العالم استطاعت أن تقاومه ، بيد أنه ربما لا يبدو لنا واضحا ، لأنه يستغرق وقتا طويلا حتى يسود ويلحظ ، وهو يسرى فى نسيج اللغة ببطء شديد حتى لايكاد يدرك ، ويتوقف على عوامل كثيرة معقدة . من ذلك مثلا أنه – كالتغير الاجتماعى – يخضع لقوانين ولا تحكمه إرادة فرد أو أفراد ، وهو يلحق عناصر اللغة المختلفة : الأصوات والأبنية والدلالات . ولكن التغير الدلالى أسرع وقوعا وأوضح أثرا ، لإنه مصاحب للتغيرات الاجتماعية والثقافية والبيئية التى تقع مع توالى الأزمان .

ولأن اللغة – كأى ظاهرة اجتماعية – نتاج موروث من أجيال سابقة ينبغى علينا قبوله للحفاظ على تماسك المجتمع وتفاهمه ، فإن الدوال غالبا ما تحتفظ بثبات نسبى . وعلى هذا فاللغة خاضعة لعاملين متقابلين: أحدهما يعمل على تغيرها – لأنها واقعة فى الزمن ، ومرتبطة بعوامل اجتماعية متغيرة ، والثانى يعمل على ثباتها – لأنها ميراث السلف لايمكن التفريط فيه .(٤٨)

وسوف يقتصر بحثنا بالطبع على التغير الدلالي ؛ لأنه الذى يعنينا فى هذا البحث.

التغير الدلالى عند اللغويين

أدرك اللغويون – على الرغم من اختلافهم فى القول بالاصطلاح أو بالتوقيف – أن الألفاظ تختلف مدلولاتها بتغير الأزمان والأحوال ، قالوا بذلك صراحة وبنوا عليه كثيرا من أحكامهم .

ربما كان ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) أول من تحدث عنه ، ففى مطلع كتابه (غريب القرآن) يفسر معانى أسماء الله الحسنى نحو : السلام والمهيمن .. الخ ومعانى بعض الأسماء التى يكثر ترددها فى القرآن مثل : الكفر والظلم والنفاق .. الخ فيما قبل الإسلام ثم يستشهد لهذه المعانى بأشعار العرب وكلامهم ، ثم يبين معانيها فى الإسلام مستشهدا عليها بما فى الكتاب والسنة ، ولعله أول من أطلق على هذه الألفاظ مصطلح الألفاظ الإسلامية(٤٩)

ومع أن ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) كان من القائلين بالتوقيف فإنه يصرح بنقل اللفظ من معنى إلى آخر لاختلاف أحوال الناس وحاجاتهم ، يقول : كانت العرب فى جاهليتها على

إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر ... فمما جاء فى الإسلام الصلاة ، وأصله فى لغتهم الدعاء ... فالعرب لم تعرف الصلاة بمثل ما أتت به الشريعة من الأعداد والمواقيت والهيئات ... والوجه فى هذه الألفاظ الإسلامية من الصلاة والحج والزكاة ... الخ أن يقال : فى الصلاة اسمان لغوى وشرعى ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به ، وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان لغوى وصناعى "(٥٠)

ولقد رأينا عند الحديث عن مصادر المصطلح الفقهى كيف انتهج الفقهاء هذا المنهج فى التعريف بالمصطلح فى اللغة أولا وفى الشريعة أو الاصطلاح ثانيا .

وفى تراثنا اللغوى كتاب فريد خصصه صاحبه أبو حاتم الرازى المتوفى ٣٢٢هـ لهذا الموضوع وهو (الزينة فى الكلمات الإسلامية) وهو أول كتاب فى العربية يعالج دلالة الألفاظ وتطورها ويسوق النصوص والشواهد التى تؤيد ما يقول .

يضم الكتاب ما يقرب من أربعمائة كلمة من المصطلحات الدينية بعضها ورد فى القرآن الكريم ، وبعضها ورد فى الحديث الشريف ، وبعضها يتردد على ألسنة الفقهاء والمتكلمين . يقول محقق الكتاب الدكتور حسين بن فيض الله : جمع المؤلف من شتى الألفاظ العربية ألفاظا تغيرت معانيها عما كانت عليه فى العصر الجاهلى .. وفى أغلب الأحوال يبدأ فى شرح الكلمة كما كانت مفهومة عند العرب فى الجاهلية ، ويستشهد على ما يقول ، وكثيرا ما كان يفسر الكلمات تفسيرا لغويا صرفا بذكر اشتقاقاتها ومعانيها ، وكذا يحدد المعرب منها وينسبه إلى لغته " (٥١)

وأبو حاتم يقسم الأسماء المعروفة فى العربية إلى قسمين : ألفاظ قديمة مأخوذة من كلام العرب وتستخدم فى معانيها المعروفة عندهم ، وألفاظ قديمة أيضا ومأخوذة من كلام العرب، ولكن العرب لم تكن تستخدمها بالمعنى الذى أعلمهم به النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو يرى مثلا أن لفظة الإسلام والأذان والصلاة والركوع والسجود .. الخ لم تعرفها العرب إلا على غير هذه الأصول ، لأن الأفعال التى كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم ، وإنما سنها النبى صلى الله عليه وسلم وعلمها الله إياهم ، فكانوا يعرفون الصلاة أنها الدعاء ، قال الأعشى فى صفة الخمر :

فإن ذبحت صلى عليها وزمزما

أى دعا لها ، وعلى هذا كانت سائر الأسامى " (٥٢)

التغير الدلالى عند الفلاسفة

بدأ أرسطو كتاب (المقولات) بمقدمة عن الألفاظ المفردة والمركبة وعلاقة الأسماء بالمسميات ، وقد اختلف الشراح فى تفسير هذا الموضع ؛ فى تفسير الألفاظ وفى تسمية كل قسم (٥٣) ، بيد أن الفارابى كان أوضحهم تفسيرا وأدقهم تقسيما ، فقد قسمها إلى ثمانية أقسام : منقولة ومستعارة ومشتركة ، ومتواطئ عليها ، وما يقال على الشئ بعموم وخصوص ، ومتباينة ومترادفة ومشتقة . يعنينا منها المنقولة والمشتركة مادام حديثنا هنا عن التغير الدلالى ، فهى بهذا الخصوص أعلق .

يقول فى تعريف الاسم المنقول : أن يؤخذ اسم مشهور كان منذ أول ما وضع دالا على ذات شئ ما ، فيجعل بعد ذلك اسما دالا على ذات شئ آخر ، ويبقى مشتركا بين الثانى والأول فى غابر الأزمان "

ويقول عن الاسم المشترك : هو الذى يقال من أول ما وضع على أمور كثيرة من غير أن يدل على معنى واحد يعمها "

ثم يحدد الفرق بين المشترك والمنقول بقوله : إن المشترك (مثل كلمة عين) إنما وقع الاشتراك فيه منذ أول ما وضع من غير أن يكون أحدهما أسبق فى الزمان بذلك الاسم ، والمنقول هو الذى سبق به أحدهما فى الزمان ثم لقب به الثانى واشترك فيه بينهما بعد ذلك"(٥٤)

مما سبق نتبين أن المشترك والمنقول داخلان فيما يسمى المعنى المتعدد ، بيد أنهما يختلفان من جهتين : الأولى هى بداية الوضع ، فالمعانى المتعددة فى المشترك مصاحبة له فى الوضع الأول ، على حين يكون للمنقول معنى وضعى أولى ومعان أخرى تالية ، والثانية : أن المعانى المتعددة للمشترك لا ترد إلى معنى واحد يعمها على حين يمكن أن ترد فى المنقول إلى معنى واحد يعمها .

وسوف نعالج جوانب أخرى من هذا الموضوع فيما بعد

وقد أوضحنا سابقا أن الفارابي يقرر أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة قائمة على الاتفاق والتواطئ ، مما يفضي إلى القول بالتطور حتما . فهو يتصور نشأة اللغة من تصويتات أولية بغرض التنبيه والحث ، تتطور فيما بعد إلى تصويتات مختلفة يشار بها إلى أشخاص أو محسوسات مختلفة ".

" ولأن التصويتات الأولى كانت محدودة العدد لا توفي بما في ضمائر المتحدثين فاضطروا إلى تركيب بعضها من بعض بموالاة الحروف ، فتتألف ألفاظ تكون فيما بعد علامات لمحسوسات يمكن أن يشار إليها ، ولمعقولات تستند إلى محسوسات .. " (٥٥)

وهكذا تتطور اللغة من البسيط إلى المركب ، ومن المحسوس إلى المعقول ، وليس كلام الفارابي في هذا الصدد ببعيد عن تفسيرات اللغويين المحدثين لهذا التطور .

التغير الدلالي عند الفقهاء

لقد رأينا عند الحديث عن مصادر المصطلح الفقهي أن أغلب المصنفين يرتب المصطلحات وفقا لأبواب الفقه ، وأنه حين يعرف بعنوان الباب أو بما يتعلق به يبدأ ببيان معناه اللغوي ثم يثني ببيان المعنى الشرعي أو الاصطلاحي ، بيد أن بعض الأصوليين يقفون من قضية الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي موقف تحقيق وتفصيل ، والخلاف فيها ليس عظيم الثمرة كما سنرى .

فالقاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ينكر هذا النقل للألفاظ من معنى إلى معنى مدعيا أن هذه الألفاظ لو كانت تدل على غير معانيها اللغوية بغير قرائن تعين معانيها الشرعية الجديدة لما كانت في دلالاتها على معانيها الشرعية الجديدة عربية ، وذلك أن العرب لم يضعوها لهذا المعنى ، والقرآن كله عربي (إنا جعلناه قرآنا عربيا) .. ومن ناحية أخرى لو أن الشارع نقل هذه الأسماء عن أوضاعها اللغوية التي يعرفها العرب إلى أوضاع شرعية أخرى لوجب تعريف الأمة بهذا النقل الجديد على نحو متواتر ، وإلا كان ذلك تكليفا لهم بفهم الأوضاع الجديدة التي لايمكن أن يفهموها من أنفسهم وهذا مالم يحصل .(٥٦)

ويرى فريق آخر أن الأسماء الشرعية الإسلامية وضعت من الشارع لمعانيها التي لم يعرفها العرب قبل الإسلام ، فكانت لذلك مصطلحات شرعية جديدة ، ووجود هذه الألفاظ الشرعية في القرآن لا يجعله غير عربي ، لأنها عربية الأصل ، وليس الجديد فيها إلا

معانيها الشرعية ، وليس استعمالها تكليفا للمخاطبين بالقرآن بما لا يستطيعون فهمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فسرها لهم بطرق مختلفة .

وفى هذا يقول الغزالى : والمختار عندنا أنه لا سبيل إلى إنكار تصرف الشرع فى هذه الأسامى ، ولا سبيل إلى دعوى كونها منقولة عن اللغة بالكلية ، كما ظنه قوم ، ولكن عرف اللغة تصرف فى الأسامى على وجهين :

أحدهما : التخصيص [مثل اطلاق اسم الدابة على ذوات الأربع مع أن الوضع لكل ما يدب] ، وتصرف الشرع فى الحج والصوم والصلاة والإيمان من هذا الجنس ، إذ للشرع عرف فى الاستعمال كما للعرب .

الثانى : فى إطلاقهم الاسم على ما يتعلق به الشئ ويتصل كتسميتهم الخمر محرمة .. فتصرفه فى الصلاة كذلك ، لأن الركوع والسجود شرطه الشرع فى تمام الصلاة فشمله الاسم بعرف استعمال الشرع "(٥٧)

ويعجبنى فى هذا ما رجحه الشيخ عبد الوهاب خلاف حين قال : والذى يظهر لى أن الصواب أن هذا نقل لا تخصيص ، لأن الشارع جعل للفظ الصيام حقيقة خاصة يدل عليها عند الإطلاق ، ولا يدل على غيرها إلا بقرينة ، وهذا آية النقل والوضع الجديد ، وأما تخصيص العام فلا يخرج اللفظ العام عن دلالته على العموم ، بل هو الأصل فى دلالته ، والتخصيص هو المحتاج إلى القرينة ، فحيث توجد القرينة فاللفظ عام حقيقة فى العموم – فهنا نقل والذى سوغه أن المنقول إليه من أفراد المنقول عنه " (٥٨)

المبدأ الثالث : التكافؤ بين اللغات

لغات البشر متشابهة ؛ لأن البشر الذين يستخدمونها متشابهون فى إدراكهم لما يحيط بهم، ويجربون العالم بطرق متشابهة فى جوهرها ، ومن ثم يقال بحق إن لدى كل مجتمع بشرى مفاهيم عامة يشاركهم فى أغلبها جميع بنى البشر ، وكل البشر يستخدمون جهازا واحدا للتصويت ، وينتجون الكلام ويستقبلونه بطرق متشابهة ، ومن أجل هذا أمكن لكل إنسان أن يتعلم لغة أخرى غير لغته ، وأن يترجم نصا من لغة إلى لغة أخرى . وآية ذلك أن العرب فى عصر بنى العباس نجحوا فى نقل علوم اليونان والفرس والهند فى فترة وجيزة ، وفهموها فهما جيدا ، وأضافوا إليها من عندهم مما جعل لهم دورا بارزا فى تقدم الإنسانية .

بيد أن فى كل لغة صفات تميزها عن أية لغة أخرى ، إذ تختلف الأنظمة الفونولوجية بين اللغات اختلافا كبيرا ، وتختلف الأنظمة النحوية فيما بينها إلى حد ما ، ولدى كل مجتمع مفاهيم خاصة ربما لا نجد لها نظيرا عند غيرهم من المجتمعات ، وهذه المختلفات والخصوصيات تجعل التفاهم اللغوى بين متحدثين بلغتين مختلفتين أمرا مستبعدا (٥٩)

وليس ثمة صعوبة كبيرة فى مقابلة الألفاظ المتعلقة بالمفاهيم العامة فى لغة بألفاظ تكافئها فى لغة أخرى ، ولهذا لم يجد العرب صعوبة فى نقل منطق اليونان ، لأن موضوعاته متعلقه بالفكر الإنسانى فى عمومه ، بيد أن صعوبة أكبر قد تنشأ بسبب الألفاظ التى تعبر عن مفاهيم خاصة أو صغرى فى إحدى اللغتين ، ولهذا وجد العرب صعوبة فى نقل الأدب اليونانى مثلا، بيد أن أهل كل لغة لديهم من الطرق ما يمكن أن يوفى بحاجاتهم التعبيرية ، ويعوض ما بلغتهم من نقص .

وقد كانت الشعوب القديمة ذوات الحضارات كاليونان والفرس والعرب تعتقد أن لغاتها أقدم اللغات وأكملها ، فالعرب مثلا يرون لأسباب متعددة أن لغتهم أفضل اللغات وأقدمها ، بيد أننا قد نجد من مفكريهم من يرى رأيا آخر ، فابن حزم مثلا ينكر فكرة التفضيل من أساسها ويسوى بين اللغات جميعا ويقول : وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ولا حسن فى بعضها دون بعض ، وهى تلك بأعيانها فى كل لغة ، فبطلت تلك الدعاوى الزائفة الهجينة "

وينكر كذلك أفضلية العربية بأن الله خاطب رسله وأنزل كتبه بغير العربية فتساوت اللغات فى هذا تساويا واحدا .(٦٠)

ويشير فى كتابه (التقريب لحد المنطق) إلى ما ذكره الحكماء من اتفاق جميع الأمم فى المعانى ، واختلافها فى أسمائها التى يقع بها التعبير عنها ، ويعلل ذلك بأن " الطبيعة واحدة والاختيار مختلف شتى "(٦١)

التكافؤ عند المترجمين والفلاسفة

تحرى المترجمون أن ينقلوا الفلسفة اليونانية بلفظ عربى مبين ، ونجحوا فى ذلك نجاحا باهرا ، ولم يند عن غرضهم إلا بضعة ألفاظ تركوها على حالها فترة من الزمن ثم استبدلوا بها غيرها من العربى مثل : الهيولى والأسطقس والسولوقسموس .

بيد أنهم حين ترجموا الطب اليونانى وجدوا صعوبة فى إيجاد ألفاظ عربية لعدد كبير من الألفاظ اليونانية الخاصة بالمواليد الثلاثة : النباتية والحيوانية والمعدنية ، التى لا نظير لها فى بلادهم ، فتركوها على حالها أملا فى أن يجد خلفاؤهم لها النظير العربى ، وقد حدث بالفعل ، كما أوضحنا فى المبحث الأول .

وقد اعترضت المترجمين مشكلة أخرى ذات طابع مختلف ، وهى مشكلة ناتجه عن فروق فى تركيب الجملة فى العربية واليونانية ، ومع ذلك فقد عالجوها علاجا طيبا ، ومن أمثلة ذلك أنهم لم يجدوا فى العربية ما يسمى فى اليونانية الفعل الرابط Copule الذى يربط فى القضية بين المحمول والموضوع . يقول الفارابى : وليس فى العربية منذ أول وضعها لفظة تقوم مقام (هست) فى الفارسية ، ولا مقام (استين) فى اليونانية ... وهذه يحتاج إليها ضرورة فى العلوم النظرية فى صناعة المنطق " (٦٢)

ويقول ابن سينا : ويجب أن يعلم أن حق كل قضية أن يكون لها مع معنى المحمول والموضوع معنى الاجتماع بينهما ... وقد يحذف ذلك فى لغات ، كما يحذف تارة فى لغة العرب أصلا ، كقولنا : زيد كاتب ، وحقه أن يقال زيد هو كاتب " (٦٣)

وابن رشد يقول أيضا : ليس فى لسان العرب لفظ على هذا النحو من الرباط وهو موجود فى سائر الألسنة "(٦٤)

وقد نجح المترجمون والشراح فى تجاوز تلك المشكلة ، فقد استعمل بعضهم (هو) مكانها ، وأخذوا من (هو) مصدرا فقالوا (الهوية) ، ورأى آخرون أن يستعملوا بدل (هو) لفظ (الموجود) وبدل (الهوية) لفظ (الوجود) ، كما استعملوا أفعال الكينونة روابط فى القضايا التى محمولاتها أسماء مكان ، مثل : كان ويكون وسيكون .(٦٥)

وفى نفس الحل يقول ابن رشد : أقرب الألفاظ شبها بها فى لسان العرب هو ما يدل عليه لفظ (هو) فى مثل قولنا : زيد هو حيوان أو (موجود) فى مثل قولنا : زيد موجود حيوانا " (٦٦)

وثمة مشكلات أخرى ربما لم ينجحوا فيها النجاح المأمول كقولهم فى التفريق بين القضية السالبة : الإنسان ليس يوجد عادلا ، والقضية المعدوله : الإنسان يوجد لا عادلا ، .. وأمثال ذلك مما ينكره طبيعة الجملة العربية فى التركيب .

وقد ارتكبوا بعض التجاوزات النحوية كدخول (أل) على (لا) النافية وعلى غير وبعض وكل ، وكالنسب بالألف والنون فى نحو جسمانى .. وغير ذلك مما يُغتفر فى اللغة العلمية .

المبدأ الرابع : اللغة العامة واللغة الخاصة

يستخدم عامة الناس مفردات اللغة يشيرون بها إلى أشياء أو يعبرون بها عن أحداث أو انفعالات أو يقضون بها مصالح ويسدون بها حاجات ، أما العلماء فيستخدمون هذه المفردات بطريقة خاصة حيث تدل عندهم على أقسام أو أصناف أو حقول ، كما يفعل عالم النبات مثلا حين ينسب نباتا معينا إلى عالمه أو شعبته أو طائفته أو رتبته أو فصيلته .. الخ أو كما يفعل النحوى حين يقسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف .

وقد جرى علماء المصطلحية على تعريف اللغة الخاصة بأنها جملة الوسائل اللغوية المستعملة فى حقل موضوعى محدد ، لتأمين الاتصال فى هذا الحقل ، مثل : لغة الفيزياء ولغة الكيمياء .. الخ

ويفرق اللغويون فى الوظيفة بين الكلمة فى اللغة العامة وعمادها السياق الاجتماعى أو اللغوى الذى يحدد معناها ، والمصطلح فى اللغة الخاصة وعماده النظام التصورى الذى هو عضو فيه . (٦٧)

والعلوم على اختلافها – مع أن لبعضها رموزا خاصة – لا تستغنى دائما عن اللغة العامة ، ولكنها كما قلنا قبلا تستخدمها بطريقة خاصة .

لكل صناعة ألفاظها

وأقدم من نبه إلى ذلك ابن المقفع (ت ١٣٩هـ) حين بين فى مفتتح ترجمته لمنطق أرسطو ، فيما عرف فيما بعد بالمدخل أو إيساغوجى ، وهو لفرفريوس الصورى أن لكل صناعة متاعا (موضوعا) والأمتعة أسماء يعرفها أهل تلك الصناعة ويجهلها من سواهم " ثم يتحدث عن الأسماء الخاصة بصناعة المنطق فيقول : ومن متاع صناعة المنطق أسماء على أمور مجهولة عند العامة " ثم يتحدث عن هذه الأسماء ، ومن ذلك حديثه عن : الطينة (الهيولى) والصنعة (الصورة) والجنس ، والصورة (النوع) والفرقان العام (الخاصة) والفرقان الخاص (العرض) .. الخ (٦٨) انظر (ص ٢١٠ – ٢١١).

وقد وجد هذا المبدأ طريقه إلى المتكلمين والكتاب ، وأقدم من تحدث عنه متكلم معتزلى هو بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) فى صحيفته التى رواها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بتمامها ، إذ يوجب على المتحدث أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات ، ويرى أن المتكلمين أقدر من الخطباء فى ذلك ، يقول : وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع . ولذلك قالوا : العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشى ، وذكروا : الهاذية والهوية .. وأشباه ذلك .

ثم يعدد ما وضعه أصحاب الصنائع فيقول : وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكر الطويل والبسيط والوافر وأشباه ذلك ... وكما سمى النحويون ، فذكروا : الحال والظروف وما أشبه ذلك .. لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين والبلديين علم العروض والنحو .. ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم (٦٩)

ويزيد الجاحظ الأمر وضوحا فيقول : ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة " (٧٠)

وفى ذلك أيضا يقول ابن وهب الكاتب المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى : ثم إن للمتكلمين من أهل هذه اللغة أوضاعا ليست فى كلام غيرهم مثل : الكيفية والكمية والمائية والكمون والتولد والجزء والطفرة وأشباه ذلك ... وكذلك للمتقدمين من الفلاسفة والمنطقيين أوضاع .. فمن ألفاظهم (السولوجسموس) و (الهيولى) و (القاطوغورياس) .. وأشباه ذلك " (٧١)

وقد اهتم الفارابى بالفرق بين اللغة العامة والخاصة اهتماما كبيرا ، وأفسح له مكانا واسعا فى كتابيه : (الحروف) و (الألفاظ المستعملة فى المنطق) .

فاللغة العامة يطلق عليها لغة الجمهور ، واللغة الخاصة يطلق عليها لغة أهل الصناعة والعلوم ، وعنده أن اللفظ قد يعنى شيئا عند الجمهور ويعنى شيئا آخر عند أهل الصناعة ، وبالطبع قد يعنى الشئ ذاته عند القبيلين ، وأهل الصناعات قد يختلفون فيما بينهم فيما يعنيه لفظ ما مشترك بينهم ، فقد يكون عند أهل صناعة بمعنى وعند أهل صناعة أخرى بمعنى

آخر . يقول : وقد يتفق فى كثير من الألفاظ أن تكون معانيها المستعملة عند الجمهور هى بأعيانها المستعملة عند أصحاب العلوم .. وربما وجد من الألفاظ ما يستعمله أهل صناعة على معنى ويستعمله أهل صناعة أخرى على معنى آخر " (٧٢)

ومن الأمثلة التى قدمها الفارابى لتوضيح الفرق بين اللغة العامة لغة الجمهور واللغة الخاصة لغة أهل الصنائع والعلوم كلمة (جوهر) :

فالجوهر عند الجمهور قد يشار به إلى :

١ ـ الأشياء المعدنية والحجارية النفيسة مثل اليواقيت واللؤلؤ .

٢ ـ جودة الجنس ، الآباء والأمهات ، أى الفضائل .

٣ ـ جودة الفطرة أى الأفعال الخلقية أو الصناعية .

٤ ـ ماهية الإنسان أى الصفات التى يكون بها إنسانا .

وأما فى صناعة الفلسفة فيقال على : المشار إليه الذى هو لا فى موضوع أصلا ، ويقال على كل محمول عرف ما هو المشار إليه من نوع أو جنس " (٧٣)

ومن الأمثلة التى قدمها لاختلاف مدلول اللفظ بين أهل الصناعات والعلوم أن مدلول (الحرف) مثلا عند النحاة غيره عند المناطقة ، وينبنى على ذلك اختلاف فى تصنيف الألفاظ وحدودها ، فـ (ليس) مثلا يرتبه كثير من أصحاب النحو فى الأفعال لا فى الحروف ، وكذلك كثير مما سنعده فى الحروف يرتبه كثير من النحويين لا فى الحروف بل إما فى الاسم (كالضمائر واسم الإشارة والموصول) وإما فى الفعل مثل (ليس) ونحن (أى الفلاسفة) إنما نرتب الأشياء بحسب الأنفع فى الصناعة التى نحن بسبيلها (أى صناعة المنطق) (٧٤)

وقد نبه الخوارزمى (ت ٣٨٠ أو ٣٨٧هـ) فى كتابه (مفاتيح العلوم) - إلى أن المصطلح الواحد قد يختلف مدلوله باختلاف مجالات استعماله ، فالرجعة عند أصحاب اللغة المرة الواحدة من الرجوع ، وعند الفقهاء الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن ، وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطى فى العسكر لطمع واحد ، وعند المنجمين سير الكواكب من الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج .. " (٧٥)

المبدأ الخامس: النظام التصورى

أولا: بين علماء اللغـــة والمناطقـــة

مصطلح التصور أو المفهوم:

التصور أو المفهوم Concept هو موضوع علم المصطلح، والمركز الذى تدور حوله مباحثه؛ ولهذا سماه بعضهمConceptology .

وقد عرف التصور فى إحدى توصيات المنظمة العالمية للتقييس بأنـــه: أى وحـــدة فكرية يعبر عنها بمصطلح، أو برمز حرفى، أو بأى رمز آخر.

وعرف علم المصطلح بأنه دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التى تنتمى إلى ميـــادين مختصة من النشاط البشرى (٧٦).

والهدف الأول من أهداف هذا العلم هو: تحديد موقع كل تصور أو مفهوم فى نظـلم المفاهيم المنتمى إليه طبقا للعلاقات القائمة بينها.

وعلم المصطلح – مع أن موضوعه المصطلح بكل جوانبه – إنما يبدأ – كما يقـول (ساجر) بالتصورات أو بالمفاهيم.

وتوصف التصورات أو المفاهيم بثلاث طرق: بتعريفها، وبيان علاقتها بتصـــورات أخرى، وبأشكالها الرمزية التى تتمثل فى مصطلحات أو عبارات ... الخ فى لغة أو فى عـدد من اللغات.

ويهدف التعريف إلى تحديد عناصر المفهوم بدقة ووضوح، وعملية التحديد هذه تعد مرادفة أو مكملة لعملية تحديد موقع المصطلح بالقياس إلى المصطلحات الأخرى المســتخدمة فى نفس المجال المعرفى (٧٧).

إن موضوع التصور الذى يرادف المعنى عنـــد بعـــض المـــدارس اللغويـــة مـــن الموضوعات التى يشترك فى درسها علم اللغة وعلم المنطق، ومنهما انتقل إلى ذلـــك العلـــم الناشئ علم المصطلح، وخطوط دراسته تتداخل أحيانا كثيرة، وفى النهاية قد يعزز كل علـــم منهما نتائج العلم الآخر.

وسوف يبدو هذا واضحا فى الفقرة التالية عن مفهوم العلامة اللغوية عند رائد علـــم اللغة الحديث سوسير.

العلامة اللغوية عند سوسير:

العلامة اللغوية Linguistic Sign هى المبدأ المركزى الـــذى دارت حولــه أفكــار سوسير، وكان لهذه الأفكار آثار بعيدة فى علوم كثيرة كعلم النفس والفلسفة والنقد الأدبى.

واللغة عند سوسير : نظام من علامات أو وحدات لغوية، تتعرف كل وحدة منـــها بالوحدات التى تشترك أو يمكن أن تشترك معها فى سياق.

وبيان العلاقات بين هذه الوحدات هو عماد الوصف اللغوى الدقيق.

والعلاقات عنده نوعان:

- علاقات تنعقد بين الوحدات المشتركة فى السياق، وتعرف بالعلاقات الاقترانية أو الأفقيـة Associative relationsمثل علاقة الكلمة (الطائرة) بالكلمة (سريعة) فى الجملة (الطـــائرة سريعة).
- وعلاقات تنعقد بين وحدات موجودة فى السياق ووحدات أخرى غير موجودة فى السياق، وتعرف بالعلاقات الجدولية أو الرأســية Paradigmatic Relations مثــل علاقــة كلمــة (الطائرة) بكلمة (السيارة أو الدراجة ...) أو غير ذلك مما يمكن أن يحل محلها. وهـــذا النوع من العلاقات يقوم على التداعى، فكل وحدة فى السياق قد تستدعى وحدة أخــرى أو وحدات تشترك معها فى المعنى أو فى الشكل أو فيهما معا (٧٨).

وتعرف الوحدة اللغوية تعريفا جيدا بتحديد موقعها من النظام أو القائمة التى تنتمــى إليها، وهذا بدوره يتحدد بدراسة علاقتها بغيرها من العلامات أو الوحدات على المحوريـــن السابقين الأفقى والرأسى. ومن ثم لا نستطيع أن نتعامل مع العلامة على أنه حقيقـــة ذاتيــة مستقلة، بل ينبغى النظر إليها كجزء من النظام.

ولتوضيح هذا المبدأ يتحدث (سوسير) عن لعبة الشطرنج قائلا: لنأخذ قطعة منـــه، ولتكن (الفرس) مثلا، ونسأل: أهذه القطعة فى ذاتها (من حيث هى فرس) عنصر فى اللعبــة؟ لا بالتأكيد؛ لإنها (من حيث هى مادة مصنوعة) إذا أخذت بعيدا عن مربعها فى اللوحة، وفــى ظروف أخرى لا تعنى شيئا للاعب. إن هذه القطعة تصبح عنصرا حقيقيا ملموسا فحســـب عندما تكتسب قيمة (حين توضع بين غيرها من القطع). هب أن هذه القطعـــة تحطمــت أو فقدت فى أثناء اللعب، فهل يمكن أن يحل محلها قطعة أخرى مشابهة؟. نعـــم بالتـــأكيد، ولا يشترط فى هذه الحالة أن تكون من نفس النوع، بل قد تكون على هيئة لا تشبه الفرس أبـــدا.

وهى تكتسب نفس القيمة إذا ما قامت بنفس الدور (أى الدور الذى كانت تقوم به القطعة المحطمة أو المفقودة) (٧٩).

التصور عند المناطقة:

يعتمد علماء المصطلحية فى دراستهم لموضوع التصور اعتمادا جوهريا على ما أنجزه المناطقة القدامى أمثال فرفوريس الصورى وأرسطو والمحدثون أمثال كانت نتبين ذلك واضحا فيما يأتى من نقاط.

كيف يتكون التصور؟

بين الفيلسوف الألمانى (كانت) أن ثمة ثلاثة أنشطة ذهنية لازمة لتكوين التصور: المقارنة، والتأمل، والتجريد، فحين يقارن المرء الأشياء يدرك بعض أوجه التشابه والتباين بينها، وبالتأمل يدرك أن عددا من الخصائص هو المسئول عن هذا التشابه أو التباين، وعليه فى نهاية الأمر أن يجرد، أو يحدد الخصائص الجوهرية التى تشكل أو تؤلف التصور قيد البحث. (٨٠).

بعدا المفهوم : الشمول والتضمن:

لكل مفهوم بعدان أساسيان: أولهما كمى والآخر كيفى، ويمثل البعد الأول شمول المفهوم من حيث الأفراد الذين يصدق عليهم، ويسمى هذا البعد فى أبحاث المنطق التقليدى (بالماصدق).

ويمثل البعد الثانى تضمن المفهوم للصفات الجوهرية أو الصفات المرتبطة فى ذهن الشخص بهذا المفهوم، أى الصفات المشتركة بين الأفراد الذين ينطبق عليهم ذلك المفهوم (٨١).

خصائص التصور (المفهوم):

هى العناصر التى بها تحدد صفات المفرد (الموضوع) الذى يمثله المفهوم.

وتستخدم هذه العناصر لمقابلة المفاهيم بعضها ببعض، وتصنيفها، وصياغة تعريفاتها، وتمييز المفهوم من المفاهيم الأخرى التى تشترك معه فى بعض الصفات، وفى بناء المنظومات المفهومية، وفى هذه الحالة يطلق عليها الخصائص التصنيفية. ويتم اختيار الخصائص التصنيفية فى ضوء بنية وطبيعة الحقل العلمى الذى تنتمى إليه المفاهيم المراد تصنيفها (٨٢).

وهى – بعامة – صنفان:

الخصائص الجوهرية:

المتقومة بذاتها، غير المفتقرة إلى غيرها، والمتعينة بما فيها، أى الخصائص الذاتية الدائمة الثابتة اللازمة للفرد المعرف، وأهمها : خصائص الشكل والحجم والمادة واللون والطعم والحرارة ... الخ.

الخصائص العرضية:

وهى الصفات الخارجة عن ذات المفهوم، ولا تقوم بنفسها. مثل خصائص الغرض أى الوظيفة والاستعمال، والموضوع والمنشأ والمكتشف ... الخ (٨٣).

أنواع المفاهيم (التصورات):

ويفرق بعض الباحثين بين نوعين من المفاهيم أو التصورات:

١- مفهوم المحسوس الذى يمثل أفرادا أو أعيانا لها خصائص يمكن إدراكها بالحواس الظاهرة، مثل مفهوم سيارة وشجرة ... الخ.

٢- مفهوم اللامحسوس الذى يمثل أشياء ذات خصائص لا يمكن إدراكها بالحواس مثل مفهوم الحرية والعدل الخ....

وكما يمثل المفهوم عينا أو مفردة واحدة، فقد يمثل – عن طريق التجريد – مجموعة من الذوات أو الأشياء المفردة تشترك فى صفات معينة.

والتجريد عملية ذهنية يسير فيها الذهن من الجزئيات والأفراد إلى الكليات والأصناف.

ولا يقتصر دور المفاهيم على تمثيل الذوات أو الأشياء المعبر عنها بالأسماء، بل يقوم بتمثيل السمات أو الصفات المعبر عنها بالنعوت، والأفعال المعبر عنها بالأفعال، والأماكن والأوضاع والعلاقات المعبر عنها بالظروف، وحروف الجر، وأدوات الربط والوصل (٨٤).

العلاقات بين المفاهيم أو التصورات:

لا ينبغى النظر إلى المفاهيم كعناصر مستقلة بذواتها، بل ينبغى النظر إليها من حيث علاقاتها بالمفاهيم الأخرى.

وتتحقق العلاقة بين مفهومين إذا اشتملا على خصائص مشتركة، أو إذا تجاور الفردان أو الموضوعان اللذان يمثلانها فى المكان أو تعاقبا فى الزمان ... الخ.

وتسمى العلاقة فى الحالة الأولى مباشرة، وفى الحالة الثانية غير مباشرة.

هذا ويمكن القول بأن العلاقات المباشرة هى علاقات منطقية على حين تعد العلاقات غير المباشرة علاقات وجودية (٨٥).

العلاقات المنطقية

- علاقات تبعية أو تضمنيةSuper ordination, Subordination ، ويندرج بموجبها الحد الأدنى فى الحد الأعلى ويطلق عليها فى المنطق علاقة النوع بالجنس. بمعنى أن صفات النوع خاضعة لصفات الجنس ومندرجة فيها، بعبارة أخرى: إن خصائص مفهوم (الجنس) تقل بخاصية أو أكثر عن مفهوم (النوع) وتتمثل رمزيا على النحو الآتى:

قارب (جنس)، قارب بخارى (نوع).

قارب > قارب بخارى

قارب بخارى < قارب

علاقة التقاطع Overlapping :

إذا كان للمفهومين خصائص متماثلة جزئيا كانا مفهومين متقاطعين. وتتمثل رمزيا على النحو الآتى:

التعليم × التربية

علاقة التناسق أو التوازىCo-Ordination :

علاقة أفقية تربط بين مفهومين لهما مرتبة واحدة فى التصنيف مثل: مرتبة النوعية فى الجنس الواحد. وتتمثل رمزيا كالآتى:-

ميناء جوى / / ميناء بحرى

فالمفهوم الأول والثانى نوعان يندرجان فى (جنس) هو: ميناء.

علاقة الميلان Diagonal:

وتتحقق بين مفهومين يكونان نوعين لجنس واحد، ولكن لا تربط بينهما علاقة تبعية أو تواز، ويرمز لها:

كلب سلوقى / قط

العلاقات الوجودية:

تقوم بين المفردات أو الأعيان Individual Objects المنطوية تحت مفهوم واحد، وتبنى على أساس تجاور تلك الأعيان فى المكان أو فى الزمان أو العلية (العلة والمعلول، أو السبب والنتيجة) أو النشأة أو الحالية أو المحلية ... الخ.

وأكثر فئات العلاقات الوجودية شيوعا العلاقات الجزئية Partitive أى العلاقات بين الكل والجزء.

وتقوم هذه العلاقات على صورة من صور أربع:

• تبعية جزئية:

وهى علاقة رأسية بين عينين من الأعيان يزيد أحدهما عن الآخر فى الأجزاء ويرمز لها بالرمز (——<)

مثال شجرة ——< ساق

إفريقيا ——< مصر

• تقاطع جزئى:

يشترك العينان فى بعض الأجزاء فقط، ويرمز لها بالرمز (>——<)

الكيمياء >—— الأحياء = الكيمياء الحيوية

• تواز جزئى:

وهى علاقة أفقية يقوم التناسق فيها بين عينين يمثلان جزأين من كل مشترك، ويرمز لها بالرزم (//—)

الجذر /—/ الساق (حيث يتناسق الجذر مع الساق تحت الكل (شجرة)

• ميلان جزئى:

إذا لم يكن بين العينين علاقة تبعية أو تواز فإن العلاقة تكون علاقة ميلان جزئى، ويرمز لها بالرمز (◊).

الأنف ◊ المقلة، والكل الذى ينتميان إليه هو : الوجه.

هذا وقد تنعقد هذه العلاقات بين ثلاثة مفاهيم أو أكثر مثل علاقة أفريقيا بمصر بالقاهرة. الخ ... ولا يتسع المقام لتفصيل القول فيها (٨٦).

المصطلح وحدة فى منظومة من المفاهيم:

إن وضع مصطلح معين بإزاء تصور أو مفهوم معين يعنى إلحاقه بنظام محدد من المفاهيم أو التصورات، بحيث يتلبس به أو قل يتخصص به.

وفى هذا يقول (هارتمان) إن أى مسرد يحاول تفسير علم من العلوم بذكر أمثلة من مصطلحات هذا العلم فحسب دون الإشارة إلى نظامه التصورى أو المفهومى Conceptual System محاولة غير كافية.

ويعرف النظام بأنه عدد من التصورات أو المفاهيم التى تقوم بينهما (أو يمكن أن تقوم بينها) علاقات، وبها يتم تعريف الكل المترابط ومن ثم فإن التصورات أو المفاهيم لا تتمثل فى وحدات منفصلة بذاتها، ولا تعيش فى عزلة، بل بينها علائق قد تكون – كما قلنا سابقاً – منطقية أو وجودية (٨٧).

وفى هذا المجال مجال الحديث عن ترابط المفاهيم وتكاملها يشير (كريستال) إلى تأثير وضع مصطلح جديد أو إعادة تعريف مصطلح قديم – فى المصطلحات الأخرى. إن المصطلحات التى نستخدمها – ما دامت عضواً فى نظام مفاهيمى – يعتمد بعضها على بعض، ومن ثم فإن تأثير تغيير مفهوم مصطلح قد يضطرنا إلى تغيير مفهوم المصطلحات الأخرى المتعلقة به (٨٨).

تصنيف التصورات أو المفاهيم:

التصنيف – كما يقول (نيدوبيتى) هو الطريق المنظم لربط أو فصل الأفكار التى تصوغها عقولنا فى شكل تصورات، وكذلك ترتيبها ذهنياً. وبذا يصبح تصنيف التصورات أهدى سبيل للمعرفة، لأننا إذا نسقنا الأشياء أو بالأحرى تصوراتها فى نظام محدد أصبح لدينا قائمة طيبة لحقل معرفى بعينه أو صورة كلية عنه (٨٩).

وأشهر منظومة للتصورات هى المنظومة المنطقية التى أبتدعها فرفريوس الصورى حيث يمثل جنس الأجناس أعلاها ثم يتدرج التصنيف نزولاً إلى نوع الأنواع الذى يتوزع فى أفراد على النحو التالى:

كائن (جنس الأجناس)

جسم

حى

حيوان

إنسان (نوع الأنواع)

ليلى – أحمد ... (أفراد)

وفى هذا التصنيف يكون ما بين (جنس الأجناس) و(نوع الأنواع) نوعاً لما قبله وجنساً لما تحته.

وثمة تطور فى طريقة عرض منظومات التصورات من استخدام الشكل الشجرى إلى استخدام الشكل الهرمى ومن أمثلته.

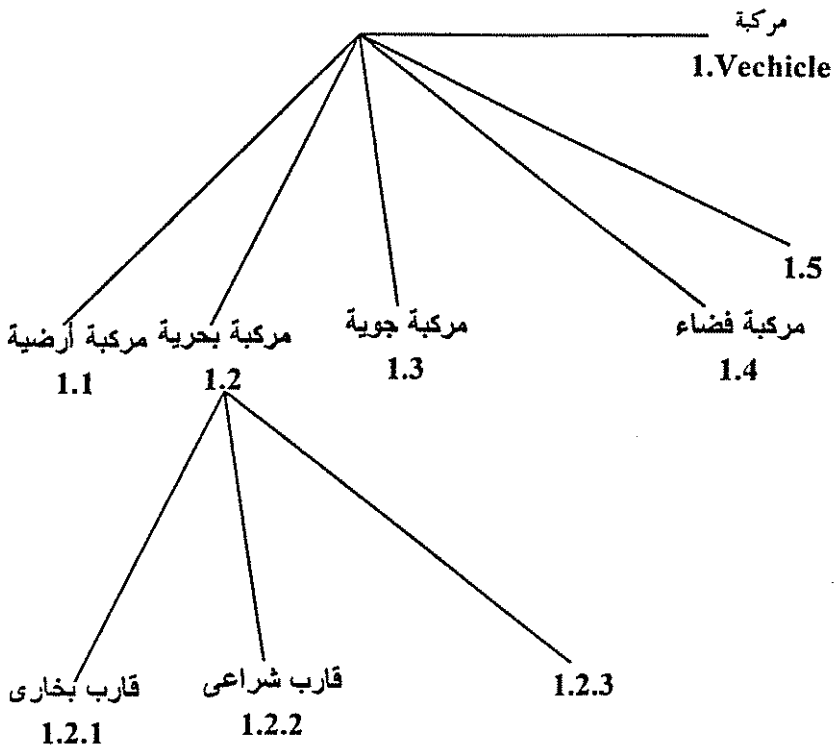

وحين يستعمل المرء الشكل الهرمى بدلاً من الشجرى فإنه يصمم سلسلة كاملة من التصورات التى تضم تصورات متشابهة بدلاً من التصورات المتضادة (٩١).

ثانياً: فى التراث العربى

لا يتسع المقام لعرض ما قيل عن التصور أو المفهوم فى التراث العربى، فما أكثر ما قيل عنه وعما يرادفه من ألفاظ. ومع ذلك فثمة اتفاق بين اللغويين والمناطقة والأصوليين على المبادئ الآتية التى تمثل مركز الدائرة فى هذا الموضوع:-

١- التصور والمفهوم والمعنى ألفاظ مترادفة، فالتصور هو الصورة الذهنية لما يُتحدث عنه، والمفهوم والمعنى - كما يقول التهانوى - : متحدان بالذات، فإن كلاً منهما هو الصورة الحاصلة فى العقل".

٢- يستوى فى التصور أن يكون تصوراً لمحسوس أو لمجرد. "فليس من شأن المعنى المتصور أن يكون له فى الوجود مثال".

٣- المعنى هو علاقة بين اللفظ والمفهوم أو بعبارة أخرى بين اللفظ والصورة الذهنية، ومن ثم تُستبعد من الدراسة الموجودات أو الأشياء لأن الحقيقة فى وضع الألفاظ - كما يقول العلوى - : إنما هى للدلالة على المعانى الذهنية دون الموجودات الخارجية".

٤- التصور قائم فى ذهن المتكلم والسامع كليهما "كل لفظ يجرى بين الناس فى مفاوضاتهم ومحاوراتهم فله معنى فى ذهن قائلة ... وفى ذهن سامعة" (٩١).

إن المبادئ السالفة التى تحدد خصائص (التصور) فى التراث العربى تؤدى ما يؤديه التعريف المعتمد فى توصية (أيزو) التى سبق الحديث عنها، وإن كان تعريفنا يقتصر على الرمز اللفظى على حين يتسع تعريف الأيزو فيشمل كل الرموز التى يمكن استخدامها فى مقابل التصور.

وبعُد فلا أزعم أن النظرية الحديثة فى المصطلحية والتى جوهرها موضوع العلاقة بين المفاهيم التى تشكل منظومة موضوعية محددة لها مثيل فى التراث العلمى عند العرب؛ لأن هذه النظرية - من حيث هى أساس علم المصطلح - لم تتبلور إلا فى أخريات النصف الثانى من القرن العشرين، وإن كانت عناصرها تعد من مباحث المنطق اليونانى القديم ومستفادة منه.

ولكنى أزعم أن العرب - بعد أن ترجموا المنطق اليونانى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى - عرفوا من عناصرها ما عرفه اليونان. والعلوم عند العرب شرعية

وغير شرعية اعتمدت – على نحو أو آخر – أساليب المنطق اليونانى الصورية، ومن ثـــم تتناثر بين مباحثها ملاحظات عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ والمفاهيم وبين المفاهيم أنفســها، كما أن كثيراً من مصنفاتهم المصطلحية قائمة على أساس منها.

ولعل فى الفقرات الآتية ما يهدى إلى شئ مما زعمناه.

المنطق اليونانى فى الفكر الإسلامى:-

من المعروف – كما أوضحنا فيما سلف – أن الأورجانون الذى يضم كتب أرسطو المنطقية الثمانية كان له مكانة خاصة عند العرب منذ مطلع النهضة العلمية فى عصر بنـــى العباس، وكانت أجزاؤه الثلاثة الأولى (المقولات، والعبـــارة والتحليـــلات) بالإضافـــة إلـــى (المدخل) أو إيساغموجى لفرفريوس الصورى أول ما ترجم من الكتب الفلسفية إلى العربيـــة، ترجمها عبدالله بن المقفع ت ١٣٩ هـــ، ثم ألحقت بها الأجزاء الأخرى وشرحت واختصرت. ومن تلك الترجمات المبكرة: ترجمة ابن بهريز ت ٢٥٢ هـــ والكندى ٢٥٢ هـــ، ثم تتـــابعت الترجمات، وكان من أشهرها ترجمة إسحق بن حنين ت ٢٩٨ هـــ للمقولات والعبارة.

وقد كان تأثير منطق أرسطو فى الفكر الإسلامى بعامة واضحاً. فعد عندهـــم آلـــة التفكير، وكانت أساليبه الصورية مستخدمة فى أغلب العلوم.

ولعل ما أعطاه هذه الأهمية الكبيرة فى مجال الفكر اللغوى ومن ثم المصطلحى أنه يتضمن معلومات لغوية عزيزة، ففى المدخل والمقولات عرض للألفاظ وعلاقتها بالتصورات وتحديد للكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والغَرَض.

والمقولات العشر: الجوهر، والكم والكيف والمضاف والأين والمتى ... إلخ وحديث مطول عن الحد وكيف يكون ومواضع الزلل فيه. وفى (العبارة) يتحدث أرسطو عن الجملـــة والقضية وصلة ما بينهما، وما تتألفان منه، ولم تخل كتبه الأخرى من إشارات نحوية. وهـــذه هى أصول التفكير ومادة العمل المصطلحى.

المفردات الخمس

(يسميها الفارابى المحمولات الكلية البسيطة ويسميها الكندى الألفاظ أو الكليات)

المصطلح العربى	المصطلح اليونانى	المصطلح الإنجليزى	ابن المقفع	ابن بهريز	الكندى	الفارابى	الخوارزمى	إخوان الصفاء	ابن سينا	الغزالى	ابن رشد
الجنس	genos	gender	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس	الجنس
النوع	eidos	Species	الصورة	الصورة	الصورة	النوع	النوع	النوع	النوع	النوع	النوع
الفصل	diaphora	difference	الأخص	الفصل	الفصل	الفصل	الفصل	الفصل	الفصل	الفصل	الفصل
الخاصة	idion Proprium	properity	الفرقان (الخاص)	الخاصة	الخاصة	الخاصة	الخاصة	الخاصة	الخاصة	الخاصة	الخاصة
القرض	symbebékos	accident	(العام)	العرض	العرض	العرض	العرض	العرض	العرض	العرض	العرض

المقولات العشر من ابن المقفع المتوفى ١٣٩هـ إلى ابن رشد المتوفى ٥٩٥هـ

المصطلح العربى	المصطلح اليونانى	المصطلح الأفرنجى	ابن المقفع	الكندى	الفارابى	الخوارزمى	إخوان الصفاء	ابن سينا	ابن حزم	الغزالى	ابن رشد
الجوهر	Ousia	Substance	العين	الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر	الجوهر
الكم	To posion	Quality	الكم	الكم	الكم	الكم	الكم	الكم	الكم	الكم	الكم
الكيف	To poion	Quality	الصفة كيف	الكيف	الكيف	الكيف	الكيف	الكيف	الكيف	الكيف	الكيف
المضاف:الإضافة	To prosti	Relation	المضاف	الإضافة	المضاف	الإضافة	الإضافة	الإضافة	الإضافة	الإضافة	المضاف
الأين	To pou	Where	المكان أين	المكان	أين	أين	أين	أين	المكان	الأين	الأين
المتى	To pote	When	الوقت متى	الزمان	متى	متى	متى	الزمان	الزمان	متى	متى
الوضع : وهو أعم من الأين ويقال له (النصبة) أى هيئة فى الوضع		Situation	النصبة		الوضع	النصبة الوضع	النصبة الوضع	الوضع	النصبة	الوضع	الوضع
الملك	To ekkein	To have	الجدة		له	له ذو الجدة	الملكة	الملك	الملك	له الجدة	له
اليفعل	To poiein	Action	الفعل	الفعل	أن يفعل	يفعل	يفعل	يفعل	الفعل	الفاعل	أن يفعل
اليفعل	To paskein	Passion	المفعول	المنفعل	أن ينفعل	ينفعل	ينفعل	الانفعال	المنفعل	أن ينفعل	أن ينفعل

كان منطق أرسطو معروفاً إذاً فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، ولعل الذين دونوا العلوم فى هذه الفترة عرفوا شيئاً عنه واستخدموا أساليبه الصورية فيما صنفوا.

وفى النصف الأول من القرن الثالث أصبحت مفرداته شائعة بين العلماء مما أثار بعض الدوائر المحافظة، فهاجمه بعضهم كابن قتيبة ت ٢٧٦هـ وعدة هذيانا لا يُنال منه بطائل.

وقد تبلورت عناصر المنطق الأرسطى وتيسرت لغته واستقرت مصطلحاته بما كتبه الكندى ثم بما ألفه الفارابى ت ٣٣٩هـ الذى بذ جميع أهل الإسلام فى هذه الصناعة، فشرح غامضها وكشف سرها وقرب تناولها وهو صاحب ثلاثة من الكتب الأصول التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين الألفاظ والتصورات، وتحدد مفردات التفكير اللغوى بعامة والمنطقى بخاصة، وهى (كتاب الحروف) و(كتاب الألفاظ المستعملة فى المنطق) و(كتاب إحصاء العلوم).

بدايات التأليف العلمى فى الفقه والمعجم والنحو:

تنتسب بدايات التأليف العلمى القائم على أسس منهجية إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، ففى هذه الفترة ظهر علم الفقه والنحو والمعجم.

يذكر المؤرخون أن أبا حنيفة أول من دون الشريعة لما رأى العلم (يقصد مسائل الفقه) منتشراً، فدونه أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة، بدأ بالطهارة ثم بالصلاة ... ثم بسائر العبادات على الولاء، ثم بالمعاملات ثم ختم بالمواريث. وينسب شئ كهذا إلى الإمام مالك.

وقد استقر هذا الترتيب الموضوعى لمسائل الفقه بين المصنفين جميعاً على تعدد مذاهبهم، مع اختلاف يسير فى تقديم بعض الأبواب على بعض، وأوضح مثال لطريقته ما صنعه تلميذه الشيبانى ت ١٨٩هـ فقد رتب (المبسوط) وهو من أصول المذهب الحنفى ترتيب أبى حنيفة بل إنه قسم الأبواب إلى فصول أو مطالب. وهكذا تكون علاقة الانتقال من العموم (الباب) إلى الخصوص (الفصل) مرعية.

وهذا أيضاً واضح فى كتاب (الأم للشافعى) ت ٢٠٥هـ الذى ينتسب إلى المرحلة السابقة نفسها.

وقد بلغت المؤلفات الفقهية فى القرن الرابع والخامس درجة عالية من حيث التبويب وعرض الأحكام واستيفاء التعريف، فالمؤلَّف ينتظم فى كتب أو أبواب، والباب ينتظم فى فصول أو مطالب وفى الفصل عرض منظم للمسائل والأحكام. وفى الباب تصريح بالأركان

والشروط ونوع الحكم، وفى تلك المؤلفات تجد العناية بالحدود أو التعريفات، وبربط المعنى الاصطلاحى بالمعنى اللغوى. ونظرة فيما سبق أن عرفناه من المؤلفات الفقهية المعنية بغريب الفقه وبحدوده تكشف عن وعى واضح بعناصر الوضع واستيفاء شروطه مما كان له أبعد الأثر فى استقرار المصطلحات الفقهية ودقة تصوراتها.

كان معجم (العين) الذى ألفه الخليل بن أحمد ت ١٨٠هـ أول معجم منهجى يضم مفردات العربية منسوقة على أسس محكمة، فهو مؤلف من كتب مرتبة تبدأ بأقصى حروف العربية مخرجا وهو العين إلى أدناها مخرجاً وهى حروف العلة، وتترتب الجذور فى الكتاب وفقاً لبنيتها من الثنائى فالثلاثى فالرباعى ... الخ.

وفى تلك المرحلة نفسها يظهر أول مصنف موضوعى للألفاظ العربية صنعه أبو عبيد بن سلام ت ٢٢١هـ سماه (الغريب المصنف) وهو ينقسم إلى خمسة وعشرين كتاباً يحتوى كل كتاب منها على عدة أبواب.

ويضم المصنف كله ما يقرب من ٩٠٠ باب تختلف طولاً وقصراً (٩٣).

والمتفحص فى (فقه اللغة) للثعالبى ت ٤٢٩هـ يتبين بوضوح كيف تَوزَّع فى أبواب وفصول وفقاً لموضوعات الألفاظ، بل يتبين أيضاً من خلال حصر الألفاظ كثيراً من العلاقات المنطقية والوجودية كالترداف والتضاد والتوالى والعموم والخصوص والجزء والكل ...الخ مما يعد من أصول أى منظومة مصطلحية.

ونظرة فى كتاب (مبادئ اللغة) للإسكافى ت ٤٢١هـ - وهو من معاجم الموضوعات نلاحظ أن مؤلفه قد راعى فى الألفاظ الداخلة تحت عنوان موضوعى مجموعة كبيرة من العلاقات المنطقية والوجودية. وأوضح مثل لذلك (باب الخبز وآلاته) (٩٤).

ويعد كتاب (المخصص) لابن سيده ت ٤٥٨هـ من أوفى معاجم الموضوعات مادة، وهو ينقسم إلى كتب وأبواب، لكل منها موضوع تدور حوله ألفاظها بيد أنها قد تتشعب وتتفرع أحياناً بحيث تصبح وكأنها لا مركز لها.

وقد راعى ابن سيده فى معالجة مادته أن يربط بينها علاقة ما منطقية أو وجودية، وصرح بذلك فى مقدمة كتابه فقال : فأما فضائل هذا الكتاب من - قبل وضعه فمنها : تقديم الأعم فالأعم على الأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض، على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا كم على كيف، والمحافظة على التقييد والتحليل".

ولكنه - وبكل أسف - لم يلتزم بمنهجه فى كل الأبواب. أنظر(ص ١٠١ - ١٠٢).

ومن طريف مصنفات الثروة اللغوية التى تكشف عن أنواع متعددة من العلاقات الدلالية ما سمى بالمداخل مرة وبالمشجر مرة وبالمسلسل مرة، وأقدم هذه المصنفات (المداخل) لأبى عمرو بن عبد الواحد (ت ٣٤٥هـ) و (شجر الدر) لأبى الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ) و (المسلسل) لأبى الطاهر محمد بن عبد الواحد (ت ٥٣٨) وفى عنوانها ما يشير إلى موضوعاتها. يقول أبو الطيب فى سبب تسمية الباب من الكتاب شجرة : لاشتجار بعض كلماته ببعض أى تداخله، وكل شئ تداخل بعضه فى بعضه فقد تشاجر".

وطريقة هذه الكتب فى تصنيف مفرداتها أن يبدأ الباب من أبوابها بكلمة أولى تكون مفتاحا، ثم يفسر معناها بكلمة ثانية، ثم يفسر معنى الثانية بثالثة ثم يفسر معنى الثالثة برابعة، وهلم جرا إلى أن يغلق الباب بكلمة آخرة تكون خاتمة له، ثم يستأنف الأمر فى الباب الذى يليه على ذلك النمط إلى آخر أبواب الكتاب. أنظر (ص ١٥٠ - ١٥١).

وفى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ظهر أول كتاب فى النحو هو كتاب سيبويه ت ١٨٠هـ وهو كتاب كامل يضم كل ما يتصل بالعربية من أصوات وصرف ونحو بالإضافة إلى معارف أخرى عروضية وبلاغية، وفيه ملاحظات عديدة عن العلاقة بين اللفظ والمعنى، ففى باب بعنوان (هذا باب اللفظ للمعانى) يتحدث عن:-

أ - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو جلس وذهب.

ب - اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق وهو (الترادف).

جـ- واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو: وَجَدت عليه من الموجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وهو (المشترك اللفظى) (٩٥).

ملاحظات فى علوم أخرى:-

ومن أهم العلوم التى نجد فيها عناية بموضوع العلاقات منطقية أو وجودية علم البلاغة. فعند علاج البلاغيين لموضوع المجاز المرسل أفاضوا فى الحديث عن العلاقات بين ما يستعمل فيه اللفظ وما وضع له وبلغت عند بعضهم العشرين عداً، ومن هذه العلاقات : الكلية والجزئية والسببية والمسببة، والمحلية والحالية والمجاورة والآلية، واعتبار ما كان واعتبار مايكون، والعموم والخصوص، والتضاد (تسمية الشئ باسم ضده) والملابسة (تسمية الشئ باسم ما يكون ملابساً له) والمشابهة (تسمية الشئ بما يشابهه) والغائية (تسمية الشئ باسم الغاية التى يصير إليها) والمشارفة (إطلاق الفعل على ما يقاربه)... الخ (٩٥).

ومن أهم العلوم التى نجد فيها عناية بالمصطلح وخصوصية فى علاجه علم التصوف.

والتصوف تجربة وجدانية خاصة، والمعرفة – عند أصحابها – قائمة على الذوق لا العقل، وتختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال.

وقد لجأ الصوفية إلى اللغة الرمزية للتعبير عن تجاربهم، وغالباً ما يكون لألفاظهم معنيان أحدهما يستفاد من ظاهر الألفاظ والآخر بالتحليل والتعمق. وهذا المعنى الأخير يكاد يستغلق على من ليس بصوفى.

وقد عُنى المصنفون من التصوفة كالطوسى والقشيرى والسهروردى والهجويرى ... الخ بلغة أهل الطريق وبالعلاقات التى بينها وبين تصوراتها، وأفردوا لذلك بابا فى كل مصنف حتى أصبح تقليداً مرعياً.

ويغلب أن تجئ الألفاظ فى هذا الباب مثانى أو مثالث، يفسر كل لفظ قرينة أو قرينيه. فالفناء يفسره البقاء، والبقاء يفسره الفناء... الخ وكذلك الحال بين الاسم والنعت والصفة.

وقد حرصوا على أن يصرحوا بأنهم فعلوا ذلك لكى تنكشف نسبة كل لفظ منها إلى الآخر.

ومن أهم العلاقات التى راعوها للتعبير عن مقاصدهم علاقة المباينة أو التضاد، فالفناء يقابل البقاء والشريعة تباين الحقيقة والظاهر يضاد الباطن، وكذا الحال بين القبض والبسط والجمع والفرق ... الخ.

على أنه ينبغى الحذر عند فهم مثل هذه العلاقة على نحو ما تعرفه اللغة أو المنطق، فقد يكون لها – كما قلنا سلفاً – معنى باطنى على خلاف ما تشهد به اللغة أو المنطق.

فالحق مثلاً يباين الخلق فى اللغة وفى اصطلاح المتكلمين وبعض المتصوفة، ولكنهما لا يتباينان عند ابن عربى وعند غيره من القائلين بوحدة الوجود؛ لأن الحقيقة الوجودية عنده واحدة فى جوهرها وذاتها وإن تكثرت بصفاتها وأسمائها، وكذلك الحال بين الواحد والكثير والقديم والحادث والأول والآخر والظاهر والباطن ما هى إلا أسماء وصفات للحقيقة الوجودية الواحدة.

وعلاقة الترادف أظهر ما تكون بين ألفاظهم، بيد أن لهم فى المترادفات مقاصد خاصة لاختلاف أحوالهم وأشخاصهم.

فالمكاشفة هى المشاهدة، والصحو هو الحضور والغيبة هى الحضور بيد أن الكشف والصحو والغيبة أقوى فى التعبير عن حال الصوفى من مرادفاتها.

وفى هذا يقول الطوسى: والتجريد والتفريد والتوحيد ألفاظ مختلفة لمعـــان متفقـــة، وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم" (٩٦).

وقد يكون اللفظ أقوى من مرادفه لأنه يقع بعده فى تطور حال الواجد. فالبادى وهو الذى يبدو على القلب فى الحين من حيث هو حال العبد يجئ أولاً ثم يعقبه (الوارد) فيستغرق حاله كله.

وقد يكون الفرق بين التصورين راجعاً إلى اختلاف الواجدين: فالقادح قريب مـــن (الخاطر) إلا أن (الخاطر) بقلوب أهل اليقظة و (القادح) لأهل الغفلة.

ويتعدد مدلول اللفظ الواحد لأسباب لعل أشهرها اختلاف مراحل الطريق أو سالكيه، فاللفظ فى كل مرحلة يتضمن درجة من المعنى تخصه. فالتوبة عند العـــامى غيرهـــا عنـــد السالك غيرها عند المحقق.

ولعل محاولتى الهروى وابن عربى فى تصنيف ألفاظ المتصوفة أو اصطلاحاتـــهم جديرتان بتفصيل فى هذا المقام.

فكتاب (منازل السائرين) الهروى ت ٤٨١هـ محاول طريفـــة لحصـــر مراحـــل الطريق وتحديد معالمها.

بيَّن الهروى فى مستهل كتابه أن الطريق إلى الحق يمر بمنازل عشر، لكـــل منـــها مقامات عشر، رتبها بما يشير إلى علاقة كل منزلة بالمنزلة التى تسبقها وبما يتفرع عنها.

وليس أمام سالك الطريق إلا أن يبدأ الطريق من مرحلته الأولى (مرحلة البدايـــات) فإذا ما استوفى حقائقها انتقل إلى المرحلة الثانية (مرحلة الأبواب) ثم إلى المرحلة الثالثـــة ... وهكذا إلى المرحلة العاشرة والأخيرة (مرحلة النهايات) وقمتها كما يقول (التوحيد).

وبهذا العرض الفريد يفسر الهروى مائة مصطلح صوفى عن منـــازل الطريـــق أو مسالك أهلها. وقد أخذه عنه المصنفون فى المصطلح الصوفـــى وبخاصـــة الكاشـــانى فـــى مصنفاته الثلاثة التى تحدثنا عنها سلفاً.

أما محاولة ابن عربى فى بيان التداخل أو التشاجر بين مصطلحات القـــوم فكـــانت أكثر طرافة وذاتية، وقد صنعها على غرار كتب المداخل والمشجَّر والمسلسل التـــى أشـــرنا إليها سلفاً، بل إنه وضعها تحت عنوان (مساق المسلسل فى لغة العرب: شرح ألفاظ القـــوم)

وهذا العنوان يذكرنا بكتاب مواطنه أبى الطاهر من بين يوسف السرقطى ت ٥٣٨هـ (المسلسل فى غريب لغة العرب).

وتعرض هذه الكتب ألفاظا عديدة تنتظم فى أبواب تتقارب ألفاظ كل باب وتتداخل على نحو ما شرحناه سلفا. غير أن ابن عربى جعل ألفاظ القوم جميعا – وهى مائة وثمانون – بابا واحدا، فكأنها جميعا متقاربة متداخلة، بدأ الباب بكلمة التصوف التى تعقبها وتتعلق بها كلمة اليقظة، التى تعقبها وتتعلق بها كلمة الانتباه التى تعقبها وتتعلق بها كلمة العبودة ... الى آخر الباب حيث يقول: إننا قد بينا لك ارتباط المقامات والمراتب بضرب من التناسب وتعلق بعضها ببعض".

والحق أننا قد لا نتبين المناسبة بين كل كلمة وما يتعلق بها فى بعض الأمثلة ولكنها علاقة حاضرة فى ذهن ابن عربى نفسه، ومرتبطة بما يتلبس فى خياله من معان وتداعيات أنظر (ص ١٥٠ – ١٥١).

ثالثا : طرق وضع المصطلحات

حين عرف العرب علوم اليونان والفرس والهند ، ورغبوا فى نقلها إلى العربية ظهرت حاجتهم إلى وضع الألفاظ المكافئة لمفاهيم تلك العلوم المنقولة ، ونعنى بالوضع : تعيين لفظ لمعنى ، وقد اتخذوا لذلك طريقين أساسيين : اللفظ العربى واللفظ المعرَّب .

وقد شغلت قضية الوضع العلماء جميعا ، بيد أن المترجمين والفلاسفة كانوا أسبق فى الاهتمام بها نظريا وعمليا ، لأن الفلسفة ليست علما عربيا ، وما عرفوه عنها منقول بتمامه من اليونانية .

وقد كان الفارابى (ت ٣٣٩هـ) من أسبق الفلاسفة الذين تحدثوا عن الوضع اللغوى وعن طرقه . ففى حديثه عن الفلسفة والملة يحدد طرق الوضع بعامة فيقول : وعند حاجة الناس والعلماء إلى ألفاظ يعبرون بها عن المعانى يعملون أحد شيئين :

- إما أن يخترع ويركب من حروفهم ألفاظا لم ينطق بها أصلا قبل ذلك .
- وإما أن ينقل إليها ألفاظا من ألفاظهم التى كانوا يستعملونها قبل ذلك فى الدلالة على معان أخر غيرها "(٧٦)

والطريق الثانى أجود ، لأن اختيار لفظ مستعمل فى معنى قريب من معناه له غناء فى التعليم والتفهيم" كما يقول ، أما الطريق الأول فقد سكت عنه ، ولعله أدرك أن الناس والعلماء ندر ما يسلكونه ، وهذا صحيح.

ثم يتحدث عن الفلسفة اليونانية وكيف وضع لها النقلة أسماءها : " والفلسفة الموجودة اليوم عند العرب منقولة إليهم من اليونانيين ، وقد تحرى الذى نقلها فى تسمية المعانى التى فيها أن يسلك الطرق الآتية :

- النقل بلفظ عربى (ولنستحضر ما سبق الإشارة إليه من ألفاظها العربية كالألفاظ الخمسة المعروفة ، الجنس والنوع والفصل .. الخ) فهى مأخوذة من اليونانية genos و eidos و diaphora .. الخ
- استخدام الأسماء اليونانية (مثل الهيولى (hyle) والأسطقس element) وهى قليلة كما يقول .

- الجمع بين اللفظ العربى وغيره (المعرَّب) كاستعمالهم (الهيولى) والطينة أو العنصر .. الخ (٧٧)

وبهذا البيان الواضح تتحدد طرق الوضع الممكنة فى العربية بالنقل أو بالتعريب أو بالجمع بينهما ، وهذه بأعيانها الطرق الرئيسة للوضع حتى اليوم .

أ – اللفظ العربى

أوضحنا عند الحديث عن (تغير المعنى) أن الفارابى قد أوضح كيف ينتقل مدلول اللفظ ، من وضعه الأول إلى وضع آخر ، وكيف يبقى مشتركا بين المعنى الثانى والأول. وطريق النقل – عنده – هو الأجود . وذلك إنما يكون فى الأشياء التى تستنبط فى الصنائع التى تنشأ .

وعلى العالم أو صاحب الصناعة أن يتحرز فى اختياره حتى لا يؤدى الاشتراك إلى لبس أو غلط .

وقد يكون التغير بالاستعارة (أو المجاز) يقول : فإذا استقرت الألفاظ على المعانى التى جعلت لها راتبة أولا .. صار الناس إلى النسخ والتجوز فى العبارة بالألفاظ ، فعبر عن المعنى بغير اسمه الذى جعل له أولا .. متى كان له به تعلق ولو كان يسيرا ، إما لشبه بعيد أو غير ذلك " (٧٨)

بيد أن هذا التجوز والمسامحة إنما تستعمل فى الصنائع التى يحتاج الإنسان فيها إلى إظهار القوة الكاملة فى استعمال الألفاظ .. والصناعة التى حالها هذه الحال هى صناعة الخطابة وصناعة الشعر .. أما فى العلوم والفلسفة فلا يجوز ذلك ، لأن الاستعارة فيها تخييل وهو شعر " فالاستعارة صورة من صور النقل وإن كانت خاصة بصناعة الشعر والخطابة .

وقد يكون التغير بالاشتقاق ، وهو يعنى بالاسم المشتق المأخوذ من الاسم المجرد ، كأن تأخذ (قائم) من (القيام) ليدل على فاعل الحدث بعد تغيير شكله بالزيادة أو بالنقص أو بتبديل بعض حروفه أو حركاته . (٧٩)

بيد أنه يستعمل الاشتقاق بمعنى النقل من الاسمية إلى الوصفية بالنسب ، فالكمية مشتق من (كم) والكيفية مشتق من (كيف) .. ومنه أيضا استعمال الهُوية من (هو) .. والإنسانية من (إنسان) ..

فى باب (العبارة) من كتابه الفريد (البرهان فى وجوه البيان) يتحدث ابن وهب الكاتب (المتوفى فى القرن الرابع) عن صور البيان بالقول ، ماهو منها عام فى كل اللغات وما هو خاص بالعربية ، ويذكر من الاستعمالات الخاصة بالعربية الاستعارة والتشبيه والاشتقاق واللحن والوحى والرمز .. والاختراع . (٨٠)

ويعنينا منها ما ذكره عن الاختراع ، والاستعارة ، والاشتقاق لأنها الوسائل التى استخدمها العرب فى التعبير عما لم يكن يعرفونه من العلوم والصناعات .

أما الاختراع فيعنى به الوضع اللغوى باللفظ العربى أو المعرب ، ويرى أنه حق لكل من استخرج علما أو استنبط شيئا ، ويذكر أن أرسطو قال بإطلاقه لكل محتاج إلى تسمية الأشياء ، وأنه ليس مما ينفرد به العرب ، يقول : وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسما فيما لم تكن تعرفه ، فمنه ما سموه من عندهم كتسميتهم الباب فى المساحة بابا والجريب جريبا والعشير عشيرا .. ومنه ما عربته ، وكان أصل اسمه أعجميا كالقسطاس المأخوذ من كلام الفرس ، وكل من استخرج علما واستنبط شيئا وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطئ من يخرجه إليه فله أن يفعل ذلك ، ومن هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحال والزمان والمصدر والتمييزوالتبرئة ، وأخرج الخليل ألقاب العروض فسمى بعض ذلك الطويل وبعضه المديد وبعضه الهزج وبعضه الرجز ، وقد ذكر أرسطو طاليس ذلك ، وقال : إنه مطلق لكل أحد احتاج إلى تسمية شئ ليعرف به بأن يسميه بما شاء من الأسماء " وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيه ، وليس مما ينفردون به " (٨١)

ويعنى ابن وهب بالاشتقاق أن نأخذ من لفظ لفظا آخر مع مناسبة بينهما فى المادة والصورة ، يقول : الاشتقاق هو ما اشتق لبعض الأفعال من بعض ، كما يشتق من (الزيادة) اسم زيد وزياد ومزيد .. الخ وهو مأخوذ من شقك الثوب أو الخشبة ، فيكون كل جزء منها مناسبا لصاحبه فى المادة والصورة " (٨٢)

ثم يأخذ فى بيان أبنية الألفاظ من الأسماء والأفعال ، وحروف الزيادة ومعانيها ، وكيف يصاغ فعل الأمر والمضارع ، وكيف تكون حركة عين المضارع فى الأفعال الصحاح والمعتلة . يذكر ذلك بإيجاز شديد .

وحديثه عن الاستعارة يدور حول استعمالاتها التخييلية بخاصة يقول : ومن الاستعارة ما قدمنا من إنطاق الربع وكل مالا ينطق إذا ظهر من حاله ما شاكل النطق ، ومما جاء من

هذا النوع فى القرآن (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ويشير أيضا إلى وجه الحاجة إلى استعمالها بعامة يقول : وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها فى كلام العرب ، لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم ، وهذا ليس فى لسان غير لسانهم ، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ، وربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره ، وربما استعملوا بعض ذلك فى موضع بعض على التوسع والمجاز " (٨٣)

ونجد الحديث عن طرق الوضع فى العربية مكتملا عند الخوارزمى (ت ٣٨٠ ، ٣٨٧هـ) وهو صاحب كتاب (مفاتيح العلوم) أو فى معجم لمصطلحاتها فى القديم .

ففى مقدمة هذا المعجم الفريد يحدد الطريق الذى سلكته العربية فى إنشاء جهازها المصطلحى وهو الاختراع أو التعريب يقول مشيرا إلى ما ذكره منها فى كتابه : " أكثر هذه الأوضاع أسامى وألقابا اخترعت وألفاظا من كلام العرب أعربت " (٨٤) وهو يعنى بالاختراع نقل لفظ عربى مستعمل من معنى عام إلى معنى خاص بعلم أو صناعة .

وفى تضاعيف الأبواب التى خصصها لكل علم من علوم العرب أو العجم يبدى ملاحظات هامة عن طبيعة العملية الاصطلاحية وما روعى فى إنجازها من قواعد ، فعند حديثه عن ألقاب العروض ناسب أن يتحدث عن اشتقاقاتها ، وهو يعنى بالاشتقاق نقل اللفظ من معنى سابق إلى معنى لاحق لمناسبة بينهما يقول : " .. والمعاقبة مشتقة من العُقْبة فى الركوب ، والمراقبة مشتقة من مراقبة الكوكبين ، وهو أن يغرب هذا عند طلوع هذا كأنه كان يراقبه ، والخزم مشتق من خُزامة البعير .. " (٨٥)

وحين يتحدث عن الحميات وأنواعها مثل : حمى يوم .. والدَّق .. والورد والغِب .. الربع .. والخمس .. والسدس . يشير إلى مأخذها قائلا : وهذه الأسماء مستعارة من أظماء الإبل " (٨٦) والظِّمء ما بين الشربين وجمعه أظماء .

ولعلك لاحظت كيف انتقلت هذه الألفاظ إلى لغة الخاصة من العلماء وأهل الصناعات من لغة عامة الناس.

وعند حديثه عن طبقات العين يبين السبب فى اختيار أسمائها قائلا : طبقات العين سميت بالأشياء التى تشبهها كالمشيمة شبهت بالمشيمة وهى التى فيها الولد فى البطن ، والشبكية شبهت بالشبكة ، والعنكبوتية شبهت بنسيج العنكبوت ، والقرنية شبهت بالقرن فى صلابته .. " (٨٧)

ووجه الشبه مرعى أيضا فى الأسماء التى تنتقل إلى الوصفية بياء النسب ، يقول فى أنواع النبض : .. مثل النملى والدودى والمنشارى والغزالى ... والمطرقى والموجى ونحو ذلك من التشبيهات " (٨٨)

ومن أهم ما تنبه إليه استخدام الأطباء صيغة (فَعُول) لأسماء الأدوية بكثرة يقول : وأسماء الأدوية يكون أكثرها على (فَعول) بفتح الفاء كالغسولات والنطولات والسكوبات والوجورات والسعوطات واللدودات واللعوقات " (٨٩)

وهذا المسلك الأخير مما جرى عليه مجمع اللغة العربية فى كثير من مصطلحاته .

ب – المعَـرب

تسمى العرب اللفظ الأعجمى الذى أدخلته فى لغتها مُعْرَبا ومعرَّبا ويقال فيه : عربته العرب وأعربته ، والتعريب هو نقل اللفظ الأعجمى إلى العربى ، وليس لازما فيه أن تتفوه به العرب على منهاجها ، فما أمكن حمله على نظيره حملوه عليه ، وربما لم يحملوه على نظيره وتكلموا به كما تلقوه . واللغويون متفقون على أن العلم الأعجمى ليس بمعرب ، بل يقال فيه (أعجمى) .

شُغل النحاة واللغويون بالتعريب ، لأن المعرب – وإن استعمله العرب وأشبه كلامهم – يعدونه غريبا بين كلامهم ، وهو هجنة على ألسنة الفصحاء أو أقلامهم . وقد عالجوه – مع ذلك – علاجا وافيا من نواح عدة ، من ناحية الاستدلال على عربية اللفظ أو عجمته ، من حيث موافقته أو مخالفته للأبنية العربية ، ومن حيث موافقته أو مخالفته للمسموح به فى العربية من اجتماع الحروف أو تواليها ، ومن ناحية مذاهب العرب فى استعماله ، ومن حيث خضوعة لقواعد العربية فى الاشتقاق والتصريف ، ومن ناحية القياس عليه أو الاقتصار على ما سمع منه ، ومن ناحية تدوينه فى المعاجم ونسبته إلى لغته التى منها نقل .

ولكى يقال إن اللفظ معرب ينبغى أن ينقل غالبا بلفظه ومعناه من اللغة التى اقترض منها ، وقد استدل اللغويون على عربية اللفظ بأن يكون له جذر فى العربية بمعناه ، وعلى عجمته بألا يكون له جذر عربى بمعناه فـ (تنور) أو (أستاذ) أعجميان ، إذ ليس فى العربية جذر (ت ن ر) أو (س ت ذ) (٩٠)

وقد استدلوا بعجمة اللفظ بخروجه على أبنية العربية أو أوزانها ، وهي محصورة مذكورة في مصنفاتهم فـ (بقّم) و (ديابوذ) و (نرجس) و (فالوذج) ... أعجمية ، إذ ليس لها نظائر من أبنية العرب . ولكن بعض اللغويين افترض لها أصلا ووضع لها بناء لكي يُجرى عليها قواعد الاشتقاق والتصريف . (٩١)

وقد استدلوا أيضا على عجمته بمخالفته ديدن العربية في اجتماع حروفها وتواليها أي بما تسمح به أو لاتسمح . وللخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) في ذلك ملاحظات دقيقة ، فهو يرى أن الجيم والقاف لا تجتمع في كلمة عربية ، فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنها معربة مثل : (الصنج) و (الجوق) ، ولا تجتمع كذلك الصاد والجيم مثل الجص والصنج والصولجان .. وهي كذلك من المعرب ، وليس في كلام العرب زاي بعد دال إلا إذا كان دخيلا مثل (هندسة) .. ، وليس في العربية اسم فيه نون بعدها راء ، فإن مر بك ذلك فاعلم أنه معرب مثل : (نرجس) و (نورج) .. الخ بل إن الخليل استدل بوجود حروف محددة في الجذور الرباعية والخماسية على أعجمية اللفظ ، يقول : فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية مُعَرَّاة من حروف الذلق .. فاعلم أنها ليست من كلام العرب . (٩٢)

وحروف الذلاقة (ر ل ن ف ب م) .

وقد أثبتت الإحصاءات التي أجريت على جذور بعض المعاجم العربية الكبرى صحة هذه الملاحظات.(٩٣)

وقد ذهب العرب فيما عربوا مذاهب فقد استعملوا بعضه دون تغيير مثل (بخت) و (سخت) بيد أن هذا قليل ، والكثير خلافه ، وهو ماغيروا فيه .

أما التعريب بالتغيير فقد حدث بإبدال صامت بصامت مثل قلب الكاف الفارسية جيما كما في (لجام) من (لكام) .. أو بزيادة حرف في أوله كزيادة الهمزة للتوصل للنطق بالساكن مثل (أرندج) وهو من (رنده) .. أو في آخره مثل (صاروج) بزيادة الجيم من (جارو) .. وقد يكون بالحذف مثل (بهرج) من (نبهره) .. الخ وقد عوملت بعض المركبات الأعجمية معاملة الكلمة العربية الواحده مثل (زركش) فهي من (زر) بمعنى : ذهب و (كش) بمعنى : راسم ، و (ميزاب) من (ميز) بمعنى : سيل و (آب) بمعنى : ماء .. وهذا كثير لا يحصى في مصطلحات العلوم والصناعات (٩٤)

وقد عقد سيبويه (ت ١٨٠هـ) فى كتابه بابا بعنوان (هذا باب ما أعرب من الأعجمية) أوضح فيه كيف تصرفت العرب فيما عربته ، ومن جملة ما قاله : اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه .. وربما تركوا الاسم على حاله (أى لم يغيروا فيه) إذا كانت حروفه من حروفهم كان على بناء كلامهم أم لم يكن .. " (٩٥)

ويبدو أن الجوهرى صاحب الصحاح (ت ٢٩٣هـ) لم يرتض مذهب سيبويه المتسمح ، فاشترط فى الكلمة المعربة أن تتفوه بها العرب على منهاجها وإلا عدت أعجمية . وجرى على قوله جماعة منهم الحريرى (ت ٥١٦هـ) ولم يسلم مذهب الجوهرى من اعتراض فقد تعقبه جماعة منهم الخفاجى (ت ١٠٦٩هـ) .

هذا ما جرى عليه النحاة واللغويون ، تشدد بعضهم وتسامح أغلبهم ولكن المترجمين والعلماء لم يكن أمامهم إلا أن يتسامحوا ، فعربوا وغيروا أحيانا ولم يغيروا أحيانا ، وبنوا على أوزان العرب أحيانا وخالفوا أحيانا ، وحسنا ما فعلوا ، لقد كان همهم الأول أن يترجموا علوم العجم وأن يبنوا عليها علما جديدا ، ولم يكن التاريخ ليسامحهم لو أبطأوا فى هذا العمل العظيم وتوقفوا ليغيروا أو يبدلوا فيما يعربون .

إن تصرف العرب فيما عربت على الأنحاء السابقة والقواعد التى وضعها النحاة لكى يكون الكلام فصيحا كان مدخلا للاعتداد بالكلمة ودخولها فى معجم العربية حيث تجرى عليها قواعد العربية كالكلمة العربية على سواء .

يذكر الخليل أن العرب تصرفوا فى الكلمة المعربة كما تصرفوا فى الكلمة العربية ويرى سيبويه أن الكلمة المعربة تتمكن فى الكلام وتدخل عليها أل .. الخ واللغويون على أن المعرب يشتق منه على حاله أو على أصل مفترض ، فقد عربت العرب (ديوان) وقالوا (دوّن وتدوين .. الخ) وعربت (دولاب) وقالوا (دولب وتدولب .. الخ) وهذا كثير فى مصطلحات العلوم والصناعات مثل : هندس وهندم وزنجر .. الخ بل إن بعض الكلمات تعربت تماما حتى لايظن من كثرة استعمالاتها أنها عربية مثل كلمة (لِجام) .

ومن ناحية القياس والسماع يرى بعض اللغويين أن الكلمة متى عربت جاز القياس عليها ؛ لأن تعريبها يعنى إدخالها فى كلام العرب ، بيد أن بعض المتأخرين يرى أن ما عربته العرب قديما سماعى فحسب ، وما عربه المتأخرون مولد لايقاس عليه (٩٦)

وقد ضمن أصحاب المعاجم كثيرا من المعرب فى معجماتهم وتفاوتوا فى ذلك . فالخليل دون فى (العين) عددا كبيرا من المعرب ويسميه أحيانا الدخيل أخذها عنه أخلافه من المعجميين وتناقلها العلماء فى مصنفاتهم ، وكان كثيرا ما ينسب الكلمة إلى اللغة التى منها نقلت . وقد واصل أصحاب المعاجم والمصنفات اللغوية هذا المنهج ، ومن هؤلاء ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) فى (الغريب المصنف) وابن قتيبة (ت ٢٧٩هـ) فى (أدب الكاتب) والثعالبى (ت ٤٣٠هـ) فى (فقه اللغة) وابن سيده (ت ٤٥٨هـ) فى (المخصص) وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) فى (الجمهرة) وغيرهم . أما أول كتاب – فيما نعلم – خصصه صاحبه للمعرب فهو كتاب أبى منصور الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) (المعرب) ذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمى ونطق به القرآن المجيد وورد فى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وذكرتها العرب فى أشعارها وأخبارها ، ووضع فيه الخفاجى كتابه (شفاء الغليل) ضم إلى ما فيه من المعربات التى عربتها العرب قديما ما عربه المولدون والمحدثون .

ومن أعلام المعجميين الذين عنوا عناية خاصة بالمعربات الفيروزابادى (ت ٨١٦هـ) صاحب (القاموس المحيط) فقد ضمنه كثيرا من مصطلحات العلوم والفنون وأسماء النباتات ومفردات الأدوية .. الخ بل كان يتطوع بعد ذكر الكلمة العربية بذكر مرادفها فى الفارسية مما عرضه للنقد ، وقال عن ذلك بعض اللغويين إنها من سقطاته الواضحة .(٩٧)

فى المجال التطبيقى

خصص الخوارزمى الجزء الثانى من كتابه لمصطلحات علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم ، وأغلب مصطلحات هذه العلوم من المعرب .

وكان الخوارزمى يعرف الفارسية ، ومن المحتمل أنه كان يعرف شيئا من اليونانية والسريانية والسنسكريتية (٩٨)

وقد عنى عناية كبيرة برد الألفاظ المعربة إلى لغاتها التى منها نقلت ، وقد فسر اشتقاقاتها تفسيرا دقيقا .

ومن أمثلة ذلك قوله : " الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى (فيلاسوفيا) وتفسيرها محبة الحكمة ، فلما أعربت قيل فيلسوف ، ثم اشتقت الفلسفة منه ... والترياق مشتق من (

تيريون) باليونانية وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها ، ويقال لـه بالعربية درياق .. ومن أسماء الأدوية المفردة (ذهرج) وهوبالسريانية (مرارات فيلا).. وصناعة الهندسة تسمى باليونانية (جومطريا) وهى صناعة المساحة ، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة ، وفى الفارسية (أندازه) أى المقادير .. وعلم النجوم يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية (اصطرونوميا) و (أصطر) النجم و (نوميا) هو العلم .. والزيج كتاب منه يحسب سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم أعنى حساب الكواكب لسنة سنة وهو بالفارسية (زه) أى الوتر ، ثم أعرب فقيل (زيج) .. والموسيقى : معناه تأليف الألحان ، واللفظة يونانية وسمى المطرب ومؤلف الألحان الموسيقور والموسيقار .. ومن آلاتها الأرغانون وهى آلة لليونانيين والروم .. وصياغة الحيل وتسمى باليونانية (منجانيقون) وأحد اقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة .. والمهندم لفظة فارسية مشتقة من (هندام) بالفارسية ، وهو أن يلتصق الشئ بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلصق بلحام .. (٩٩)

ومن خلال تفسيراته للأمثلة السابقة ومن غيرها مما يفيض بها كتابه نتبين أن الذين استخدموا هذه المصطلحات تركوا بعضها على حاله دون تغيير فى بنائه ، وهذا كثير وبخاصة فى أسماء الأعيان ، وتصرفوا فى بعضها ليلائم أبنيتهم وليشتقوا منه ما شاءوا من صيغ ، فمن الفلسفة اشتقوا فَلْسَف وتفلسف وفيلسوف ومن هندسة أخذوا هَنْدس ومهندس ، ومن زنجار أخذوا زنجر ومزنجر .. الخ

أما فيما يتصل بما حدث لهجاء الكلمة الأعجمية بعد تعريبها فله فيها ملاحظات مثل قلب (هـ) (زه) الفارسية جيما كما فى (زيج) وهو تغيير مطرد ، وفى أغلب المواضع يكتفى ببيان المصطلح قبل تعريبه وما آل إليه بعد .

حدد حنين بن إسحق (ت ٢٦٠هـ) وهو أعظم مترجمى الإسلام من غير شك الطرق التى تبنى بها المصطلحات فى العربية على النحو الآتى :

كان يستخدم الألفاظ العربية الجارية فى الاستعمال : مثل : الشترة والظفرة والشعيرة والرمد والسبل .. وهى من أسماء أمراض العين . كما يستخدم الألفاظ الدالة على المفاهيم العامة مثل : الالتهاب والاختناق والاحتقان والامتلاء والاستفراغ والانقباض .. الخ مبقيا إياها بمعانيها العامة أو ناقلا إياها إلى المجال الطبى مثل : الاستسقاء اسما لمرض .

وقد انتفع حنين بكثير من المشتقات الجارية فى الاستعمال ، وقاس عليها الفاظا عديدة تعبر عن المادة الطبية مراعيا المعانى الصرفية للأبنية ، وسوف نؤجل تفسير مذهبه إلى الفقرة التالية عند الحديث عن مذهب الرازى فى التعريب .

كان يترجم المصطلحات الأعجمية بما يرادفها فى العربية فـ (قريسطالويذاس) يرادفه الرطوبة الجليدية و (أيالويذاس) يرادفه : الرطوبة الزجاجية و (أو ويذاس) يرادفه : الرطوبة البيضية .. الخ ويجمع بين المصطلحين الأعجمى والعربى . وقد يكتفى بالمصطلح الأعجمى يقول مثلا : الرمد ثلاثة أنواع ، أحدها يقال له باليونانية (تاراكسيس) وهو تكدر يعرض فى العين... والنوع الثانى ويقال له (أوفثالميا) ويكون على ضربين .. والنوع الثالث ويقال له (خيموسيس) .. الخ (١٠٠)

لم يجد حرجا فى استعمال اللفظ الأعجمى إذا لم يجد ما يكافئه من الألفاظ العربية أو لم يتمكن من ترجمته بعبارة مؤدية لمعناه ، وبخاصة اسماء الأعيان النباتية والحيوانية والمعدنية مثل : هو فوقسطينداس ونشاستج والسكبينج والرازيانج والنوشادر .. الخ (١٠١)

ولعلنا نلاحظ أن حنينا لم يحاول أن يخضع المصطلح الأعجمى لأوزان العرب أو أبنيتهم فتركه على حاله دون تغيير فى بنائه ، ويبدو أنه قد اضطر إلى التوسع فى استخدامها، ولعله كان ينتظر من يستبدل بها غيرها من العربى ، وقد اجتهد خلفاؤه من المترجمين والأطباء فى ذلك اجتهادا ظاهرا .(١٠٢)

أما فيما يتعلق بهجاء المصطلحات الأعجمية ، فلم يتحدث عن مذهبه وقد جرى فى كتابتها على مذاهب العرب فى تعريبها ، وهى محكومة بضوابط استخرج بعضها سيبويه فى كتابه الشهير ففى (باب ما أعرب من الأعجمية) يتحدث عن إبدالهم الحرف الذى بين القاف والجيم جيما ، وابدال الحرف الذى بين الباء والفاء فاء .. وغير ذلك (١٠٣)

وقد اهتم بعض الباحثين المحدثين باستخراج الضوابط التى تحكم هجاء الألفاظ الأعجمية الواردة فيما ترجمه حنين أو ألفه ، وهو عمل علمى مفيد لا يقلل من فائدته أن هذه الألفاظ تتعدد صور هجائها فى المصنفات بسبب من المصنفين أنفسهم ، وربما صحفها النقلة (١٠٤)

مضى الرازى (ت ٣١٣هـ) على ما استعمله المترجمون والأطباء الذين سبقوه وبخاصة حنين بن إسحق الذى ينقل عنه كثيرا ، من ألفاظ عربية فى المعانى العامة وفى بعض الأعيان ، ومن الجمع بين المصطلح الأعجمى وترجمته أو الاكتفاء بأحدهما .

ويبقى الرازى المصطلح الأعجمى على حاله فى لغته غالبا كما عربه أسلافه من المترجمين والأطباء ، بيد أنه حين أراد أن يصنع معجما لأسماء الأمراض والأدوية يجمع فيه ما يتردد منها فى كتب الطب والصيدلة أشكل الأمر عليه لسببين أن العربية – وهذا أمر غير مستغرب – ليس بها حروف تفى بما فى اليونانية والسريانية والفارسية والهندية من حروف وهى اللغات التى تنتسب إليها المصطلحات المجموعة مثل (ب ج ك ف) ولعله يريد (ب و ج و كَـ و ق) ، وأن المترجمين لم يتحروا الدقة فى نقلها وتهجوها بأنواع من الهجاء مختلفة ، وقد أوضحنا عند حديثنا عن كتابه (الحاوى) فى المبحث الثانى عن مصادر المصطلح – الطريقة التى عالج بها هاتين المشكلتين ، وكيف أنجز معجمه .

أما ما يعنينا هنا فإنه سجل الأهجية المتعددة التى صور بها المترجمون ما ليس فى العربية من اصوات اللغات السابقة ، وقد وضعها فى ضوابط على النحو الآتى : وقد تبدل حروف مكان حروف مثال ذلك أن الجيم تبدل بالغين فيقال جالينوس وغالينوس وكالينوس وخالينوس ... وربما اسقطت الألف من أول الاسم .. مثل (أغالوجن) و (غالوجن) .. والألف والهاء مما تبدلان فيكتب (أورسمن) و (هورسمن) .. الخ (١٠٥)

وقد اكتفينا بالأمثلة السابقة لأن فى النص اضطرابا فى التمثيل وربما صحفت بعض الكلمات .

وقد اهتم الرازى فى معجمه الطريف بنسبة الأسماء التى يضمها إلى لغته ، واستخدم الرموز فى جدول لهذا الغرض يقول : وأُعَلِّم على الاسم اليونانى (ى) وعلى السريانى (س) وعلى الفارسى (ف) والهندى (هـ) وعلى العربى (ع) . " (١٠٦)

ملاحظات عامة عن العملية المصطلحية

لقد أصبح النهج الذى خطه حنين فى إيجاد المصطلحات الطبية ممهدا ملتزما مما يعفينا من الحديث عنه عند أسلافه كابن سينا وابن البيطار وغيرهما من أكابر المصنفين فى الطب والصيدلة ، ولكننا نشير فحسب إلى بعض الملاحظات الكاشفة لهذا النهج والتى تنتثر فى تضاعيف مصنفاتهم .

فابن سينا (ت ٤٢٨هـ) يذكر فى موسوعته الطبية (القانون) ملاحظات عديده فى أنحاء العملية المصطلحية فقد رأى أن الأطباء يستعملون بعض الألفاظ فى غير معناها

الجارى ، يقول : إن اصطلاح الأطباء فى استعمال لفظ الرسوب والثفل قد زال عن المجرى المتعارف ، لأنهم يقولون (رسوب وثفل) لا لما يرسب فقط بل لكل جوهر أغلظ قواما من المائية متميزا عنها وإن طفا " (١٠٧)

وربما تقاربت مفهومات الألفاظ بحسب التعارف اللغوى ، ولكن الأطباء – كما يقول – تصطلح فى استعمالها على معان نشير إليها .. " (١٠٨)

وينبه ابن سينا إلى الطرق التى سلكها الأطباء فى تسمية موضوعاتهم يقول : إن الأمراض قد تلحقها التسمية من وجوه ، إما من الأعضاء الحاملة لها كذات الجنب وذات الرئة ، وإما من أعراضها كالصرع وإما من أسبابها كقولنا مرض سوداوى ، وإما من التشبيه كقولنا داء الأسد وداء الفيل ، وإما منسوبا إلى أول من يذكر أنه عرض له ذلك كقولهم : قرحة طيلانية منسوبة إلى رجل يسمى طيلانس ، وإما منسوبة إلى بلد يكثر حدوثها فيه كقولهم : القروح البلخية ، وإما منسوبة إلى من كان مشهورا بالإنجاح فى معالجتها كالقرحة السيروتية ، وإما من جواهرها وذواتها كالحمى والورم " (١٠٩) وهى – حقا كلمة موجزة جامعة.

وقد تحدثنا فى المبحث الثانى عن معجم الأدوية المفردة الذى ضمنه فى كتابه (القانون) وكيف رتبه وعرف بمفرداته لغويا واصطلاحيا .

وقد توفر لابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) ما لم يتوفر لغيره ممن سبقه من أسماء الأدوية والأغذية عربية أو معربة ، ومن هذه المادة الوفيرة صنع معجمه الوافى الذى وصف فيه ما يقرب من ألف وأربعمائة نوع من الأعيان الدوائية . ويعد هذا المعجم (الجامع لمفردات الأدوية) أوفى مرجع لمعرفة اللغات التى تنتسب إليها الكلمات المعربة ، وأدق مرجع لضبط بنيتها وهجائها . (١١٠)

وقد ضمنه ملاحظات وتفسيرات تتعلق ببناء المصطلحات ، وإن كانت لا تخرج عما ذكره ابن سينا فى الفقرة السابقة ، ومع ذلك نشير إلى بعضها فى الهوامش (١١١)

دور الاشتقاق فى توفير المصطلح العلمى

للاشتقاق دور كبير فى توليد عشرات من الألفاظ من أصل أو جذر واحد ، وكثرة الأبنية أو القوالب التى تصب فيها الأصول أو الجذور وتعدد معانيها يجعل معينه اللفظى والدلالى يكاد لاينفد . ومما يعطى لهذا الدور أهميته البالغة أنه سمة مميزة للغات السامية بعامة وللغة العربية بخاصة ومن ثم فهو طاقة ذاتية مواتية لطبيعة العربية .

وقد وجد العلماء فيه ما يسد حاجتهم من المصطلحات ، فاستعملوا من الألفاظ المشتقة ما جرى منها فى اللغة العامة بمعانيها المتداولة أو بمعان أخرى نسبوها إليها ، كما أنهم لاذوا إليه حين لم يسعفهم المستعمل أو المتداول فولدوا – على غراره – كلمات جديدة لم يسبق استعمالها فى المعانى التى احتاجوا إلى التعبير عنها ، وإن كانت جميعها من جذور موجودة بالفعل .

ولتحديد دوره فى الاصطلاح العلمى فى القرن الثالث والرابع الهجريين أحصيت ما استخدمه حنين بن إسحق من مشتقات مصدرية أو فعلية أو وصفية فى كتابه (العشر مقالات فى العين) وكذا ما استخدمه الرازى فى الجزء الثانى من كتابه (الحاوى) وهو الجزء الخاص بأمراض العين ، ولا يتسع المقام لبيان نتائج هذه الدراسة ، ونكتفى بمثال منها .

يتعدى الفعل فى العربية بنفسه مثل (كتب) ، وقد يتعدى بالهمزة مثل (أخرج) من (خرج) أو بالتضعيف مثل (كرَّم) من (كَرُم) والمتفق عليه بين النحاة أن التعدية بالهمزة أو بالتضعيف سماعية .

والتعدية – وهى من المعانى الصرفية – تنتقل من الفعل إلى ما يشتق منه من اسم فاعل ومفعول وغيرهما . وزيادة الهمزة أو التضعيف لا تأتيان للتعدية فحسب ، فهما يلحقان الفعل اللازم والمتعدى ، فمن معانى التضعيف – وهو مثالنا المختار – التكثير والمبالغة فى الفعل والنسبة والسلب أو اتخاذ الفعل من الاسم، وهى معانٍ ضرورية فى الكلام ، وفى الاصطلاح أكثر ضرورة .

وتتطلب الأعمال الطبية من جراحات واستعمال للأدوية التعبير عن إحداث أثر من شخص أو دواء فى شخص أو عضو .. الخ كما تقضى التعبير عن الآلة التى تستخدم للفعل .. وغير ذلك مما يعبر عنه بالمشتقات فى العربية . ولم يتوقف المترجمون والأطباء عند ما

هو سماعى أو قياسى من ذلك بل استجابوا فيه لحاجاتهم التعبيرية وحكموا فى ذلك سلائقهم وطردوا الباب على وتيرة واحد .

فهم يقولون : يُغَرِّى ويملِّس وينشِّف ويخفف ويطول ويمدد ويسخن ويسكن ويثخن ويحلل ويكمد ويعفن ويرطب ويصلب ويجلِّى ويسدد ويلطف ويهتك ويهيج .. الخ وهى من (فَعّل) ويقولون : يُرْخى وينضج وينهك .. الخ وهى من (أفعل) وبعض هذه الأفعال لازم وبعضها متعد .

وتتردد مشتقاتها من اسم فاعل وغيره فيقال : مُغر ومملس ومحلل ومكمد .. الخ ولنبسط القول فى بعض هذه الاستعمالات .

يقول الرازى فى أجناس أدوية العين نقلا عن حنين ، : " وهى سبعة الأول مسدد مغر مملس والثانى مفتح والثالث جلاَّء والرابع منضج والخامس مخدر والرابع معفِّن والسابع قابض . ، وفى أثناء التفسير تتردد أفعال ومشتقات أخرى مرادفة .

فالدواء المسدِّد يجفف الرطوبات أو الأنسجة ويمنعها من التحلل ، كما أنه يغرى أى يصنع طبقة من الغراء ويملس أى يجعل الخشن أملس .

وفى المعاجم سد الثلمة أصلحها ووثقها وسد الشئ أغلق خلله .. ولو أراد هذا فحسب لقال (سادٌ) على ما يقتضيه القياس من (سدَّ)

وفى المعاجم : غَرى السِّمن قلَبه لزق به وغطاه ، والجلدَ ألصقه بالغراء ، ولم تذكر (غَرَّى) ولو أراد اسم الفاعل من (غَرَى) لقال (غارٍ)

وفى المعاجم ملُسَ الشئُ لان ونعم ملمسه وملَّس الشئَ جعله أملس وهذا المعنى الأخير هو ما يراد فى النص .

فثمة معنى طبىٌ يراد التعبير عنه ولا يغنى فيه اسم الفاعل من الثلاثى ومن ثم أوثر فيه اسم الفاعل من غير الثلاثى من (فَعَّل) ولا يكتفى فيه بنقله من اللزوم إلى التعدى بل أريد منه التكثير والمبالغة فى الفعل أو الجعل .

والدواء المخدِّر يراد به ما يخفف الوجع الناتج عن تآكل القروح ،

وفى المعاجم : خَدَره : ستره ، وخدَّره فتَّره وكسَّره . والمعنى الثانى قريب مما يـــراد بالمخدر ، ولكنه ليس هو لأن المقصود غيَّبه عن الوعى أو عطَّله عن الإحساس .

والدواء المعفِّن هو الذى يزيل العفن

وفى المعاجم عَفِن الشئ عفونة فسد وتعفن فسد وتفتت عند مسه وعَفَنَ اللحَم غيره .

والدواء المقصود لا يفعل ذلك بل يزيل العفن (قلع الخشونة) ، والأنسب فيه (عَفَّـن) أى ازال العفن ، ولم يرد فى المعاجم استخدام الهمزة للسلب من هذا الفعل .

والدواء الجلاَّء هو الذى يزيل السوائل أو القروح عن العضو المعالج ، ويدمل القـــروح ويصقل الأنسجة .. الخ ولعل فى اختيار صيغة (فعَّال) ما يؤكد ما قلناه من الحاجـــة إلـــى التعبير عن تكثير الحدث أو المبالغة فيه أو استمرار فعله .

ومما نحن فيه ويتردد فى الشرح :

الأدوية المثخِّنة أى التى تجعل الشئ ثخينا أى سميكا .

وفى المعاجم : ثَخُن ككرم ثخونه غلظ وصلب فهو ثخين ، وليس فيهاثَخَّن بمعنى جعلـــه ثخينا.

وكَمَّد العضو أى وضع عليه الكُماد وهى خرقة تسخن وتوضع على الموجوع .

وفى المعاجم كمد كنصر دق الثوب وكمد فلانا وضع له كمادا على موضع الالم ليرتـاح ، وظنى أن الأطباء اشتقوها من الكماد اسما لا من الفعل .

هذه بضعة ملاحظات عن بعض استعمالات جرت فى المصنفات الطبية ، وهى تبيـــن عن دور الاشتقاق فى توفير ما يحتاجه الأطباء من ألفاظ للتعبير عن المعانى الخاصة بـــهم ، وتبين عن جراءتهم فى استعمال الألفاظ ما سمع منها وما لم يسمع ، وفى تخصيصها للمعنـى الطبى المقصود .

هوامش المبحث الثالث

١ – ابن المقفع : منطق أرسطو ص ١

٢ – فليبر : اللغة والمهن ، اللسان العربى مجلد ٣٣ ص ٣٠٢

٣ – السابق : ص ٣٠٢

٤ – انظر : التعريفات للجرجانى ، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم فـــى (تعريـــف) و(حد)

٥ – إخوان الصفاء : رسائل إخوان الصفاء ٣ / ٣١٧

٦ – ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١١

٧ – ابن المقفع : منطق أرسطو ص ١ ، ٢

٨ – ابن بهريز : حدود المنطق ص ١٠٢

٩ – الكندى : رسائل الكندى الفلسفية ٢ / ١٨

١٠– الفارابى : المنطق عند الفارابى ص ٦١ ، ٦٢

١١– ابن سينا : رسالة فى الحدود ، انظرها فى المصطلح الفلسفى ص ٢٣٩

١٢– الأعسم (د. عبد الأمير) : المصطلح الفلسفى ص ٦٨ ، ٢٣٥

١٣– ابن فورك : الحدود فى الأصول ص ١٩

١٤– الجوينى (إمام الحرمين أبو المعالى) التلخيص فى اصول الفقه ج١ ص ١٠٧ ، ١٠٨

١٥– الباجى : الحدود فى الأصول ص ٢٣

١٦– ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام ج١ ص ٣٨

١٧– التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

١٨– الفاكهى : شرح الحدود النحوية ص ٤٢

١٩- ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ١٤ ، ١٥

٢٠- السابق : ص ٢٢ ، ٢٣

٢١- مصنفك (على بن مجد الدين) : الحدود الفقهية ص ١٦

٢٢- السابق : ص ١٦

٢٣- الغزالى : الوجيز ح١ ص ١٠٠- ١٠٥

٢٤- الأنبارى : أسرار العربية ص ٩ – ١٢

٢٥- ابن السراج : أصول النحو ج١ ص ٣٦ – ٣٨

٢٦- الجامى : الفوائد الضيائية ج١ ص ٣٠

٢٧- ابن عقيل : شرح الألفية ج٢ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣

٢٨- ابن يعيش : شرح المفصل ج١ ص ١٨ ، ١٩

٢٩- الزجاجى : الإيضاح فى علل النحو ص ٤٨

٣٠- الأنبارى : أسرار العربية ص ٥ ، ٦

٣١- السابق : ص ٥ ، ٦

٣٢- انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) : مدخل إلى اللغة ص ١٠٢-١٠٤ وسوسير رائد علم اللغة ص ٣٠ – ٣٣

٣٣- ابن حزم : التقريب لحد المنطق ص ٧٩ ، ص ١٢

٣٤- ابن رشد : تلخيص كتاب العبارة ص ٥٩ ، ٦٠

٣٥- ابن حزم : التقريب لحد المنطق ص ١٢

٣٦- الفارابى : كتاب الحروف ص ١٣٧

٣٧- انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) سوسير رائد علم اللغة الحديث ص ٣٠ – ٣٢

٣٨- الآمدى : الإحكام فى اصول الأحكام ج١ ص ١٠٤

٣٩- السيوطى : المزهر ج١ ص ٤٧

٤٠- الآمدى : الإحكام ج١ ص ١٠٤

٤١- الغزالى (أبو حامد) : المستصفى ج١ ص ٣١٨ – ٣٣٢

٤٢- انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) سوسير رائد علم اللغة الحديث ص ٣٠

٤٣- الخليل بن أحمد : العين ج١ ص ٥٨

٤٤- سيبويه : الكتاب ج

٤٥- السيوطى : المزهر ج١ ص ٤٧

٤٦- ابن جنى (أبو الفتح) : الخصائص ج٢ ص ١٥٤ ، ١٥٥

٤٧- السابق : ج١ ص ٤٥ – ٤٧

٤٨- انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) مدخل إلى اللغة ص ١١٦ – ١٣١ أو : سوسير رائد علم اللغة ص ٥١ – ٦٤

٤٩- ابن قتيبة : غريب القرآن ص ٢٨ ، ٢٩

٥٠- ابن فارس : الصاحبى ص ٧٨ – ٨٦

٥١- أبو حاتم الرازى : الزينة ج١ ص ١٩ ، ٢٠

٥٢- السابق : ١ / ١٤٦ ، ١٤٧

٥٣- انظر : تلخيص العبارة لابن رشد ص ٧٧ ، ٧٨ والتقريب لابن حزم ص ٣٦ – ٣٨

٥٤- الفارابى : العبارة ص ١٩ ، ٢٠

٥٥- الفارابى : كتاب الحروف ص ١٣٥ – ١٣٧

٥٦- الآمدى : الإحكام ج ١ / ٤٨ والغزالى : المستصفى ج١ / ٣٣٦

٥٧- الغزالى : المستصفى ج١ ص ٣٣٢

٥٨- خلاف (عبد الوهاب) الاصطلاحات الفقهية ، مجلة المجمع ج ٧ ص ٢٣٦

٥٩- انظر : عبد العزيز (د. محمد حسن) مدخل إلى اللغة ص ١٠٥ – ١١٥

٦٠- ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام ج١ ص ٣٣ – ٣٥

٦١- ابن حزم : التقريب لحد المنطق ص ٦

٦٢- الفارابى : كتاب الحروف ص ١٠٠

٦٣- ابن سينا : الإشارات والتنبيهات ص ٢٨٥

٦٤- ابن رشد : تلخيص العبارة ص ٦٩

٦٥- الفارابى : كتاب الحروف ص ١١٢ ، ١١٣

٦٦- ابن رشد : تلخيص العبارة ص ٦٩

٦٧- انظر (فليبر) : اللغة والمهن – اللغة الخاصة ودورها فى الاتصال ، اللسان العربى مجلد ٣٣ ص ٣٠٢

٦٨- ابن المقفع : منطق ابن المقفع ص ١ – ٤

٦٩- الجاحظ : البيان والتبيين ج١ ص ١٣٩ ، ١٤٠

٧٠- الجاحظ : الحيوان ج٣ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩

٧١- ابن وهب (أبو الحسين إسحق) البرهان فى وجوه البيان ص ١٩٦

٧٢- الفارابى : الألفاظ المستعملة فى المنطق ص ٤٣ ، ٤٤

٧٣- الفارابى : كتاب الحروف ص ٩٩ ، ١٠٠

٧٤- الفارابى : الألفاظ المستعملة فى المنطق ص ٤٦ بتصرف يسير

٧٥- الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٣

٧٦- معجم مفردات علم المصطلح : اللسان العربى، العدد ١٩ ص ٢٠٩، ٢١٠.

٧٧- ح ساجر: المصطلحية والمعجم التقنى: اللسان العربى، العدد ٤٢ ص ١٧٣، ١٧٥.

٧٨- عبد العزيز (د. محمد حسن) سوسير رائد علم اللغة الحديث ص٣٤.

٧٩- السابق: ص ٤١.

٨٠- نيدوبيتى: التصورية والدلالية، اللسان العربى العدد ٢٩ ص ١١٤.

٨١- القاسمى (د. على) : علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة، اللسان العربى العدد ٣٠ ص ٨٩.

٨٢- السابق: ص ٩٠.

٨٣- السابق: ص ٩٠.

٨٤- السابق: ص ٨٨.

٨٥- السابق: ص ٩١.

٨٦- السابق: ص ٩١ – ٩٦ وانظر فى الموضوع نفسه : نيدوبيتى : التصورية والدلالية اللسان العربى العدد ٢٩ ص ١١٤.

٨٧- Hartman, and Stork, Dictionary of Language and Linguistics.

٨٨- Crystal, Linguistics, P 91.

٨٩- نيدو بيتى: التصورية والدلالية ص ١١٦.

٩٠- السابق: ص ١١٦.

٩١- انظر: التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، وموسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب فى المداخل: اسم وتصور ومفهوم ومعنى. والعلوى اليمنى: الطراز ج ١ ص٣٦.

٩٢- يضيف إليها الخوارزمى (الشخص) مثل زيد وعمرو وهذا الفرس وذلك الحمار وربما سموه العين.

يضيف إخوان الصفاء (الشخصية) ولها عندهم أهمية كبرى.

ويضيف الكندى سادساً وهو (الشخص) ويعده جوهرياً.

الفرقان الأخص عند ابن المقفع: هو الذى بين الصورتين (النوعين) كالحيوان والموات والناطق والفرقان الخاص: ما يفرق بين الشئ وغيره من أهل صورته كالغبى والفطن.

والفرقان العام: لا يفرق بين الشئ وغيره، ولكن بين حالاته نفسه كالشباب والهرم.

٩٣- انظر: عبد العزيز (د. محمد حسن) مصادر البحث اللغوى ص ٩٦.

٩٤- انظر: عبدالعزيز (د. محمد حسن) المصاحبة فى التعبير اللغوى ص ٧٠ – ٧٥.

٩٥- انظر: سيبويه: الكتاب ٢٤/١.

٩٦- انظر: العلوى اليمنى: الطراز ٦٩/١ – ٧٤ والتهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم مادة (مجاز).

٩٧- الطوسى: اللمع ٤٢٧، ٤٢٨.

٩٨- الفارابى : كتاب الحروف ص ١٤٧ ، ١٤٨

٩٩- السابق

١٠٠- الفارابى : العبارة ص ٢٢ ، ٢٣ والحروف ص ١٥٩ ، ١٦٠

١٠١- الفارابى : العبارة ص ٢٢ ، ٢٣ والحروف ٢٢٥ ، ٢٢٦ بتصرف يسير

١٠٢- ابن وهب : البرهان فى وجوه البيان ص ١٠١

١٠٣- السابق ص ١٢٦

١٠٤- السابق ص ١٠٢

١٠٥- السابق ص ١١٥

١٠٦- الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص ٥

١٠٧- السابق ص ٩٣

١٠٨- السابق ص ١٦٥

١٠٩- السابق ص ١٥٤

١١٠- السابق ص ١٨٣

١١١- السابق ص ١١٦.

١١٢- السابق:

١١٣- انظر عبد العزيز (د. محمد حسن) التعريف فى القديم والحديث ص ٥١-٥٦

١١٤- السابق : ٥٦ – ٦٠

١١٥- السابق : ٦٠ – ٦٤ والعين للخليل بن أحمد ٢ / ٣١٤

١١٦- السابق : ٦٠ – ٦٤

١١٧- السابق : ٦٤ – ٧٠

١١٨- سيبويه : الكتاب ٤ / ٣٠٣ ، ٣٠٤

١١٩- عبد العزيز (د. محمد حسن) التعريب ص ٧٨ ، ٧٩

١٢٠- السابق : ص ٨٢ – ٨٦

١٢١- انظر : مقدمة فلوتن للنشرة التى أخرجها للكتاب وهى فى نهاية الكتابة

١٢٢- الخوارزمى : مفـــاتيح العلـــوم ص ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ومواضع أخرى يسهل الوصول إليها

١٢٣- حنين بن إسحق : العشر مقالات فى العين ص ٧٤ – ٧٥

١٢٤- السابق : ص ١٢٨ – ١٥٩

١٢٥- عبد العزيز : التعريب ص ١٤٥ – ١٤٦

١٢٦- سيبويه : الكتاب ٤ / ٣٠٥ ، ٣٠٦

١٢٧- الذبيان (أحمد بن محمد) حنين بن اسحق : دراسة تاريخية ولغوية

١٢٨- الرازى : الحاوى فى الطب ج٢٢ ص ٦١ – ٦٨

١٢٩- السابق : ص ٦١ – ٦٨

١٣٠- ابن سينا : القانون فى الطب ج١ ص ١٠٧

١٣١- ابن سينا : القانون فى الطب ج١ ص ١٨٦

١٣٢- السابق

١٣٣- عبد العزيز : التعريب ص ١٣٨

١٣٤- ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ج١ ص ١٧ ، ٩١ ، ٤٩ / ، ٧٣

مراجع البحث

١ – المراجع العامة

(ابن أبى أصيبعة) موفق الدين أحمد

(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) ، تحقيق د. نزار رضا ، مكتبة الحياة بيروت

(ابن الأثير) أبو السعادات

(النهاية فى غريب الحديث والأثر) تحقيق د. محمود الطناحى

(ابن خلدون) عبد الرحمن

(المقدمة) تحقيق د. على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ط٣

(ابن فارس) أبو الحسين أحمد

(الصاحبى) تحقيق أحمد صقر ، مكتبة عيسى البابى الحلبى . مصر

(ابن قتيبة)

(غريب القرآن) تحقيق أحمد صقر ، مكتبة عيسى البابى الحلبى بمصر .

(ابن وهب) أبو الحسين إسحق بن إبراهيم

(البرهان فى وجوه البيان) تحقيق د. حفنى شرف ، مكتبة الشباب بمصر

(الأحمد نكرى)

(جامع العلوم فى اصطلاحات العلوم) تحقيق د. على دحروج ، مكتبة لبنان

(إقبال) أحمد الشرقاوى

(فجر الإسلام) مكتبة النهضة المصرية

(ضحى الإسلام) مكتبة النهضة المصرية

(الأنبارى) عبد الرحمن

(نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

(بروكلمان) كارل

(تاريخ الأدب العربى) ترجمة الدكتور النجار ، دار المعارف

(البيهقى) ظهير الدين

(تاريخ الحكماء الإسلام) تحقيق محمد كرد على ، المجمع العلمى بدمشق ١٩٤٦

(التهانوى) محمد بن على

(كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) تحقيق د. على دحروج ، مكتبة لبنان

(الجاحظ)

(البيان والتبيين) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بمصر

(الحيوان) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بمصر

(الجرجانى) أبو الحسن

(التعريفات) تحقيق د. أحمد مطلوب ، وزارة الإعلام . بغداد

(حاجى خليفة)

(كشف الظنون) دار إحياء التراث العربى ، بيروت

(الحموى) ياقوت

(معجم الأدباء) نشره .

(الخوارزمى)

(مفاتيح العلوم) تحقيق فان فلوتن ، ليدن ، ١٨٩٥

(ساجر)

(المصطلحية والمعجم التقنى) ترجمة د. محمد حسن عبدالعزيز، اللسان العربى، العدد ١٩.

(السيوطى) عبد الرحمن

(الإتقان فى علوم القرآن) نشر المكتبة الثقافية بيروت

(صاعد) الأندلسى

(طبقات الأمم) تحقيق حياة بو علوان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥

(عبد العزيز) د. محمد حسن

(التعريب بين القديم والحديث) دار الفكر العربى بمصر ١٩٩٠

(مدخل إلى اللغة) دار الفكر العربى بمصر

(سوسير رائد علم اللغة الحديث) دار الفكر العربى بمصر

(المصاحبة فى التعبير اللغوى، دار الفكر العربى بمصر)

(فليبر)

(اللغة والمهن) اللسان العربى مجلد ٣٣ الرباط ١٩٨٩

(القاسمى) د. على

(علم المصطلح بين علم المنطق وعلم اللغة) اللسان العربى العدد ٤٢.

(القفطى) جمال الدين أبو الحسن

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) ليبزج ١٩٠٣

(الكفوى) أبو البقاء

(الكليات) تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصرى ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٩٢

(مدكور) د. إبراهيم

(المعجمات العربية المتخصصة) البحوث والمحاضرات دورة ٣٤ مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(المناوى) عبد الرءوف

(التوقيف على مهمات التعريف) تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان ، عالم الكتب بمصر ١٩٩٠

(النديم) أبو الفرج

(الفهرست)

(نيدوبيتى)

(التصورية والدلالية) ترجمة د. حلمى خليل، اللسان العربى. العدد ٣٠.

المراجع الخاصة

أ – الفقه وأصوله

(ابن أبى زيد) أبو محمد عبد الله

(الرسالة) تحقيق د. الهادى حمّو ، د. محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٩٧

(ابن بطال) محمد بن أحمد

(النظم المستعذب فى شرح غريب المهذب) إشراف صدقى العطار ، دار الفكر بيروت ١٩٩٤

(ابن رشد) أبو الوليد

(مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٠

(ابن عاشور) محمد الفاضل

(المصطلح الفقهى فى المذهب المالكى) البحوث والمحاضرات ، دورة ٣٤ مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(ابن فارس) أحمد

(حلية الفقهاء) تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركى ، الشركة المتحدة للتوزيع ؛ بيروت ١٩٨٣

(ابن فرحون) إبراهيم بن على

(كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب)

(ابن قتيبة)

(غريب القرآن) تحقيق أحمد صقر ، مكتبة عيسى البابى الحلبى

(غريب الحديث) تحقيق عبد الله الجبورى ، وزارة الأوقاف ، بغداد ١٩٧٧

(ابن قدامة) موفق الدين عبد الله

(المقنع) نشر محب الدين الخطيب ، مكتبة الرياض الحديثة ، ١٩٨٢

(أبو زهرة) محمد

(تاريخ المذاهب الإسلامية) دار الفكر العربى بمصر

(الأزهرى) أبو منصور

(الزاهر فى غريب ألفاظ الشافعى) ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر بيروت ١٩٩٤

(الأنصارى) زكريا بن محمد

(الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) تحقيق د. مازن مبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩١

(الباجى) أبو الوليد

(كتاب الحدود فى الأصول) تحقيق نزيه حماد ، مؤسسة الزغبى حلب ١٩٧٣

(البعلى) أبو عبد الله شمس الدين

(المطلع على أبواب المقنع) نشر الشيخ قاسم درويش فخرو ، المكتب الإسلامى ١٩٦٥

(التميمى) محسن

(تفسير غريب الموطأ) ندوة المصطلحية والعلوم الإسلامية ، جامعة سيدى محمد بن عبد الله ، الرباط ١٩٩٣

(الجوينى) إمام الحرمين

(التلخيص فى أصول الفقه) تحقيق د. عبد الله جولم ، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٩٩٦

(خلاف) عبد الوهاب

(الاصطلاحات الفقهية) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٧

(الخولى) أمين

(موطأ مالك) مجلة تراث الإنسانية مجلد ١ ص ٢٦٣

(الرازى) فخر الدين محمد بن عمر

(مناقب الإمام الشافعى) تحقيق د. أحمد حجازى السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٦

(الرصاع) أبو عبد الله محمد

(شرح حدود ابن عرفة) تحقيق محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٩٣

(سحنون بن سعيد)

(المدونة الكبرى للإمام مالك) نشر دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٠

(السيوطى)

(تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك) دار الفكر ، بيروت ١٩٨٠

(الشافعى)

(الأم) نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

(الرسالة) تحقيق أحمد شاكر

(الشاهرودى) على بن مجد الدين

(الحدود والأحكام الفقهية) تحقيق عادل أحمد وعلى عوض ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٩١

(الشيبانى) محمد بن الحسن

(المبسوط) تصحيح وتعليق أبو الوفا الأفغانى ، عالم الكتب بيروت ١٩٩٠

(الجامع الكبير) تحقيق أبو الوفاء الأفغانى ط ١٣٥٦هـ

(الشيرازى) أبو إسحق إبراهيم

(المهذب فى فقه مذهب الإمام الشافعى) إشراف صدقى محمد العطار ، دار الفكر بيروت

(التنبيه) اعتناء أيمن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت

(عبد الرازق) مصطفى

(الإمام الشافعى) مقدمة نشرة الهيئة المصرية العامة لكتاب الأم بمصر

(الغزالى) أبو حامد

(الوجيز فى فقه مذهب الإمام الشافعى) نشر مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣١٧هـ

(المستصفى) مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٦هـ

(الفيومى)

(المصباح المنير) نشر وزارة المعارف بمصر

(القونوى) قاسم بن عبد الله

(أنيس الفقهاء) تحقيق د. أحمد الكبيسى ، دار الوفاء ، جدة ، السعودية ١٩٨٧

(المزنى) إسماعيل بن يحيى

(مختصر الأم) نشر محمد زهدى النجار ، دار المعرفة بيروت عن نشرة بولاق

(المطرزى) أبو الفتح ناصر الدين

(المغرب فى ترتيب المعرب) تحقيق محمد فاخورى ، مكتبة اسامة بن زيد ، حلب ١٩٧٩

(المغراوى) أبو عبد الله محمد بن منصور

(غرر المقالة فى شرح غريب الرسالة) تحقيق د. الهادى حمو ، د. محمد ابو الأجفان ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٩٧

(المكى) أبو المؤيد بن أحمد

(مناقب الإمام الأعظم) حيدر أباد الدكن ١٣٢١هـ

(موسى) د. محمد يوسف

(المصطلحات الإسلامية) مجلة مجمع اللغة العربية ج١١

(الرسالة للإمام الشافعى) مجلة تراث الإنسانية مجلد ١

(النووى) محى الدين يحيى بن شرف

(تهذيب الأسماء واللغات) المطبعة المنيرية

(تحرير التنبيه) تحقيق د. فايز الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٠

ب- النحـــو

(ابن جنى)

(الخصائص) تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية

(ابن السراج) أبو بكر

(اصول النحو) تحقيق د. عبد المحسن الفتلى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٧

(ابن سيده)

(المخصص) بعناية الشيخ محمد عبده ، والشنقيطى ، مطبعة بولاق ١٣١٦

(ابن عقيل) عبد الله بهاء الدين

(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) تحقيق محى الدين عبد الحميد

(ابن يعيش) يعيش بن على

(شرح المفصل) المطبعة المنيرية بمصر

(أبو الطيب) عبد الواحد

(شجر الدر) تحقيق محمد عبد الجواد ، دار المعارف بمصر

(الأنبارى) عبد الرحمن

(أسرار العربية) تحقيق محمد بهجة البيطار ، المجمع العلمى بدمشق ١٩٥٧

(البغدادى) عبد القادر

(خزانة الأدب) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بمصر

(الجامى) عبد الرحمن

(الفوائد الضيائية) تحقيق اسامة رفاعى ، وزارة الأوقاف . بغداد

(الجبرانى) تاج الدين أبو القاسم

(الحدود فى النحو) تحقيق جبراز تربو ، مجلة المجمع العلمى بدمشق مجلد ٧٠ ج٤

(الخليل بن أحمد)

(العين) تحقيق إبراهيم السامرائى ، و د. مهدى المخزومى دار ومكتبة الهلال

(الرمانى) على بن عيسى

(الحدود) تحقيق د. إبراهيم السامرائى ، دار الفكر للنشر ١٩٨٤

(الزجاجى)

(الإيضاح فى علل النحو) تحقيق د. مازن المبارك دار العروبة القاهرة

(سيبويه)

(الكتاب) تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بمصر

(السيوطى) عبد الرحمن

(المزهر) تحقيق جاد المولى وآخرين ، مكتبة عيسى البابلى الحلبى بمصر

(السيرافى) أبو سعيد

(أخبار النحويين البصريين) نشر مكتبة مصطفى الحلبى بمصر ١٩٥٥

(عبد العزيز) د.محمد حسن

(مصادر البحث اللغوى) دار الكتاب الجامعى بالكويت ١٩٩٧ ودار الفكر العربى بمصر

(الفاكهى) جمال الدين عبدالله

(شرح الحدود النحوية) تحقيق د. محمد الطيب إبراهيم ، دار النفائس ، بيروت ١٩٩٦

(الفراء) يحيى بن زياد

(معانى القرآن) تحقيق على النجدى وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر

(القوزى) د. عوض محمد

(المصطلح النحوى) جامعة الرياض ، ١٩٨١

(المبرد) أبو العباس محمد بن يزيد

(المقتضب) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٩هـ

(مصطفى) إبراهيم

(فى أصول النحو) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٨

(أول من وضع النحو) مجلة كلية الآداب مجلد ١٠ ج٢

(نصار) د. حسين

(المعجم العربى) نهضة مصر

(النجدى) على

(سيبويه إمام النحاة) عالم الكتب بمصر ١٩٧٩

ج – الفلسفة وعلم الكلام

(الآمدى) سيف الدين أبو الحسن على

(الإحكام فى أصول الأحكام) تحقيق لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٠

(المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين) تحقيق د. حسن الشافعى – مكتبة وهبة ١٩٩٣

(ابن بهريز)

(حدود المنطق) تحقيق محمد تقى دانش ثروة طهران

(ابن تيمية)

(الرد على المنطقيين) تحقيق وتقديم السيد سليمان الندوى ، دار المعرفة ، بيروت

(ابن حزم) أبو محمد على بن حزم

(التقريب لحد المنطق) تحقيق د. إحسان عباس ، دار مكتبة الحياة

(الإحكام فى أصول الأحكام) تحقيق لجنة من العلماء ، دار الجيل ، بيروت

(ابن رشد)

(تلخيص كتاب البرهان) تحقيق د. محمود قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢

(تلخيص كتاب العبارة) تحقيق د. محمود قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١

(تلخيص كتاب المقولات) تحقيق د. محمود قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠

(ابن سينا)

(رسالة فى الحدود) انظر (الأعسم)

(النجاة) تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل بيروت ١٩٩٢

(منطق المشرقيين) تحقيق د. شكرى النجار ، دار الحداثة بيروت ١٩٨٢

(الإشارات والتنبيهات) تحقيق د. سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر

(ابن زرعة) أبو على عيسى

(العبارة ، القياس ، البرهان) تحقيق جيرار جيهامى ، دار الفكر اللبنانى بيروت ١٩٩٤

(ابن فورك) أبو بكر محمد بن الحسن

(الحدود فى الأصول) تحقيق د. محمد عبد الحليم ، لندن ١٩٩١

(ابن المقفع)

(المنطق) تحقيق محمد تقى دانش ثروه ، طهران

(أبو حاتم الرازى) أحمد بن حمدان

(الزينة فى الكلمات الإسلامية) تحقيق د. حسين الهمدانى ، القاهرة ١٩٥٧

(أبو حيان التوحيدى)

(المقابسات) تحقيق د. محمد توفيق حسين ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٧٠

(أبو ريان) د. محمد على

(تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام) دار النهضة العربية ١٩٧٣

(إخوان الصفاء)

(رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء) تحقيق د. عارف تامر ، منشورات عويـــدات ، بيروت

(أرسطو)

(المقولات) ترجمة إسحق بن حنين تحقيق د. عبد الرحمن بدوى

(العبارة) ترجمة إسحق بن حنين " " "

(التحليلات الأولى) ترجمة تذارى " " " وكالة المطبوعـــات ، الكويت ١٩٨٠

(الأعسم) د. عبد الأمير

(المصطلح الفلسفى) يضم مجموعة رسائل فى (الحدود والرسوم) لجابر بن حيـــان ، والكندى

والخوارزمى وابن سينا والغزالى والآمدى . مكتبة الفكر العربى بغداد ١٩٨٤

(الباجى) أبو وليد

(الحدود فى الأصول) تحقيق د. نزيه حماد ، مؤسسة الزغبى ، دمشق ١٩٧٣

(بدوى) د. عبد الرحمن

(مذاهب الإسلاميين) الجزء الأول : المعتزلة والأشاعرة ، دار العلم للملايين ، بيروت

(التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية) دار النهضة العربية ١٩٦٥

(دى بور)

(تاريخ الفلسفة فى الإسلام) ترجمة د. محمد عبد الهادى أبـــو ريـــدة ، دار النهضـــة العربية ١٩٨١

(الشافعى) د. حسن

(المدخل إلى دراسة علم الكلام) مكتبة وهبة

(عبد الرازق) مصطفى

(فيلسوف العرب) الهيئة المصرية العامة للكتاب

(الغزالى) أبو حامد

(معيار العلم) تحقيق د. على بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال

(فخرى) د. ماجد

(تاريخ الفلسفة الإسلامية) ترجمة د. كمال اليازجى ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٤

(الفارابى) أبو نصر

(الألفاظ المستعملة فى المنطق) تحقيق د. محسن مهدى ، دار الشرق ، بيروت ١٩٨٦

(الحروف) تحقيق د. محسن مهدى ، دار المشرق ، بيروت

(إحصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين ، دار الفكر العربى بمصر ١٩٤٩

(العبارة) تحقيق د. محمد سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦

(الخطابة) تحقيق د. محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦

(الكندى)

(رسائل الكندى الفلسفية) تحقيق د. محمد عبد الهادى أبو ريدة ، دار الفكر العربى بمصر ١٩٥٣

(مدكور) د. إبراهيم

(نشأة المصطلحات الفلسفية فى الإسلام) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٨

(منطق أرسطو والنحو العربى) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة مجلد ٨

(ماسينيون)

(محاضرات فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية) تحقيق د. زينب الخضرى ، المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٨٣

د – التصوف

(ابن عربى)

(الفتوحات المكية) تحقيق د. عثمان يحيى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ . طبعة بولاق

(فصوص الحكم) تحقيق د. أبو العلا عفيفى

(بدوى) د. عبد الرحمن

(مذاهب الإسلاميين) الجزء الأول : المعتزلة والأشاعرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣

(التفتازانى) أبو الوفا

(مدخل إلى التصوف الإسلامى) دار الثقافة بمصر ١٩٧٤

(الحكيم) د. سعاد

(المعجم الصوفى) دندرة للطباعة والنشر ١٩٨١

(السهروردى) أبو النجيب عبد القاهر

(عوارف المعارف) ملحق بنشرة (إحياء علوم الدين) دار المعرفة ، بيروت

(الشعرانى)

(الطبقات الكبرى) مكتبة صبيح بمصر

(الطوسى) عبد الله بن على

(اللمع) تحقيق د. عبد الحليم محمود ، طه عبد الباقى ، دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠

(عبد الرازق) مصطفى

(التصوف) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية

(عفيفى) د. أبو العلا

(الرسالة القشيرية) مجلة تراث الإنسانية مجلد ١

(الغزالى) أبو حامد

(الإملاء فى إشكالات الإحياء) نشر فى ذيل كتاب (الإحياء)

(إحياء علوم الدين) نشرة دار المعرفة بيروت

(القشيرى) أبو القاسم عبد الكريم

(الرسالة القشيرية) تحقيق معروف زريق وعلى عبد الحميد ، دار الجيل بيروت

(الكاشانى) عبد الرزاق

(اصطلاحات الصوفية) تحقيق د. عبد العال شاهين ، دار المنار ، القاهرة ١٩٩٢

(رشح الزلال) تحقيق سعيد عبد الفتاح ، المكتبة الأزهرية بمصر

(لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام) تحقيق سعيد عبد الفتاح ، دار الكتب المصرية ١٩٩٦

(الكلاباذى) أبو بكر محمد بن إبراهيم

(التعرف لمذهب أهل التصوف) تحقيق محمود أمين النواوى ، المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٢

(ماسينيون)

(التصوف) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية

(المحاسبى) ابو عبد الله الحارث

(الرعاية لحقوق الله) تحقيق د. عبد الحليم محمود ، دار المعارف بمصر

(محمود) د. عبد القادر

(دراسات فى الفلسفة الدينية والصوفية) دار الفكر العربى ١٩٧٨

(المكى) ابو طالب

(قوت القلوب فى معاملة المحبوب) المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠هـ

(نيكلسون)

(فى التصوف الإسلامى وتاريخه) ترجمة د. أبو العلا عفيفى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

(الهجويرى) على بن عثمان

(كشاف المحجوب) ترجمة د. إسعاد عبد الهادى ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠

(الهروى) أبو إسماعيل محمد بن عبد الله

(منازل السائرين) دار الكتب العلمية ، بيروت

هـ - الطب والصيدلة

(ابن البيطار) أبو محمد

(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) المطبعة العامرة ١٢٩١هـ

(ابن سينا)

(القانون فى الطب) تحقيق د. إدوارد القش ، مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٩٣

(ابن مراد) د. إبراهيم

(بحوث فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٩١

(المعجم العلمى العربى المختص) دار الغرب الإسلامى بيروت ١٩٩٣

(ابن ميمون) أبو عمران موسى

(شرح أسماء العقار) تحقيق ماكس مايرهوف ، المعهد الفرنسى للآثار بمصر ١٩٤١

(حسين) د. محمد كامل

(الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) نشرة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(حمارنة) د. نشأت

(المعجمات الطبية) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٦٠ ، ٦٢

(حنين بن إسحق)

(العشر مقالات فى العين) تحقيق ماكس مايرهوف ، المطبعة الإميرية بمصر ١٩٣٨

(الخطابى) د. محمد العربى

(الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية) دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٨

(الذبيان) أحمد بن محمد

(حنين بن إسحق لغوية تاريخية

(الرازى) أبو بكر محمد بن زكريا

(الحاوى فى الطب) نشرته دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن

(القمرى) أبو منصور

(كتاب التنوير فى الاصطلاحات الطبية) تحقيق د. وفاء تقى الدين ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد ٦٥ ، ٦٦

(منصور) د. أحمد مختار

(التصريف لمن عجز عن التأليف) مجلة معهد المخطوطات . الكويت مجلد ٢٦

(النجار) د. عامر

(فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية) دار المعارف بمصر ١٩٨٧

رقم الإيداع بدار الكتب
٨٢٦٢ / ٢٠٠٠
رقم دولى
977 - 222 - 183

دار الهانى للطباعة
٤٤٤٢٠٥٥

المصطلح العلمي عند العرب

تاريخه ومصادره ونظريته